مريم 27-4-2020 ل1 العراق ترقيم أجنبي

أبو الفداء ملكًا ومؤرخًا وجغرافيًّا

(دراسة في سيرته ومنهجه وموارده)

تأليف
الأستاذ الدكتور علي نجم عيسى

ثم يليه

كتاب التبر المسبوك في تواريخ أكابر الملوك

تأليف
إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادي أبو الفداء الأيوبي

"672 - 732هـ/ 1273 - 1331م"

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ"، والقائل عز وجل ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ وقوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾، والصلاة والسلام على من أرسله الله تعالى شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا والقائل: "أن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله".

فكان لنا شرف زيارة مدينة أبي الفداء حماة في صيف عام 2007م نتيجة الظروف التي حلت في العراق، وكثرة العصابات والقتل والدمار وهجرة الكثير من سكانه بعد إحتلاله سنة 2003م، ومكثنا في حماة أشهر عديدة وإطلعنا على تفاصيل آثارها ومنشآتها العمرانية الباقية منها إلى الآن، ووجدنا حفاوة الإستقبال وكرم الضيافة من أهلها الذي لا يوصف حتى وفروا لنا السكن الراقي، وكأننا نعيش بين أهلنا في بلدنا العراق، وبعد مرور عدة أشهر رجعنا إلى مدينتنا الموصل، وغيرنا سكننا واستقرينا في قضاء تلكيف، وقد واجهتنا ظروف أثناء الإنتهاء من كتابة البحث منها: ظهور فايروس كورونا في العالم القاتل.

تأتي هذه الدراسة محاولة لرسم صورة عن شخصية سياسية وعلمية وما قدمته من عطاء خصب في إطار الحضارة الإسلامية، ذلك هو عماد الدين إسماعيل أبو الفداء الملك المؤيد الأيوبي الكردي الأصل الدمشقي المولد، والذي عرف ملكًا ومؤرخًا وجغرافيًا، ويعد من أهم الشخصيات في عصر سلاطين المماليك بصورة

عامة في مصر، بل أنه لقب بالسلطان لمنزلته العالية في مركز السلطنة في القاهرة، وكان له دور بارز في أحداث عصره السياسية والثقافية، وأتاحت الفرصة له تدوين كل مشاهداته وهو يقاتل الصليبيين والأرمن والمغول في معارك حاسمة في التأريخ الاسلامي في بلاد الشام والجزيرة الفراتية وبلاد الروم.

كما استطاع أبو الفداء خلال فترة حكمه أن يجعل حماة مملكة مزدهرة أنتعشت أحوالها السياسية والثقافية والإقتصادية والإجتماعية ومركزًا تجاريًا في بلاد الشام ومحطة إستراحة للرسل الوافدين من العالم الإسلامي إلى مصر، وفي مجال النشاط العمراني كان أبو الفداء مغرمًا في تطوير الحركة العمرانية في حماة، إذ أمر بإنشاء الكثير من المنشآت المعمارية التي كانت مجمعًا ملكيًا حكوميًا ويعد جامع الدهشة "الحيايا" والقصر والقبة والحمام والساقية درة منشآته في حماة وبلاد الشام.

قسمت هذه الدراسة إلى سبعة فصول تناولت في الفصل الأول أسمه ونشأته وبيئته الأولى وشيوخه ومجلسه العلمي ومصنفاته التي صنفها وإنجازاته العمرانية، ووفاته، وتناولنا في الفصل الثاني تسلم أبوالفداء الحكم في حماة وعلاقته مع مركز السلطنة في مصر، وفي الفصل الثالث تناولنا فيه مشاركات أبو الفداء في القتال ضد القوى الخارجية منها: الصليبيون والمغول والأرمن، وكان الفصل الرابع بعنوان "أبو الفداء مؤرخًا" وآراؤه التاريخية ومنهجه وكتابه "المختصر في أخبار البشر" وذيوله، وتضمن الفصل الخامس ابو الفداء جغرافيًا، والحداثة والمدينة وتأسيسها وخدماتها وعاداتها الإجتماعية وظاهرة الآثار والمتنزهات والقبور والزراعة والصناعة والثروة الحيوانية في منهجه الجغرافي، وتضمن الفصل السادس التأثير العلمي لأبي الفداء وناقشنا في الفصل السابع مصادر ابي الفداء التأريخية والجغرافية.

كما حققت كتابًا بعنوان التبر المسبوك في تواريخ أكابر الملوك تأليف إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادي أبو الفداء الأيوبي" ت732هـ/1331م ".

ولقد أعتمدت في دراستي على مصدرين رئيسيين هما: "المختصر في أخبار البشر"، وكتاب "تقويم البلدان" وهما لأبي الفداء، ومصادر أخرى وأسأل الله رب العرش العظيم أن يكون هذا البحث نواة لبحوث أخرى وأن يحتل مكانه اللائق بين الأبحاث العلمية، والله ولي التوفيق ومن وراء القصد.

وفي نهاية دراستنا عن أبي الفداء أهدي هذه الأبيات الشعرية لأبي الفداء رحمه الله لجهوده العلمية في العالم الإسلامي والمعمارية في حماة.

وجـــاء أبـــو الفـــداء إلـــى حمـــاةٍ لينثـــرَ عِلَمـــهُ ألقَّـــا ونـــورا
فكـــان حكايـــةً بـــل كـــان حبًّـــا الهيًـــا يؤرّخُهـــا عـــصورا
ومـــرّ علـــى زمـــانِ النـــاسِ مجـــدًا فأصـــبح فـــي حديقتـــه الزهـــورا
وأطلـــق ذكْـــرَه فـــي كـــلِ نفـــسٍ وعمّـــدها المحبّـــةُ والـــسرورا
وأورثنـــا العلـــومَ مـــصنفاتٍ وعمّـــرَ فـــي مـــشارفها قـــصورا

الأستاذ الدكتور علي نجم عيسى
الكلية التربوية العراق ـ الموصل
في 2020/3/20

الفصل الأول
أسمه ونشأته وبيئته وشيوخه ومجلسه العلمي ومصنفاته وإنجازاته العمرانية ووفاته

- **أسمه ونشأته وبيئته:**

هو إسماعيل بن الملك الافضل علي بن الملك المظفر محمود بن الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب أشتهر بلقبه "أبو الفداء"، ويلتقي مع صلاح الدين في أيوب بن شادي، وبه عرفت الاسرة الايوبية التي ترجع في إصولها إلى الأكراد الروَّادية، وهم قبيلة من قبائل الأكراد الهذبانية، وقد استقرَّت هذه القبيلة في بلدة دَوِين [1]، ثم هاجرت إلى تكريت في العراق، واستقرت في بلاد الشام، ولعبت دورًا مهمًّا في الاحداث السياسية والعسكرية في هذه المنطقة في القرنيين السادس والسابع الهجريين.

ولد ابو الفداء في جمادي الاولى سنة "672هـ / 1273م" في دار الزنجيلي بباب توما بدمشق، وكانت اسرته قد انتقلت من حماة قبيل ولادته، ويظهر أن الظروف الطارئة التي واجهت هذه الأسرة، واحتمالات الغزو المغولي جعلتها تنتقل بشكل مؤقت الى دمشق التي لم يطل مقامها فيها، ثم عادت الى موطنها في حماة في نفس السنة وكان أبو الفداء طفلًا رضيعًا، بعد زوال خطر المغول.

نشأ ابو الفداء وترعرع في حماة، وقضى حياته فيها، ويظهر أن أسرة أبي الفداء

(1) بلدة دوين تقع جنوب أرمنيا في منطقة حدودية على مقربة من حدود أرمنيا وتركيا وأذربيجان وإيران، وقد حضرنا مؤتمراً دوليا حول حضارة الأيوبيين في 2019/4/21 في محافظة أغدر التركية على مقربة من بلدة دوين، ولولا توتر العلاقات التركية الأرمنية لعبرنا الحدود وزرنا هذه البلدة.

حرصت على تربية ابنائها تربية علمية صالحة، هيأت الفرصة لأبي الفداء للوصول الى ذلك المستوى الرفيع من النضج العلمي، وسعة الاطلاع والقدرة على التاليف، فضلًا عن كونه أميرًا منذ نعومة اظفاره، نشأ أبو الفداء في هذه البيئة الصالحة، وحفظ القرآن الكريم منذ وقت مبكر من حياته وتعلم فنون الحرب والفروسية وكان عمره (12) سنة، ويساهم في المعارك العسكرية، هذه الأسباب وغيرها من النعم التي أُغدقت عليه، هيأت له فرصة الحصول على جو علمي مرموق من خلال لقاءاته مع كبار علماء عصره في مختلف الاختصاصات.

ومن الغريب حقًّا ان أبا الفداء الذي تحدث عن تفاصيل كثيرة في حياته، بعضها لا يستحق الذكر، تكتم على ملامح سيرته العلمية الى حد كبير، فأهمل الإشارة الى شيوخه، وكيفية حصوله على هذا المستوى العلمي العالي، والمكان الذي درس فيه ومدة دراسته، والاجازات التي حصل عليها، هذه الاسئلة وغيرها لم يجيب عليها، ويظهر أنه كان متعمدًا في ذلك ويترفع عن الاشارة الى شيوخه، لإنه كان ملكًا على حماة، ويعد الرجل الأول فيها، ومن المقربين الى مركز السلطنة في مصر، وكان يرى أنه في طليعة علماء عصره، وإن منزلته العلمية والسياسية جعلته لا يشير إلى شيوخه حتى أثناء ترجمته لهم مثل: ترجمته لإستاذه ابن واصل الحموي ـ سنشير اليه لاحقًا ـ، فلم يذكر أنه أستفاد منه، بل قال عنه: "ولقد ترددت إليه بحماة مرارًا كثيرة [1] ".

ومن المؤسف في الأمر ان زين الدين عمر بن الوردي المعاصر له الذي درس في حماة، وذيل مختصر أبي الفداء، وترجم لكثير من العلماء في مصر وبلاد الشام والجزيرة، وأفاض في الكلام عنهم، قد آثر الصمت والكتمان عن شيوخ أبي الفداء حتى أثناء ترجمته له، لكنه أشاد به، فقال: "ولقد رأيت جماعة من ذوي الفضل، يزعمون أنه ليس في الملوك بعد المأمون أفضل منه"[2].

- **شيوخه:**

كانت حماة حاضرة بني أيوب ومن خلال استقرائنا للمصادر التاريخية تبين أن

(1) ابو الفداء، المختصر: 38/4.

(2) أبو الفداء، المختصر: 422/2 – 423.

أبا الفداء استفاد من المؤرخ ابن واصل الحموي "ت697هـ/1297م" بحكم مركزه السياسي وتواجده في حماة، فكان أبو الفداء يتردد "إليه بحماة مرارًا"، ويستفيد من خبراته العلمية في مجال علوم الرياضيات وخاصة المسائل التي يواجه فيها صعوبات في كتاب "اقليدس"، كما قرأ عليه "شرحه لمنظومة أبن الحاجب في العروض" وصحح أسماء من "له ترجمة في كتاب الأغاني، وكان أبن واصل يعد حجة في العلوم الفقهية والعربية والتاريخ والهندسة والرياضيات، حتى أن سلطان مصر[1] الظاهر بيبرس اختاره كأفضل عالم في عصره لسنة "659هـ / 1260هـ" فأوفده لمناظرة مانفرد بن فردليك الثاني امبراطور الافرنج في صقلية، وفعلًا توجه في ايفاده وحقق نتائج هامة في الاجابة عن الأسئلة التي وجهت إليه من قبل الامبراطور، وحظي بتكريمه وأنزله في مكان من أجمل أماكن صقلية[2].

اشتهر أبو الفداء بصفته ملكًا في حماة، وازدادت شهرته من خلال معرفته في العلوم التاريخية والجغرافية، فضلًا عن توسع مداركه العلمية الأخرى، وأشاد به الاسنوي قائلًا: "كان جامعًا لأشتات العلوم اعجوبة من أعاجيب الدنيا[3]"، وذكره ابن كثير فقال بأنه "كانت له فضائل كثيرة في علوم متعددة[4]"، كما استفاد أبو الفداء من علوم علاء الدين علي بن بيان بن مختار البغدادي المعروف بالخطائي "ت718هـ/1318م"، الذي وصفه على انه "رجلًا فاضلًا في أكثر العلوم العقلية"

(1) زرنا جمهورية مصر في العامين 2007و2019، وأطلعنا على القاهرة والجيزة والإسكندرية وشرم الشيخ وزرنا آثاراها ومنها: الأهرامات والمراقد والجوامع والمدارس والمتاحف التي لا توصف خاصة جثث الفراعنة المحنطة (المومياء) التي أحتفظت بشكلها القديم، وزرنا جامع عمر بن العاص ومرقد الحسين وزينب والسيدة نفيسة رضي الله عنهم وأرضاهم، وجامع أحمد بن طولون والأزهر، والظاهر بيبرس والسلطان الناصروالقلعة والمقطم وغيرها وهي كثيرة، ولكن الملفت للنظر زيارتنا لمقابرها الحديثة في القاهرة فوجدنا الناس قد أستغلوا الدور المشيدة على القبور وسكنوها، وهم أعداد كثيرة قد وصل عددهم إلى (10) مليون ويزدون بسبب الفقر والحرمان.

(2) أبو الفداء، المختصر: 376/2 - 377.

(3) طبقات الشافعية: 257/2.

(4) البداية والنهاية: 2، 3، 134/14.

حكيمًا في مهنة الطب فقرأ علي أبي الفداء كتاب "التذكرة" في الهيأة تصنيف النصير الطوسي ولجهوده العلمية خصص له ابو الفداء راتبًا شهريًّا مقداره مائة وثلاثين درهمًا [1] .

ومن شيوخ أبي الفداء الفقيه أمين الدين عبد الرحمن المواقيتي "ت 733هـ/ 1332م" الذي كان من المقربين لأبي الفداء وقد عُرف عن المواقيتي أنّه كان ضليعًا في العلوم الفقهية والرياضيات والفلك[2]، ولربما استفاد أبو الفداء ايضا من العالم الكبير قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة الحموي، الذي تشد إليه رحال طلبة العلم من باحثين وعلماء من أرجاء العالم الإسلامي، وساهم في تخريج أعداد كثيرة من الطلبة، وكان من المقربين إلى أبي الفداء وأديا كلاهما فريضة الحج بصحبة سلطان مصر الملك الناصر بن قلاوون سنة "719 هـ / 1319م"[3] .

- **مجلسه العلمي:**

كان لأبي الفداء مجلس علمي في حماة يستقبل فيه كبار العلماء والشعراء والأدباء والرسل القادمين إلى حماة والمارين بها، وهيأ لهم مكان الإقامة والضيافة، أمثال امين الدين عبد الرحمن الابهري المواقيتي الذي أشرنا إليه فيما سبق فكان له معرفة في علم الهيأة: "حركة الكواكب"، والمساحة والحساب فريدًا في معرفة العلوم الهندسية والكرة والاسطرلاب وصناعة آلات الموسيقى، أستفاد ابو الفداء من علومه "ووجد من احسانه قيدًا من الفضة والذهب"[4] .

وكان يحضر مجلسه العلمي من الشعراء الشاعر صفي الدين الحلي "ت759هـ/1357م"[5]، وكان أبو الفداء يغدق عليهم الأموال، ويخصص لهم الرواتب الشهرية أمثال: الشاعر جمال الدين بن محمد بن الحسن بن نباتة

(1) البرزالي: المقتفي، 343/4.

(2) المصدر نفسه: 463/2، 432.

(3)المصدر نفسه: 432/2.

(4) ابن حبيب: المنتقى، 116؛ ابن الوردي: تتمة المختصر: 430/2.

(5) العسقلاني: الدرر الكامنة، 158/4، 159؛ السلامي: الوفيات، 312/2؛ الحموي: خزانة الادب، 41.

"ت768هـ/1366م"، فقد خصص له راتبًا شهريًّا مقداره الف درهم شهريًّا [1]، فصنف له كتاب "السجع المطوق"، جمع فيه تراجم عديدة من رجال عصره، وأهداه إلى أبي الفداء [2]، ونظم له إرجوزة جميلة بعنوان "مصائد الملوك" في حماة، جاء فيها [3]:

إن كانـــتْ الأرضُ لهـــا ذخـــائر فهـــي لعمـــري هـــذه الأزاهـــر
قـــد بـــسطتها راحـــةُ الغمـــائم بـــسط الـــدنانير علـــى الـــدراهم
أحـــسن بوجـــه الـــزمن الوســـيم تعـــرف فيـــه نـــضرة النعـــيم

وكان من أجل الشعراء في مجلس أبي الفداء الشاعر علي بن مقاتل بن عبد الخالق الحموي "ت761هـ/ 1359م" الذي اشتهر ايضًا بنظم "الأزجال" وصنف ديوانًا شعريًّا فى مجلدين، وكان هذا الفن قد انتهى إليه فى زمانه قال فيه [4]:

يـــا مرقـــصًا يـــا مطربًـــا غنـــى لنـــا أنعـــم لإخـــوان الـــصفا بتلاقـــي
فلقـــد رميـــت مقاتـــل الفرســـان بـــين يـــديك عنـــد مـــصارع العـــشاق

- **مصنفاته:**

صنف أبو الفداء مصنفات عديدة أشار إليها أبن تغري بردي، فقال إنه صنف في علوم "الفقه والاصول والعربية والتاريخ والأدب والطب والتفسير والميقات والمنطق والفلسفة ..."، وقال انه كان حافظًا للقرآن الكريم"[5]، ومن أبرز مصنفاته هو كتاب "الحاوى الصغير" في فروع الفقه، واهتم في علوم الحديث فصنف كتابًا سماه "الأحكام الصغرى في الحديث"، وكتاب "الكُناش" في النحو، وكتاب "الموازين"، وكتاب "كشف الوافية في شرح الكافية" لأبي عمرو عثمان

(1) ابن حجة، ثمرات الأوراق 111/1، وقيل ستمائة درهم سنوياً.
(2) حاجي خليفة: كشف الظنون، 279/2.
(3) الحموي: خزانة الادب، 219.
(4) العسقلاني: الدرر الكامنة، 158/4، 159.
(5) النجوم الزاهرة: 293/9.

ابن الحاجب "ت 646هـ /1248م"، و"نوادر العلم" في مجلدين [1]، واهتم في علوم الطب، فكان طبيبًا ناجحًا اشرف على علاج عمه ملك حماة المظفر الثالث "ت698هـ/1298م" حتى شُفي، وعالج ايضًا ولده محمد حينما اصابته وعكة مرضية كادت ان تقضي عليه وهو في طريقه الى مصر، فارسل له السلطان الناصر بن قلاوون رئيس الاطباء في الديوان الملكي في القاهرة جمال الدين ابراهيم بن أبي الربيع المغربي ليشرف على علاجه، فلم يتمكن من ذلك لبراعة أبي الفداء في هذا الميدان، وقد اعترف هذا الطبيب بمهارات أبي الفداء الطبية وقال له: "يا مولانا السلطان أنت والله ما تحتاج إلى "طبيب" وكان قدومي إليك امتثالا للأوامر الشريفة" في مصر، وكان الطبيب المغربي موضع تكريم أبي ألفداء بعد معافاة ولده محمد فقدم له هدية "بغلة بسرج ذهب ولجام وكنبوش "كساء الفرس" مزركش وعشرة آلاف درهم ودست[2] الفضة"، والدليل على إهتمام أبي الفداء في العلوم الطبية أنه صنف كتابًا في هذا التخصص أطلق عليه "الميقات في الطب"[3]، وكان له اهتمامات في نظم الشعر، اذ احتوت كتب التاريخ والأدب على قصائد شعرية له في منتهى الجودة منها قصيدته التي قال فيها[4]:

اقرأ على طيب الحياة ... سلام صبٍّ مات حزنا
واعلم بذاك أحبّةً ... بخلَ الزمانُ بهم وضنّا
لو كان يُشرى قربُهمُ ... بالمالِ والأرواحِ جدنا
متجرّعٌ كأسَ الفراقِ ... يبيتٍ للأشجان رَهْنا
صبٌّ قضى وَجْدًا ولم ... يقضى له ما قد تَمَنى

وله أيضًا:

سَرى مسْرى الصّبا فعجبتُ منه ... من الهجران كيف صبا إليّا

(1) الكتبي: فوات الوفيات، 76/1؛ البغدادي: هدية العارفين، 214/1.

(2) لا زال إسم الدِست مستخدماً في مدينتا الموصل من قبل عامة السكان فهو يعني قِدر الطعام الكبير.

(3) ابو الفداء: المختصر، 373/2، 445.

(4) ابن حبيب: المنتقى، 106؛ السبكي: طبقات الشافعية، 404/9؛ الكتبي: فوات الوفيات، 184/1.

وكيف ألّمَّ بي من غيرِ وعدٍ وفارقني ولم يعطفْ عليّا

وكان ينظم الموشحات فقال فيها:

أوقعني العمرُ في لعلّ وهل يا ويح من عمرٍ مضى بلعلَ
والشيب وافى وعنده نزلا وفرّ منه الشبابُ وارتحلا
ما أوقح الشّيب الآتي إذ حلّ لا عن مرضاتي
قد أضعفتني الستون لا زمني وخاانني نقص قوّة البدن
لكن هوى القلبِ ليس ينتقصُ وفيه مع ذا من جرحهِ غصص
يهوى جميع اللذات كما له من عادات
يا عاذلي لا تطل ملامك لي فإنّ سمعي نأى عن العذل
وليس يجدي الملام والفند في من صبابات عشقه جدد
دعني أنا في صبواتي أنت البري من زلاّتي
كم سرني الدهر غير مقتصر بالكأس والغانيات والوتر
نمرح في طيب عيشنا الرغد طرفي وروحي وسائر الجسد
وكم صفت لي خطراتي وساعدتني أوقاتي
مضى رسولي إلى معذبتي وعاد في بهجة مجدّدة
وقال: قالت تعال في عجل لمنزلي قبل أن يجي رجلي

كما تميز في اهتماماته في العلوم الجغرافية من خلال تاليفه كتاب "تقويم البلدان" الذي اجمل فيه مواقع المدن وميزاتها "سنشير إليه بالتفصيل لاحقًا"، لكن أهم ما تميز به أبو الفداء حبه الشديد للدراسات التأريخية، فصنف فيها مصنفات عدة، منها كتاب "اليواقيت والضرب في تاريخ حلب" "مطبوع"، وكتاب "العسجد المسبوك"، ذكر فيه تراجم مختصرة لكبار الملوك والوزراء والأمراء، لكن أهم مصنفاته في حقل التاريخ هو كتاب "المختصر في أخبار البشر" هذا الكتاب الذي

دون فيه معلومات قيمة عن الحقبة الزمنية التي عاصرها من خلال مشاهداته العيانية "وهو موضوع دراستنا".

- **إنجازاته العمرانية:**

شيد ابو الفداء سنة "720هـ/1320م" مجموعة من المنشآت العمرانية في حماة لا تزال آثار قسم منها قائمًا إلى الآن في المنطقة التي تسمى اليوم حارة باب الجسر والتي تقع على الضفة الشمالية لنهر العاصي، أهمها الجامع الذي كان يسمى جامع الدهشة [1]، ولعله أول جامع شيد في الجهة اليمنى لنهر العاصي (الصورة رقم(1) مقابل قلعة حماة الى جوار المدرسة الشافعية التي شيدها الملك المنصور الأول [2]، ويسمى الآن بجامع الحيايا مفردها حية لوجود أعمدة من الرخام داخل الجامع على شكل ضفائر نحتت عليها اشكال تمثل الحيايا وهي في غاية الزينة، ومن خلال تحرينا لنصوص الكتابات داخل الجامع على اعمدته الرخامية اتضح ان الجامع شيد سنة "727هـ /1326م" فقد كتب عليه ما نصه "أمر ببناء المسجد المبارك السلطان الملك المؤيد عماد الدين والدنيا إسماعيل بن الملك الأفضل علي بن الملك المظفر محمود بن الملك المنصور ناصر الدين بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب في شهور سنة سبع وعشرين وسبعمائة"، وللجامع مئذنة مثمنة الشكل ترتكز على قاعدة حجرية مربعة الشكل وهي جزء من قبة الضريح، ولا يمكن تقدير مساحة الجامع الأصلية وذلك لأن جهته الغربية قد تهدمت واصبحت مساحته صغيرة، اذ لا يتجاوز حرمه 300 × 10 م".

الصورة رقم (1)جامع أبي الفداء على نهر العاصي في حماة

(1) العسقلاني: الدرر الكامنة، 372/2.

(2) ابن واصل: مفرج الكروب، 376/2.

كما شيد قصرًا أشتهر في عصره يسمى قصر الدهشة أيضًا غرب جامعه ومربعًا لاستقبال الضيوف وقبة عالية نصب فيها مرصدًا فلكيًا لإهتمامه في الجغرافية وحركة الكواكب والنجوم وحمام على ساقية نحيلة بظاهر حماة شمال ناعورة المحمدية على نهر العاصي واستغرق تشييد هذه المباني أكثر من سنة "وجاء ذلك من أنزه الأماكن" [1]، ويمكن تشبيهها بالمؤسسات الحكومية الحديثة التي تمثل قصرالمملكة ومقر استقبال الضيوف واماكن التنزه فيها لا سيما ان حماة في عهد أبي الفداء شهدت استقرارًا سياسيًا وازدهارًا اقتصاديًا، ولعل الناعورة القريبة منه "ناعورة الدهشة"، كانت مخصصة لسقاية اشجار وغراس هذا القصر وما حوله[2]، وفيه يقول الشاعر صفي الدين الحلي[3]:

الصورة رقم (2) الروشن شرق الجامع النوري الذي شيده ابو الفداء جاء في نصه الكتابي ما يلي: " امر بعمارة هذا الروشن المبارك مولانا السلطان الملك المؤيد عماد الدنيا والدين بن مولانا الملك الأفضل صاحب حماة خلد الله ملكه " 0

سقى وادي حماة الحيا وصيّبُ الودق وهتَّانهُ

وحبذا العاصي ويا حبذا دهشتُهُ الغراءُ وميدانهُ

ويبدو ان سلطان مصر عماد الدين اسماعيل (ت 746هـ /1345م) انبهر بقصر أبي الفداء فبعث المهندسين للكشف عنه وتنفيذ خارطة بنائه في قلعة الجبل وسماه الدهيشة تصغيرًا للدهشة، وشيد السلطان حسن اخو أبي الفداء قصرا مطلًا على المدينة في طرفها الشرقي في المنطقة التي سميت باسمه "الحسنيات" قرب حي جبرين الآن [4]، كما أضاف أبو الفداء الروشن إلى المدرسة الحنفية النورية التي

(1) أشرنا إلى ذلك في كتابنا عن حماة في ظل الايوبيين.

(2) الصابوني: تاريخ حماة، ص93.

(3) ابن حبيب: المنتقى، 186.

(4) المقريزي: خطط، 344/3.

شيدها نور الدين محمود زنكي شرق الجامع النوري، وظلت قائمة إلى عهد ابي الفداء، كما ضمها إلى الجامع النوري كما جاء في النص الكتابي المنقوش على محرابها ما نصه "أمر بعمارة هذا الروشن المبارك مولانا السلطان الملك المؤيد عماد الدنيا والدين بن مولانا الملك الافضل صاحب حماة خلد الله ملكه (الصورة رقم 2).

- **وفاته:**

توفي ابو الفداء سنة "732هـ /1331م" في حماة، وكان قبل وفاته قد هيأ تربته وشيد جامعه على ضفاف نهر العاصي مقابل قلعة حماة، وقد زرنا هذا الجامع، ومرقد أبي الفداء على يمين الداخل إلى الجامع، ولا يزال هذا الجامع ماثلًا للعيان ومن الجوامع المعروفة في حماة "أشرنا إليه فيما سبق"، ولكن الملفت للنظر ان شاهدة قبر أبي الفداء كتب عليها ما نصه "هذا مرقد العالم الكبير اسماعيل أبي الفداء ملك حماة سنة 727"، بينما أجمع المؤرخون على أن وفاته كانت سنة "732هـ /1331هـ"، ولعل ذلك يوضح أن شاهدة القبر قد هيأها ابو الفداء أثناء تشيده للجامع قبل وفاته، فاهمال كلمة توفي تدلل على انه لا زال حيًا، ويؤكد ذلك من خلال تحرينا لنصوص الكتابات داخل الجامع على أعمدته الرخامية الأخرى التي ثبتت تشييد الجامع سنة 727هـ "كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق"، ويبدو أن أبا الفداء كان قد أعد العدة قبل وفاته وتوقع أجله في الوفاة سنة "727هـ /1326م، وشيد الجامع وهيأ مكان تربته في الجهة اليمنى عند مدخل الجامع وشاهدة قبره التي كتب عليها نفس التاريخ، لكن الله سبحانه وتعالى قد أخر وفاته إلى سنة "732هـ /1331م"، وهي السنة التي أجمع عليها المؤرخون بوفاته، وكانت فترة مرضه اثني عشر يومًا وفي الليلة التي توفي فيها كان يقول لغلامه الملازم لخدمته "هلل واذكر الله، فما زال فعلًا يذكر الله، ويهلل وخادمه معه، يهلل ويذكر الله تعالى حتى فارق" الحياة [1] رحمه الله واسكنه فسيح جناته.

(1) الجزري: تاريخ، 540/2.

وكان قد أوصى بتفريق كتبه على أصدقائه منهم أسد الدين اليهودي الذي كان قد خصص له راتبًا، ووضع قسمًا منها على شكل أوقاف، وكانت لوفاته وقع في نفوس الطبقة العامة والمثقفة في حماة، ومنها الشعراء، فقد رثاه الشاعر أبن نُباتة المصري بقصيدة طويلة منها [1]:

ما للنَّدى لا يلبّي صوتَ داعيهِ أظن أن أبن شادي قام ناعيهِ
ما للرجاء قد اشتدّتْ مذاهبُه ما للزمان قد أسودّتْ نواحيهْ
نعى المؤيَّدَ ناعيه، فيا أسفًا غيث، كيف غدتْ عنا غواديهِ
كان المديحُ له عرسًا بدولتهِ فأحسن الله للشعر العَزا فيهِ
يا آل أيّوب صبرًا إن إرثكم من اسم أيوب صبرًا كان منجيهِ
هي المنايا على الأقوامِ دائرةٌ كلٌّ سيأتيهِ منها دورُ ساقيه

(1) ابن الوردي: تتمة المختصر، 456/2 ابن كثير: البداية والنهاية: 134/14، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: 293/9؛ الصفدي: أعيان العصر: 508/1.

الفصل الثاني
أبو الفداء ملكًا على حماة

- **مدخل:**

من حسن حظ أبي الفداء أنه عاش في عصر كانت أسرته "الأيوبية" هي الحاكمة في بلاد الشام ومصر والجزيرة واليمن، وكان عصراً زاخراً بالحوادث العظام، منها الحروب الصليبية، وسقوط الخلافة العباسية في بغداد على يد المغول، وتقدمهم إلى بلاد الشام والجزيرة وأنتصار المسلمين في معركة "عين جالوت"، وغيرها من الحروب الداخلية والخارجية التي إستنزفت طاقات المسلمين.

وكانت هذه الأسرة "الأيوبية" التي ترجع إصولها إلى الكرد، قد هاجرت من مدينة تكريت في العراق، وأصبحت الظروف السياسية مواتية لها للإنقضاض على الدولة الفاطمية في مصر سنة "567هـ/1171م"، وأن تأخذ دورها في بناء جبهة داخلية موحدة، وتساهم في التصدي لكل موجات الغزو الخارجي، بقيادة عميد الأسرة الايوبية صلاح الدين الأيوبي الذي باشر سلطاته الفعلية في مصر، وتهيأت له الفرصة لتوسيع نفوذه في بلاد الشام والجزيرة على أثر وفاة نور الدين محمود زنكي المفاجئة، سنة "569 هـ / 1173 م ".

وبناءً على ذلك تقدم صلاح الدين إلى دمشق وفتحها سنة "570 هـ / 1174 م"، ثم دخل إلى حماة، لكن الأتابكة في الموصل، رفضوا تحركات صلاح الدين، وجهزوا جيشاً، لمقاتلته بقيادة عز الدين مسعود بن قطب الدين بن زنكي سنة "570 هـ /1174م"، وكان هدفهم تقليص نفوذ صلاح الدين في بلاد الشام، وإعادة حماة ودمشق الى البيت الاتابكي، فألتقى الفريقان في مكان يعرف بقرون حماة [1]،

(1) قرون حماة جبلان مطلان على حماة يسمى احداهما بجبل زين العابدين والثاني بجبل معرين.

ودارت بينهما معركة سميت بقرون حماة، أنتصر فيها صلاح الدين، وكان من أبرز نتائجها توسيع النفوذ الايوبي في بلاد الشام والجزيرة، وأعتراف الخلافة العباسية بسلطة صلاح الدين على بلاد الشام ومصر، فوصل إليه مبعوث الخليفة المستضيئ بنور الله، وهو في حماة يحمل اليه "التشريفات السلطانية والتقليد بما أراد من البلاد"، فإطمأن صلاح الدين الى دولته، واستفاد من موقع حماة خلال هذه الفترة، فقدمت له هذه المدينة خدمات كبيرة، فهي المدينة الشامية الثانية بعد دمشق التي انضمت الى دولته واصبحت مركزاَ لإدارته في شمال بلاد الشام، وإستقبل فيها صلاح الدين كبار ضيوفه منهم رسل الخلافة العباسية، وأمير المدينة النبوية السيد عز الدين ابو فليتة القاسم بن مهنا، وأخاه شمس الدولة توران شاه اثناء عودته من اليمن [1]، فضلاً عن اتخاذه لحماة مركزاً عسكرياً، ففيها مخيم جيشه في ميدانها على نهر العاصي، كما ساهم الجيش الحموي في واجبات القتال ضد أعداء صلاح الدين، وظل يعتز بها ويتردد إليها، كلما تهيأت لديه الفرصة، ويصعد إلى قلعتها [2].

ولا تختلف حماة عن غيرها من الممالك الأيوبية التي استقلت، بل قدر لها أن تكون المملكة الايوبية الوحيدة التي تحتفظ بلقب هذه الأسرة اكثر من قرن ونصف من الزمان، بعد ان افل نجم بني أيوب في بلاد الشام والجزيرة ومصر، ففي السنوات الأربع الأولى من حكم صلاح الدين عانت حماة كثيراً من سرعة تنقل الحكام وعزلهم، هذا التنقل الذي اضعف استقرارها السياسي والأمني.

وحينما لاحظ صلاح الدين ان الصليبيين، بدأوا يشكلون خطراً على حماة من خلال الهجمات التي تعرضت لها، قرر ان يحكم السيطرة عليها وينيط إدارتها الى ابن اخيه الملك المظفر الأول تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادي سنة "574 هـ / 1178 م"، ويعد أبو الفداء واحداً من أحفاد تقي الدين، وكان الأخير يتمتع بكفاءة عسكرية عالية، وضم إلى حماة مدناً عديدة في شمال بلاد الشام والجزيرة، أهمها اللاذقية والرها وحران وميافارقين وسميساط وبعرين وسلمية

(1) ابن واصل: مفرج الكروب، 34/2، 48 – 270.

(2) البنداري: سنا البرق، 199؛ ابن الفرات، 49/2/4.

وقلعة نجم ومنبج والموزر وبلاطنس وجبلة الى اعمالها، وفعلا تحقق هذا ولم يتعرض لها الصليبيون طيلة فترة تقي الدين.

إن تجربة حكم تقي الدين في حماة، وما أُلحق بها من المدن المشتتة جغرافياً لن تتكرر ثانية في تاريخها الى الآن، فقد أخفق تقي الدين في تحقيق اصلاحات واسعة فيها، رغم ان له "في أبواب البر كل حسنة"[1]، ولديه ثقافة علمية واسعة اذ أنه كان محدثاً"، وعنده فضل وأدب وشعر"[2]، وكان "كثير الإحسان إلى العلماء والفقراء وأرباب الخير"[3]، لكنه اهمل حماة مقارنة بأنجازاته العمرانية خارجها، فقد عمل على أعادة بناء مدينة اللاذقية[4]، وشيد مؤسسات تعليمية عديدة في دمشق والرها، واهتم بمصر اذ شيد فيها ثلاث مدارس وروضة وحمام اسمه الذهب [5]، بل ان حماة لم تحظ بإهتماماته العمرانية والثقافية سوى جهوده في اعادة بناء قلعتها [6].

ولاقت حماة أضراراً اثناء فترة حكمه كغيره من الحكام الذين سبقوه في إهمالها، حتى أن العملة التي ضربت في عهده لم يدون أسمه عليها سوى اسم الخليفة العباسي الناصر لدين الله وصلاح الدين[7]، بل ان تقي الدين ظل مستمرا في تحقيق طموحاته في التوسع والسيطرة وكان هدفه الاستقلال في السلطة، فدفع حياته ثمن تلك المغامرات، فوصل الى مدينة ملازكرد شرق الأناضول، فأعتراه مرض شديد اثناء قيادته للجيش أدى الى وفاته في يوم الجمعة التاسع عشر من رمضان سنة "587هـ / 1191م"، وهو في نشوة انتصاراته، فأضطر ولده الملك المنصور محمد الأول الذي ورث الحكم في حماة الى قيادة الجيش والانسحاب

(1) ابن خلكان: وفيات الاعيان، 456/3.

(2) ابن واصل: مفرج الكروب، 376/2.

(3) المصدر السابق.

(4) ابن الاثير: الكامل، 168/10.

(5) المنذري: التكملة، 410/1؛ ابو شامة: الروضتين، 182/2 ابن خلكان: وفيات الاعيان، 456/3.

(6) ابن واصل: مفرج الكروب، 80/4.

(7), **P08 5 Paul balog 0By: The coinage of the ayyubids**

الى حماة ودفن والده في المدرسة التي شيدها شمال شرق المدينة [1].

دامت فترة حكم الملك المنصور لحماة ثلاثين عاماً، وكان من افضل ملوكها قدم خلالها خدمات كبيرة الى حماة، فأتخذ سياسة جديدة خالف فيها سياسة والده، أهمها أنه وافق على تقليص رقعتها الجغرافية، وكان يسهر على النظر في شكاوي المواطنين"، ويقضي أشغال الرعية، ولا يحتجب عنهم في أكثر اوقاته"، ولم يهمل الجانب العمراني في حماة بل "كان مؤثراً لعمارة بلده وتحصينه وتقوية أسواره"، وإن الاعمال التي قام بها جعلته يعيش في الوسط العام الشعبي، حتى أنه لقب بالسلطان، وإن موكبه في حماة من أجل المواكب في بلاد الشام"، يركب في خدمته جمع كثير من المعممين من الفضلاء والاماثل من أهل البلد ومن الأمراء الأكابر والاجناد"، واهتم ايضاً بالكتب، فقد "جمع في خزانته من كتب العلوم ما لا مزيد عليه واعتنى بها جيداً، وكان يكثر من مطالعة الكتب ومراجعتها واستحضار العلماء والبحث عنهم" كما أنه دافع عن حماة وحقق انتصارات عسكرية كبيرة ضد القوى المحلية والخارجية الصليبية [2].

لقد شهدت الفترة الاخيرة من حكم الملك المنصور استقراراً سياسياً، إستطاع تجاوز المصاعب التي واجهته حتى أنه تنازل عن كفر طاب وقلعة نجم واحتفظ بسلمية وبعرين ومعرة النعمان ليتمكن من ادارتها لقربها من حماة، وحاول تحسين علاقته مع جيرانه، لكن المنية عاجلته سنة "617هـ / 1220" تاركاً وراءه مرحلة جديدة من الصراعات على السلطة في حماة بين ولديه المظفر الثاني محمود، وقليج ارسلان.

اذ أن انهما كانا قد خرجا كلاهما لقتال الصليبيين في جبهتين مختلفتين، ولم يشهدا وفاة والدهما، فقليج كان في الساحل الشامي للبحر المتوسط، والمظفر في مدينة دمياط المصرية، وزاد من تأزم الموقف وصول قليج الى حماة ونَصّب نفسه ملكاً عليها، قبل وصول أخيه المظفر المعهود له بالحكم من قبل والده، لكن قليج

(1) مفرج الكروب، 377/2.

(2) المصدر نفسه، 80/4 – 81.

عزل عنها بعد الصراع الذي أضر حماة وأهلها سنة "626هـ/1228م"، واعيدت السلطة إلى الملك المظفر في حماة، ونقل لنا المؤرخ ابن أبي الدم الحموي صورة عن مشاهداته في حماة، وهي تستقبل ملكها الجديد، والاحتفالات التي جرت فيها، وهذا نص "التقليد بمملكة حماة"، والمنشور الذي اصدره السلطان الكامل للملك المظفر، وقرار الأخير "بإزالة المنكرات وإسقاط المكوس والضمانات، وخلع على القضاة والامراء والنواب والحاشية والمقدمين ... ولم يبق بالمدينة خاص، ولا عام، إلا ودخل عليه، وقبل يده، وأستبشر الناس بقدومه وسروا بمملكته"[1]، لكن حماة في عهده تقلص نفوذها، واحتفظت بالمعرة فقط [2] 0

وبعد تنصيب الملك الصالح نجم الدين أيوب، سلطاناً على مصر سنة "638 هـ / 1240 م"، أبتهج الملك المظفر في هذا الإنجاز السياسي الكبير وتحققت الوحدة بين القاهرة وحماة، وأُقيمت الخطبة للملك الصالح، وزينت حماة، ونثرت الدراهم، وابتهج عامة السكان، بل ان الملك المظفر شرع في اقامة علاقات سياسية شملت الموصل وماردين ونصيبين، وأمتدت الى بلاد الروم [3] 0

لكن مرض الملك المظفر الثاني وإصابته بالفالج، وصعوبة تلفظه قبل ثلاث سنوات من وفاته عكرت أجواء الفرح التي كان يأمل أن يعيشها، فعاجلته المنية سنة "642 هـ/ 1244 م" وعمره ثلاث واربعون سنة، وكان المؤرخ ابن واصل من المقربين اليه فتألم لوفاته وفارق حماة الى مصر على أثر ذلك، وقال عنه بأنه لا يعرف "من أهل بيته من كان أفرس منه وأشجع" فكان "شهماً شجاعاً الى الغاية القصوى"[4]، وكان لوفاته وقع خاص في نفوس الحمويين اذ أنه حقن النظام الايوبي بشيء من العزم والاندفاع المنشط والتصميم الجديد حسب رأي جب [5]،

(1) ابن أبي الدم: التاريخ المظفري، ورقة 238، 539.

(2) ابن واصل: مفرج الكروب، 273/4، 67/5 – 68.

(3) المصدر نفسه، 323/5، 325، 346 ـ347.

(4) ابو الفداء: المختصر، 273/2، 277.

(5) جب: صلاح الدين الأيوبي، 223.

وفي النتيجة استفاد أحفاده من ولائهم لمصر، ومنهم ابو الفداء، فصار من السهل عليهم إحتكار السلطة الحموية لفترة طويلة، فظل هذا الولاء قائماً في الفترات اللاحقة لعهد الملك المظفر.

تقرر في الحكم في حماة بعد وفاة الملك المظفر الثاني ولده الملك المنصور الثاني، البالغ من العمر عشر سنوات، فتولت والدته الملكة غازية خاتون بنت الملك الكامل إدارة المملكة الحموية التي تعد من الممالك المستقرة في شمال بلاد الشام لارتباطها الوثيق في القاهرة، وتمكنت من الحفاظ على السلطة، وسلمت الحكم الى ولدها الملك المنصور الثاني قبل وفاتها سنة "656هـ/1258م"[1].

لكن المنصور الثاني واجه مصاعب كثيرة في حماة أهمها الخطر المغولي بعد اسقاط الخلافة العباسية في بغداد سنة "656هـ/1258م"، ثم تقدم المغول إلى شمال بلاد الشام وكانت حماة مرشحة لهذا الغزو لأهمية موقعها على الطريق الرئيس بين حلب ودمشق، فسارع وجهاؤها الى تسليم مفاتيحها الى هولاكو ليحقنوا دماء أهلها وأموالهم ومدينتهم فارسل اليهم هولاكو "رجلاً اعجمياً كان يدعي أنه من ذرية خالد بن الوليد يقال له خسرو شاه"، ورغم استسلام المدينة لكن هولاكو دمر قلعتها وزردخانيتها وبيعت الكتب التي فيها بابخس الاثمان، وتمكن احد الحمويين المدعو ابراهيم بن الفرنجية حفظ أسوار المدينة الخارجية بحجة المخاطر التي تترتب عليها من قبل الصليبيين في حصن الأكراد، فبذل "لخسرو شاه جملة كثيرة من المال" في سبيل تحقيق ذلك الغرض، وكان الملك المنصور الثاني قليل التجربة، فلم يمض في حكمه لحماة سوى سنتين، ولا يستطيع مواجهة مثل هذه الاخطار، وحاول تجنب التصادم مع المغول في معركة غير متكافئة، كان يرى نتائجها مسبقاً، لهذا كان عليه ان يترك حماة، ويتوجه إلى مصر ووجد ضالته بالاجتماع في "العساكر الإسلامية" تحت قيادة الملك المظفر قطز الذي أصبح سلطاناً للمسلمين في القاهرة سنة "657 هـ/1258"، فأكرم الأخير الملك المنصور

(1) ابن واصل: مفرج الكروب، 345/5، 355، 373، 211/6.

الثاني "وعظمه وطيب قلبه ... واحبه محبةً شديدة" وارسل له سنجقاً [1]، ويظهر ان لجوء المنصور الى مصر زاد من أهميته في الوسط السياسي في المساهمة في ردع المغول والدفاع عن مركز السلطنة، فقرر سلطانها قطز قيادة حملة عسكرية صوب بلاد الشام لمباغتة المغول سنة "658 هـ/1259" في معركة من أهم معارك التأريخ أطلق عليها "عين جالوت" التي تقع في فلسطين بين بيسان ونابلس، اسفرت عن نتائج باهرة في التاريخ الاسلامي أهمها ظهور أقوى دولة اسلامية تمثلت في دولة المماليك العسكرية بعد اختفاء الدولة العباسية والأيوبية، كما ان القوات المغولية تداعت في التراجع والتخلي عن المواقع التي سيطرت عليها، وبات المسلمون يطاردون فلول المغول المنهارة وكسرت الاسطورة التي تقول بأنهم قوة لا يقهرون، وتحرير أجزاء كثيرة من بلاد الشام، واصبحت دولة المماليك تمتد "من الفرات الى حد مصر"[2]، فأعاد السلطان قطز تنظيم قياداته ونصب الملوك والنواب عليها وبضمنها حماة التي اشترك ملكها المنصور في هذه المعركة، فانعم عليه السلطان بالعودة إليها، وتسلم مقاليد الحكم فيها، وأعاد له مدينتي بعرين والمعرة التي كان حكام حلب قد استولوا عليها سنة "635هـ/1237م"[3].

وصل الملك المنصور إلى حماة وسط ترحيب شعبي كبير من سكانها إحتفاءً بقدومه، واصدر احكامه في القبض على الجماعة الذين "خدموا التتر فاعتقلهم في القلعة"، وكان حكم المغول لحماة أقل من سنة، وبذلك نجح الملك المنصور من تثبيت أركان حكمه من جديد في حماة بولائه المطلق لدولة المماليك في مصر، لكن ادركته المنية سنة "683 هـ/ 1284م"، وكانت فترة حكمه لحماة إحدى وأربعون سنة، وورث الحكم في حماة ولده المظفر الثالث، وقد شهد ابو الفداء هذه الأحداث، وهو لا يزال في مقتبل العمر، ورغم ذلك دَوَنَ لنا معلومات قيمة

(1) ويعني السنجق اللواء في الحرب.

(2) المقريزي: السلوك، 433/1.

(3) ابو الفداء: المختصر، 315/2.

عن مشاهداته، ولباسه التشاريف مع أسرته، كجزء من احتفال حماة بملكها المظفر الجديد، وقد نجح الملك المظفر في كسب ود السلطان قلاوون وتأييده له، ويظهر ان السلطان كان يكن الاحترام للبيت التقوي، ويتبارك فيه فاستقبله في دمشق و"اكرمه وأجلسه إلى جانبه على الطراحة وطيب خاطره، وقال له انت ولدي وأعزُّ من الملك الصالح عندي 000 وأنتم من بيت مبارك ما حضرتم في مكان إلا وكان النصر معكم"، وكان السلطان قلاوون قد أنعم عليه في دمشق "بشعار السلطنة"، وحضر الأمراء ومقدمو الجيش "وساروا معه من الموضع الذي كان فيه، وهي داره المعروفة بالحافظية داخل باب الفراديس ... الى أن وصل إلى قلعة دمشق ومشى الأمراء في خدمته"[1].

- **أبو الفداء يتطلع إلى الحكم في حماة:**

يظهر أن الملك الافضل والد أبي الفداء، كان يرى احقيته في السلطة من ابن أخيه الملك المظفر في حماة، فحاول هو الآخر أن ينتهز الفرصة، ويحاول إلفات نظر السلطان الأشرف لجعل ولدَه أبا الفداء وريثاً للحكم في حماة، فارسل تقدمة الى السلطان بصحبة أبي الفداء فقبلها، وكان السلطان قد أُعجب في حديث الملك الافضل وخبرته في صيد الفهود فطلبه لمرافقته في مصر، لكن الملك الافضل توفي اثناء الطريق في دمشق [2].

كما ان السلطان الأشرف هو الآخر قتل سنة "693 هـ/ 1293م"، وتم تعيين أخيه الملك الناصر سلطاناً على مصر، ثم عزل الأخير بعد مرور سنة على أثر المؤامرة الناجحة التي دبرها له الأمير زين الدين كتبغا، ونصب نفسه سلطاناً، ولقب نفسه بالملك العادل، ثم خلع الأخير من قبل الأمير حسام الدين لاجين سنة "696هـ/1296م"، وبعد مرور سنتين على تولي الاخير السلطنة قتل ايضا من قبل بعض ممالكيه الصغار، وهو

(1) ابن واصل: مفرج الكروب، 354/2 – 355، 295/6، 305، 307، 333.

(2) شاهد الذهبي الملك الأفضل في دمشق فوصفه بالقول: " رأيته كهلاً، خفيف اللحية، بعمامة مدورة، تاريخ الاسلام 99/52.

يلعب الشطرنج، وأُعيد السلطان الناصر بن قلاوون الى الحكم 0[1]

إِّن هذه التغيرات السياسية أثرت بشكل مباشر على حماة، وغيرها من الممالك والنيابات، فاستطاع ملكها المظفر الصمود أمام هولاء السلاطين الجدد، لكنه لم يستطع من إقامة علاقات ودية تضمن بقاء أسرته في الحكم، فوافته المنية سنة "698هـ/1298م"، وهو يمارس هوايته المفضلة الصيد، فكان يدخل الى الكوخ بصحبة أبي الفداء من وقت "السحر ويظل فيه إلى الظهر، ولا يتكلم انتظاراً لنزول النسر على جيفة حمار فيقول ابو الفداء: "وكنا نشم نتن تلك الجيفة فأبتدأ به المرض"، وتوفي على أثر ذلك بعد ان حكم حماة خمس عشرة سنة في ظل ظروف كانت في غاية الصعوبة، ولم يستطع من تعيين خلفاً له في الحكم، وظلت أسرته مختلفة في حسم خلافها على وراثة الحكم في حماة "ولم ينتظم في ذلك الحال" وفاتت فرصتها في الحكم، فقرر سلطان مصر الملك الناصر تعيين قراسنقر الجوكندار نائباً في حماة، فوصلها وتسلم الحكم فيها، ونزل بدار الملك المظفر، واستولى على التركة العائدة لأسرته، لكنه لم يلبث طويلاً في الحكم فعزل في نفس السنة وهي سنة "698هـ /1298م" فخلفه الأمير زين الدين كتبغا المنصوري الذي كان سلطاناً " في مصر، واثناء فترة تولي الأخير الحكم في حماة سنة "699هـ/ 1299م" إستطاع قازان القائد المغولي من غزو بلاد الشام، وكان الأمير زين الدين قد ترأس قيادة الجيش الحموي لمواجهة خطر المغول، فأنتهز الفرصة أحد أمراء حماة المدعو عثمان السبيتاري وسيطر على المدينة "وحكم في البلد والقلعة واستباح الحريم وأموال أهل حماة ... وتلقب بالملك الرحيم" وبعد عودة الجيش الحموي هرب هذا الى المغول، واستمر زين الدين كتبغا في سلطته إلى أن توفي سنة "702هـ/1302م"، وكان أبو الفداء خلال هذه الفترة يسعى إلى إعادة الحكم إليه، فأرسل مبعوثه إلى السلطان الناصر في مصر بعد وفاة زين الدين يطلب منه حماة، فوجد ان "الأمر قد فات"، ونصب الأمير سيف الدين قبجق حاكماً على

(1) ابو الفداء: المختصر، 262/2 – 265، 380.

حماة، فتألم ابو الفداء لذلك، رغم أن السلطان طيب خاطره، واكرمه، وأوعده "الوعود الجميلة بحماة"[1].

وظل موضوع حماة قائماً في حياة أبي الفداء ومولعاً به، فأثناء لقائه بالسلطان الناصر سنة "709هـ/1309م" أعاد عليه الطلب في تنصيبه بحماة بموجب استحقاقه الوراثي، ويبدو أن السلطان كان موافقاً على ذلك لكن الفرصة غير مواتية للبت فيها، فيؤكد أبو الفداء على ذلك بقوله: "فحصل من مولانا السلطان القبول والصدقة، والمواعيد الصادقة بالتصدق عليَّ بحماة"، ثم غادر أبو الفداء الى القاهرة، فالتقى سلطانها مجدداً: وتعهد له "في إنجاز ما وعده به في توليه الحكم بحماة، وأصبحت الفرصة مواتية أثناء عزل سيف الدين قبجق حاكم حماة سنة "710هـ/1310 م"، وعين السلطان الناصر بدلاً عنه الامير اسندمر في حماة، وحاول السلطان تعيين أبي الفداء، لكن اسندمر كان من الأمراء الأقوياء فرفض ذلك العرض، ويبدو أن السلطان أراد التخلص من إسندمر فابعده الى حماة، وكان أبو الفداء يخشى منه أيضاً فترك حماة وتوجه الى دمشق وحاول اسندمر إعادته الى حماة "طوعاً او كرهاً"، لكنه رفض ذلك بحجة "أن السلطان رسم بمقامه بدمشق"، ويبدو أن أبا الفداء كان يواجه مشاكل أخرى جعلته يترك حماة منها: انشقاق أسرته التقوية، ومنافسة أخيه الأكبر منه بدر الدين حسن "ت726هـ/1325م" في الحكم على حماة، حتى أن الخلاف بينهما أدى الى تدخل مهنا بن عيسى أمير العرب لإصلاحهما، لكن الوساطة هذه لم تجد نفعاً، لذلك فضل أبو الفداء الاستقرار في دمشق [2]، وبدر الدين هذا "كان اميراً، وله اقطاعات جليلة، واملاك كثيرة، وعنده فضيلة ومطالعة للعلوم ويحب الفضلاء" ترجم له ابن الجزري، المعاصر له، وقال عنه بان صلاة الغائب أُقيمت عليه في جامع دمشق، بعد وفاته في حماة [3].

(1) أبوالفداء، المختصر: 368/2 – 378، 380 – 389.

(2) أبو الفداء، المختصر: 399/2 – 401.

(3) الجزري: تاريخ، 170/1.

▪ أبو الفداء ملكاً على حماة:

إنَّ التدابير التي اتخذها أبو الفداء في إقامته في دمشق وإعلام السلطان بذلك هيأت له الفرصة في تسلمه الحكم في حماة، ففي نفس السنة التي عين فيها أسندمر عزل عنها وهي سنة "710هـ/1310 م"، ونقل الى حلب لوفاة سيف الدين قبجق نائبها، وصادف أن توجه مهنا بن عيسى الصديق الحميم لأبي الفداء الى مصر ومقابلته للسلطان الناصر، فذكره في تعيين أبي الفداء في حماة، فوافقه السلطان على ذلك، وأرسل مرسوم تنصيبه الى دمشق سنة "710هـ/1310م"، وقد قدر لأبي الفداء ان يلعب دوراً هاماً في اظهار الوجه السياسي والعسكري والاداري لإسرته الايوبية من جديد في حماة، وأعلن عن بالغ سروره في هذا الانجاز التاريخي، وعليه لا بد من مواجهة المشكلة التي يعاني منها، وهو العداء الذي يكنه له اسندمر، فكان الأخير "أشد ما يكون من الغضب بسبب فراقه حماة"، حتى أنّه عزم على قتال أبي الفداء، فتدخل الجيش الحموي، وحال دون تنفيذ مأرب اسندمر، اذ خرجت قوة قتالية الى "قاطع حمص" بقيادة الأمير سيف الدين قجليس، ووفرت الحماية اللازمة لدخول الملك الجديد أبي الفداء الى حماة، وتم تلبيسه التشريف السلطاني، وهو أطلس أحمر بطراز زركش فوقاني، وتحته أطلس أصفر، وكلوته زركش وشاش رقم، ومحلى بالذهب المصري،، وأركب حصان السلطنة المهدى إليه "بسرجه ولجامه"، ودخل إلى حماة وقُرأ المنشور أمام عامة السكان، ثم ان سلطان مصر كان هو الآخر يرغب في التخلص من اسندمر، فأمر أبا الفداء في التوجه إلى حلب، والقبض عليه ففعل ذلك وتم اعتقاله، كما تابع ابو الفداء أيضاً عثمان السبيتاري الذي أساء إلى أهل حماة وهرب إلى المغول وأستقصى أخباره حتى تمكن من القبض عليه وقتله في حماة [1].

وفي سنة "712هـ/1312م" وصل ابو الفداء إلى القاهرة، في زيارة رسمية قابل فيها السلطان الناصر فأكرمه من جديد: "بمملكة حماة، والمعرة، وبارين،

(1) أبو الفداء، المختصر: 402/2 - 404.

تمليكاً"، وليس نيابة كما هو متعارف عليه في التنظيمات الإدارية في العصر المملوكي، وذكر ابو الفداء إن السلطان، لم يكتف بهذا الإهداء، بل: أفاض عليه وعلى أصحابه الخلع، فقال "وشرفني بمركوب بسرجه ولجامه، ثم تصدق عليَّ بثلاثين ألف درهم، وخمسين قطعة من القماش".

ويتضح من خلال تشريف السلطان الصلاحيات التي منحت لأبي الفداء والأستقلال التام في إدارته لحماة، والمكانة العالية التي أصبح يتمتع بها أبو الفداء وإحترامه للبيت الأيوبي وجاء في التشريف ما يلي: "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي عضد الملك الشريف بعماده، وأورث الجد السعيد سعادة أجداده، وبلغ ولينا من تباهى ببابه، ملوك بني الأيام غاية مراده... فأصبح جامع شملها، ورافع لواء فضلها، وناشر جناح عدلها... يحمد على أنه صان بنا الملك وحماه، وكف بكف بأسنا المتطاول على استباحة حماة... ونشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله أما بعد: فإن أولى من عقد له لواء الولاء، وتشرفت باسمه أسرة الملوك وذوي المنابر، وتصرفت أحكامه في ما يشاء من نواه وأوامر، وتجلى في سماء السلطنة شمسه، فقام في دستها مقام من سلف، وأخلف في أيامنا الزاهرة درج من أسلافه، إذ هو ببقائنا إن شاء الله خير خلف، من ورث السلطنة لا عن كلالة، واستحقهما بالأصالة والإثالة والجلالة، وأشرقت الأيام بغرة وجهه المنير، وتشرفت به صدور المحافل، وتشوق إليه بطن السرير، ومن أصبح لسماء المملكة الحموية، وهو زين أملاكها، ومطلع أفلاكها، وهو المقام العالي العمادي ابن الملك الأفضل، نور الدين علي، ابن السلطان الملك المظفر، تقي الدين ولد السلطان الملك المنصور، ولد السلطان الملك المظفر تقي الدين أعطاها شاهنشاه بن أيوب، وهو الذي ما برحت عيوق مملكته إليه متشوفة، ولسان الحال يتلو ضمن الغيب، قل اللهم مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء، إلى أن أظهر الله ما في غيبه المكنون، وأنجز له في أيامنا الوعود، وصدق الظنون، وشيد الله منه الملك بأرفع عماد، ووصل ملكه بملك أسلافه، وسيبقى في عقبه إن شاء الله إلى يوم التناد، فلذلك رسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري الباهري، لا زالت

المماليك مغمورة من عطائه، والملوك تسري من ظل كنفه، تحت مسبول غطائه، أن يستقر في يد المقام العالي العمادي المشار إليه، جميع المملكة الحموية، وبلادها، وأعمالها، وما هو منسوب إليها، ومباشرها التي يعرضها قلمه وقسمه، ومنابرها التي يذكر فيها اسم الله تعالى واسمه، وكثيرها وقليلها، وحقيرها وجليلها، على عادة الشهيد الملك المظفر تقي الدين محمود، إلى حين وفاته... وقلدناه ذلك تقليداً، يضمن للنعمة تخليداً، وللسعادة تجديداً... وفي آخره والله تعالى يؤهل بالنصر مغناه، ويجمل ببقائه صورة دهر هو معناه، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه وكتب في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وسبعمائة، حسب المرسوم الشريف، والحمد لله وحده، وصلواته على محمد وآله وصحبه" [1].

قضى ابو الفداء في منصبه فترة طويلة حتى وافته المنية سنة "732هـ/ 1331م" أبان فيها عن كفاءة إدارية فذة، أتبع فيها سياسة عادلة، فحسنت سيرته، ونشر العدل وقدم خدمات كبيرة الى حماة، قرب العلماء والشعراء والأدباء وشيد العمران وحصن المدينة، ودافع عنها، وإشترك في المعارك التي عاصرها ضد الصليبيين والمغول والأرمن، ودوّنَ أحداثها في مختصره، ولولا هذه المدونات لفقدت أكثر الحقائق التاريخية التي إستفاد منها الطلبة والدارسون والباحثون.

لقد أحاطت بأبي الفداء ظروف مكنته من الوصول الى أعلى مراتب السلطة والثقافة والعلم والثراء، وهيأت له مجالات جديدة في العمل التجاري مع بلدان مختلفة حتى أن السلطان الناصر قد أصدر مرسوماً خاصاً به تضمن إعفاءه من جميع الضرائب، التي تفرض على التجار، وهذه من بين المآخذ التي يمكن تسجيلها على أبي الفداء، فكان عليه أن لا يستغل هذا الإعفاء الضريبي لشخصه، بل يوظف لمملكة حماة، ويبقى هو موظفاً مخلصاً في دولة المماليك، يقف ضد اغراءآت المال والسلطة وأميناً في منصبه، وأن يترك التجارة لتجارها، وإن يقتنع في عمله ملكاً، خاصة ان السلطان قد وجه جل اهتماماته بأبي الفداء وحماته ففي سنة "723هـ/1323م"، أصاب بلاد الشام غلاء شديد نتيجة انحباس الامطار، فارسل

(1) ابو الفداء، المختصر: 410/2 - 412.

السلطان الناصر إلى أبي الفداء خمسين الف درهم نقداً والف مكوك حنطة وستين قطعة قماش من النوع الفاخر الذي يصنع في الاسكندرية، ويسمى الإسكندراني، وكذلك في سنة "725هـ/1324م" أرسل هدية إلى أبي الفداء مقدارها "الفا مثقال ذهباً وثلاثون الف درهم ومائة شقة من افخر القماش المذكور"، فضلاً عن الهدايا التي كانت ترسل إليه سنويا في الأعياد والمناسبات [1].

ولم يكن لأبي الفداء منافسُ في السلطة في حماة، حتى انه طلب من السلطان اخراج المعارضين له من الامراء فيها وابعادهم الى حلب، فيؤكد ذلك بقوله عن موقفه من هؤلاء فيقول: "وانتقلوا باهليهم وجندهم وكانوا نحو أربعة عشر اميراً 000" معارضاً، و"لم يبق منهم غير من اخترت مقامه عندي، وكان هذا من اعظم النفقة والصدقة" من قبل السلطان[2].

وانفرد زين الدين عمر بن الوردي في رواية مفادها ان ابا الفداء وابنه الافضل قد تعرضا لاملاك المسلمين في حماة والمعرة، وقال ان أغلب الاملاك "قد طرحت على الناس غصباً، وقد أُشتريت به هدايا الى الملك الناصر" فقرر السلطان الصالح الذي ورث الحكم عن والده الناصر في مصر إعادة هذه الاموال سنة "746هـ/1345م" من غير تعويض لمالكيها الجدد وبهذه المناسبة نظم احد الشعراء في المعرة بيتين من الشعر ينتقد فيها سياسة أبي الفداء وولده الافضل قائلاً [3]:

طرحوا علينا الملكَ طرحَ مصادرٍ ثم إستردهُ بغير أثمانٍ

وإذا يدُ السلطانِ طالتْ أو إعتَدتْ قيّدَ الإلهُ على يدِ السلطانِ

كان على أبي الفداء أن يتجنب هذه المسائل الأقتصادية والمتاجرة والبيع والشراء في حماة وغيرها بصفته ملكاً، وأن يسعى إلى تحقيق العدالة بين أفراد مملكته، رغم أن هذه الرواية قد توضع في دائرة الشك لانفراد أبن الوردي فيها، الذي ذيل على مختصر أبي الفداء، كما أن أبا الفداء له قيمة عليا عند سلطان مصر

(1) الجزري مصدر سابق: 425/2، 439، 441.

(2) الجزري مصدر سابق: 414/2.

(3) ابن الوردي: تتمة المختصر، 485/2.

كما أشرنا، وإن عطاء أبي الفداء السياسي والحربي والعلمي وخدماته الجليلة في حماة كانت كبيرة، فكان عليه تجنب سياسة الاسراف والبذخ التي انتهجها الملوك والأمراء في ذلك العصر للتقرب من السلطان، فكانت الهدايا التي يرسلها أبوالفداء الى القاهرة "لم يسبقه اليها أحد من أمثاله"[1]، واكد مؤرخ آخر هو شافع بن علي الكاتب بأنّ قيمة الفرس التي كانت تُهدى إلى مركز السلطنة من حماة تبلغ خمسة عشر الف درهم في عهد الملك المنصور الثالث، فسار أبو الفداء على نفس سياسة ملوك ونواب وأمراء ذلك العصر[2].

- **علاقة أبي الفداء مع السلطان الناصر:**

تعد فترة حكم أبي الفداء من الفترات المهمة في تاريخ حماة، اذ شهدت تطوراً في العلاقات السياسية بين حماة والقاهرة، فكان ابو الفداء يعلم كيف يتقرب الى مركز السلطنة بهدوئه وكرمه وصفات أخلاقه العالية، فبدأ مهام عمله بأتباع نفس الأسلوب السياسي الذي رسم من قبل ملوك أسرته السابقين في حماة، بل كان أشد منهم ولاءً لسلطان مصر، ويظهر ذلك من خلال ما اورده من تفصيلات في كتابه المختصر الذي حاول فيه اظهار رؤيته للأحداث السياسية التي كانت قائمة في الساحة المصرية في العزل والتنصيب والقتل لسلاطينها، وكان يرى في شخصية السلطان الناصر بن قلاوون القائد المنقذ للاوضاع السائدة في ذلك العصر، اذ افرد له صفحات مطولة في كتابه المختصر منذ ولادته سنة "685هـ/1286م"، وابتهاجه في هذا الحدث، ولقّبَهُ "بناصر الدين والدنيا"، ولم يترك فرصة، إلا وكان له فيها دعوة طيبة، بل ان شدة تألمه كانت واضحة في كتاباته للظروف الصعبة التي واجهت السلطان اثناء عزله واعتقاله [3]، فساهم مع الجيش الحموي في اعادته الى السلطنة، وأقامت المغنية ضيفة الحموية حفلاً غنائياً في دمشق قرعت فيه الدفوف

(1) الصفدي: نزهة الممالك، 234.

(2) المصري: كتاب الفضل المأثور: 73.

(3) ابو الفداء: المختصر، 356/2، 395.

وحضره كبار القادة والامراء والجند ابتهاجاً بهذه المناسبة [1] 0

وقد كشفت الأحداث التاريخية فيما بعد صحة رؤية أبي الفداء في الملك الناصر، الذي أعيد الى السلطنة، وحقق إنتصارات ناجحة ضد القوى الخارجية، وخاض معارك كبيرة ضد الأرمن في بلاد الروم، وتمكّن من إدارة دولة واسعة امتدت اطرافها من الحجاز واليمن والجزيرة فضلاً عن بلاد الشام ومصر.

ومما لا شك فيه ان الناصر أحب ابا الفداء وما تميز به من قدرة عسكرية وشجاعة فائقة فضلاً على حبه الحقيقي وإخلاصه وولائه له، فحفظ السلطان لأبي الفداء هذه الميزات فأولاه ثقته واعتمد عليه، بل كان اكثر النواب والأمراء إحتراماً وتقرباً له، فكان يرسل اليه الخلع والهدايا والصدقات وأصبح يتمتع باعلى مركز تشريفي في دولة المماليك، فلم تكن سنة من سنوات حكمه في حماة "710هـ ـ 732هـ /1310ـ1331م"، إلا وكان لأبي الفداء فيها حضور في القاهرة، وتكريم من قبل السلطان، اذ بلغ عدد المرات التي أنعم فيها عليه بالتكريم أكثر من عشرين مرة، ولم يكن له منافساً في المنزلة التي تمتع فيها، فكان أول تكريم وصله الى حماة سنة "710 هـ/1310م" بعد تسلمه الحكم فيها، وكان أهم تكريم بالنسبة لأبي الفداء هو تكريمه في القاهرة الذي أمر فيه السلطان كبار رجال دولته من القادة والأمراء وعامة الناس بمرافقة موكبه والسير بين يديه ومن ضمنهم سيف الدين أرغوان نائب السلطنة كما منحه اثناء التكريم لقب الملك الصالح اكراماً له [2]، وهكذا اصبحت منزلته عالية عند السلطان، فلم يستطع مفارقته فأستصحبه معه لاداء فريضة الحج سنة "719هـ/1319م"، فوَثق ابو الفداء تفاصيل هذه الرحلة التي قدم فيها وصفاً رائعاً عن مشاهداته للمناطق والطرق التي سلكها بين القاهرة والحرمين الشريفين وصيد السلطان للطيور والغزلان بواسطة الصقور، وتوزيعه للصدقات والاطعمة والخضراوات أثناء الطريق والتي كانت تحمل على ظهور الجمال، واشار أبو الفداء إلى عدد الأمراء المصاحبين للسلطان وممارسته لطقوس الحج باشراف

(1) الدواداري: كنز الدرر، 174/7.

(2) ابو الفداء: المختصر، 433/2 – 434، 494.

القاضي بدر الدين بن جماعة الحموي [1].

ويظهر ان هذه الرحلة قد عززت ثقة السلطان الناصر بأبي الفداء فلما عاد "عظم في عين السلطان لما رآه من آدابه وفضائله"[2]، وأكتسب ولائه ومحبته المتزايدة الأمر الذي جعل السلطان ينعم عليه بلقب "السلطان" مساوياً للقبه كي يرفع من منزلته بين النواب والملوك والأمراء، ومنذ ذلك الحين بدأ نجم أبي الفداء يتصاعد أكثر، فكان السلطان يقول له: "اذا وصلت الى ديار مصر اسلطنك وتتوجه الى بلدك وانت سلطان"، وهذا اللقب يعد شهادة كبيرة تُبيّن المنزلة المرموقة التي تبوأها ابو الفداء، ولم يكن هذا اللقب مألوفاً للنواب والأمراء في دولة المماليك سوى لسلاطينها، ثم أنعم عليه بعصائب سلطانية تحمل على الرأس في المواكب، "وهذا مما يختص به السلطان، ولا يسوغ لأحد غيره"، وبذلك تمتع ابو الفداء بمنزلة عالية وصلاحيات واسعة وأصبح يتصرف "كيف شاء من تولية وإقطاع إقطاعات الأمراء والجند وغيرهم من المستخدمين من أرباب الوظائف، وترتيب القضاة والخطباء وغيرهما، ويكتب بذلك مناشير وتواقيع من جهته"، ورفعت عن حماة نيابة السلطنة المتعارف عليها في هيكل التنظيم الإداري لدى المماليك، وجرى إحتفال مهيب لسلطنة أبي الفداء في المدرسة المنصورية في القاهرة، حضره المقدمون، وكبار الأمراء من الطبقات الخاصة [3].

ولم يرق لأبي الفداء لقبه الجديد "السلطان" فقد رفضه وبشدة "إستصغاراً لنفسه وأستيحاءاً من السلطان، و"تعظيما لإسمه الشريف" من وجهة نظر أبي الفداء[4]، وقد اشار ابن كثير المعاصر لهذه الأحداث ان سلطان مصر الناصر رسم أن يخطب في القاهرة لأبي الفداء "على منابرها وأعمالها"، وان يخاطب في المكاتبات الرسمية "بالمقام العالي المولوي السلطاني الملكي المؤيدي"[5]،

(1) أبو الفداء المختصر: 432/2.

(2) العسقلاني: الدرر الكامنة، 216/1 – 218.

(3) الدواداري: كنز الدرر، 297/9 – 298.

(4) ابو الفداء، المختصر: 416/2، 433 – 434.

(5) البداية والنهاية: 81/14.

وبذلك أصبحت حماة في عهد سلطانها أبي الفداء تتمتع باستقلال تام بشكل رسمي فيعترف ابو الفداء بذلك ويقول: "وأنفردت بحماة وبعرين منفصلة عن الممالك الشريفة السلطانية"، وخصص لها "خمسمائة فارس بالعدة الكاملة"[1]، وكأنها مركز ثان للسلطنة بعد القاهرة، نافست النيابات والممالك المجاورة لها، ومحطة دبلوماسية للرسل والسفراء الوافدين من وإلى مصر من ملوك وأمراء الشرق والغرب في ذهابهم وإيابهم، وأخذ هذا النشاط الدبلوماسي يزداد في حماة، وقد أعتاد هؤلاء الرسل النزول في بلاط أبي الفداء الحموي، ففي سنة "711هـ/1311م"، وصلها رسل أوشين بن ليفون حاكم الأرمن في بلاد سيس، وقدموا هدية الى أبي الفداء بغلاً وقماشاً، ووصلها سنة "723هـ/1323م" رسل أبي سعيد التتري ونائبه جوبان من بغداد، وإزداد النشاط الدبلوماسي سنة "726هـ/1325م" الى القاهرة وبعكسها، وكان ابو الفداء يفتح لهم أبواب حماة ويهيء لهم الإقامة والضيافة في داره، فوصلها في هذه السنة الامير سيف الدين أتامش مبعوث السلطان من القاهرة الى بغداد، ومن حلب نائبها علاء الدين الطنبغا متوجهاً إلى خدمة السلطان، ومن بغداد وصل رسل المغول، ووصلها من حصن كيفا حاكمها نجم الدين توران شاه، وفي السنة التي تلتها وصل إلى حماة من القاهرة الأمير علاء الدين قطلوبغا المعروف بالمغربي، مستصحباً رسل جوبان في بغداد، وفي سنة "728هـ/1327م"، وصل الى حماة سيف الدين أروج وشهاب الدين احمد المهمندار رسولي السلطان إلى بغداد وسيس، حتى ان اقرباء السلطان من النساء كنَّ يصلن الى حماة، ويأخذْنَ قسطاً من الراحة فيها، ثم يغادرن الى القاهرة، مثلما فعلت أرلان التي يرجع نسبها الى والدة السلطان، كما ان أبا الفداء كان يستقبل: قسماً من هؤلاء الرسل القادمين اليه قبل دخولهم حماة، وحسب منزلة الرسول، والجهة التي يمثلها، فقد خرج الى حمص سنة "729هـ/1328م" لأستقبال المقر السيفي أرغوان النائب في حلب أثناء عودته من القاهرة فأنزله في حماة، وبات فيها ليلة، ثم غادرها في اليوم الثاني متوجهاً الى حلب، وكان آخر هؤلاء الرسل الذين وصلوا إلى حماة هو تمر بغا

(1) أبوالفداء، المختصر: 415/2 – 416.

سنة "730هـ/1329م" رسول أبي سعيد في بغداد [1].

وأزاء هذه المواقف الطيبة من قبل أبي الفداء، وتقديره العالي لرسل القاهرة، فقد ترك انطباعاً حسناً عند السلطان، فيتحدث أبو الفداء عن ذلك فيقول: ولقد "أولاني من الصدقة ما لم يفعله الوالد مع ولده"[2]، ويظهر أن أبا الفداء أصبح من كبار خواصه فكان "يكرمه ويعظمه"[3]، ويحضر مجالسه الرسمية واستقباله للرسل الوافدين من الدول والامصار، فقد حضر استقبال السلطان الناصر لرسول حاكم برشلونة الافرنجي سنة "723هـ/1323م"، كما حضر إستقبال السلطان لرسل المغول في بغداد سنة "724هـ/1323م" في قلعة الجبل، ويصف ابو الفداء في مختصره ذلك اليوم بأنّه كان من الايام المشهودة في التاريخ، "لبس فيه جميع الأمراء والمقدمون والمماليك السلطانية، وغيرهم الكلوتات المزركشات، والطرز الذهب"، ثم يؤكد أبو الفداء أيضاً استقبال السلطان لرسل المغول في سنة "728هـ/1327م"، وكان قد حضر مراسيم هذا الإستقبال عند إهرامات الجيزة، وقدم وصفاً عن هذا الوفد المكون من ثلاثة أعضاء وبصحبتهم مائة رجل، والخيمة التي اقاموا فيها، والمبالغة في اكرامهم، وحسن معاملتهم والإنعام عليهم[4].

وكان السلطان يستدعي ابا الفداء من حماة الى القاهرة، رغم بعد المسافة ومشقة الطريق، واصبح تواجده ضروري في القاهرة سنوياً بمعدل مرة أو أكثر طيلة السنوات التي حكم فيها حماة، وقد أزدادت هذه الزيارات في العقد الأخير من حياة أبي الفداء حتى أصبحت فترات مكوثه في مصر طويلة بل كان يستصحب "أولاده وأهله"، ويبدو أن زوجته كانت غير قادرة على تحمل متاعب السفر، ولربما جعلها تاخذ قسطاً من الراحة في دمشق[5].

(1) أبوالفداء، المختصر: 407/2 – 450.

(2) المصدر نفسه، 434/2.

(3) ابن كثير: البداية والنهاية، 134/14.

(4) المصدر السابق، 439/2 – 440، 446.

(5) الجزري: تاريخ، 195/2.

وكانت مراسيم السلطنة تصل الى حماة بصورة مستعجلة على البريد السريع، تقتضي حضور أبي الفداء، وهذا دليل على شغف السلطان به، بل تُجهز له الرواتب والخدمات الخاصة اثناء سفره في الطريق مثل: الاغنام والخبز وحوائج الطعام والشعير "والحلاوة والسكر والشمع زائدا عن الاقامات المرتبة في الطرقات"، وكان ابو الفداء يخرج مع السلطان بعد وصوله القاهرة في رحلات الصيد التي مهر فيها أبو الفداء في مناطق الجيزة والحمامات التي تقع غربي الإسكندرية [1].

ويظهر أن السلطان أعجب في شخصية أبي الفداء، لأنه يتمتع بمؤهلات خلقية عالية فضلا عن ذكاءه وثقافته الواسعة، فقد كان مؤرخاً وجغرافياً ونحوياً وشاعراً وطبيباً، اشاد به الإسنوي قائلاً: "كان جامعاً لأشتات العلوم أعجوبة من أعاجيب الدنيا"[2]، فقد توج أعماله العلمية في تصنيف مصنفات عديدة في علوم التاريخ والجغرافية والنحو وغيرها من المصنفات الكثيرة التي فقد اكثرها، ولقي ربه يوم الخميس الثامن والعشرين من المحرم سنة "732هـ/1331م"، "ولما بلغ السلطان موته أسف عليه جداً وحزن عليه "[3]، وكانت فترة مرضه اثني عشر يوماً، وفي الليلة التي توفي فيها كان يقول لغلامه الملازم لخدمته "هلل وأذكر الله، فما زال فعلاً يذكر الله، ويهلل وخادمه معه، يهلل ويذكر الله تعالى حتى فارق" الحياة، وقد وقفنا على مرقده الشريف في جامع أبي الفداء "الحيايا"، في تموز سنة 2007 م، وترحمنا عليه وتذكرنا كيف كانت حماة في عصره [4].

(1) ابو الفداء: المختصر، 429/2 – 447؛ النويري: نهاية الارب، 301/33.

(2) طبقات الشافعية: 257/2.

(3) العسقلاني: الدرر الكامنة، 217/1.

(4) الجزري: تاريخ، 540/2.

الفصل الثالث
أبو الفداء والغزو الخارجي

1. ضد الصليبيين:

أثبت أبو الفداء أنه يمتلك مؤهلات عسكرية عالية من خلال المعارك التي ساهم فيها في الدفاع عن بلاد الشام والجزيرة، فقد تدرج بالمناصب العسكرية، فكان برتبة جندي، ثم أميراً لعشرة فرسان، وأميراً يترأس (40) فارساً، يسمى "الطبلخانة"، ثم قائداً، وملكاً، وكانت أولى المهام العسكرية التي شارك فيها هي معركة تحرير حصن المرقب بقيادة السلطان سيف الدين قلاوون سنة "684هـ/1285م"، وكان هذا الحصن من الحصون المنيعة للصليبيين، و"لم يطمع أحد من الملوك الماضين في فتحه" لشدة حصانته وإرتفاعه، وكان أبو الفداء قد حضر تحرير هذا الحصن، وعمره نحو اثنتي عشرة سنة، ونقل لنا صورة عن حصار هذا الحصن واستسلامه فقال: "إنني حضرت حصار الحصن المذكور، وعمري إذ ذاك نحو اثنتي عشرة سنة، وهو أول قتال رأيته، وكنت مع والدي، ولما تمكنت النقوب من أسوار القلعة، طلب أهله الأمان، أجابهم السلطان، رغبة في إبقاء عمارته، فإنه لو أخذه بالسيف وهدمه، كان حصل التعب في إعادة عمارته، فأعطى أهله الأمان، على أن يتوجهوا بما يقدرون على حمله، غير السلاح، وصعدت السناجق السلطانية على حصن المرقب المذكور، وتسلمه في الساعة الثامنة من نهار الجمعة [1]".

وحضر ايضا تحرير مدينة طرابلس سنة "687هـ /1288م"، ونقل صورة أخرى عن محاصرة المدينة، والضغوط الحاصلة عليها، وهروب أهلها بعد دخول الجيش الإسلامي اليها، [2]، كما ساهم بتحرير مدن عكا وصيدا وبيروت وصور وعثليث

(1) أبوالفداء، المختصر: 2/355 – 356.

(2) أبوالفداء، المختصر: 2/358.

وطرطوس سنة "690هـ/1291م" بقيادة السلطان الاشرف خليل، ويظهر ان عكا قد تركت في نفسه مواقف صعبة قال عنها: وكنت "أمير عشرة"، فحمل فرسانه عجلة المنجنيق، وواجهوا صعوبات بالتنقل بالعجول والأبقار "ووقوع الأمطار والثلوج" بين حصن الأكراد ودمشق، ثم يقول: "فقاسينا من ذلك بسبب جر العجل، وضعف البقر وموتها بسبب البرد، شدة عظيمة، وسرنا بسبب العجل من حصن الأكراد إلى عكا شهراً، وذلك مسير نحو ثمانية أيام للخيل على العادة، وكذلك أمر السلطان الملك الأشرف بجر المجانيق الكبار والصغار، ما لم يجتمع على غيرها،... واشتد على "عكا" القتال، ولم يغلق الفرنج غالب أبوابها، بل كانت مفتوحة، وهم يقاتلون فيها، وكانت منزلة الحمويين برأس الميمنة، على عادتهم، فكنا على جانب البحر "المتوسط"، والبحر عن يميننا إذا واجهنا عكا... وكانوا يرموننا بالنشاب والجروخ... حتى إتفق في بعض الليالي هبوب رياح قوية...وتكاثرت عليهم العساكر فولى الفرنج منهزمين إلى البلد، وقتل عسكر حماة العديد منهم فلما أصبح الصباح، علق الملك المظفر صاحب حماة عدة من رؤوس الفرنج في رقاب خيلهم التي كسبها العسكر منهم، وأحضر ذلك إلى السلطان الملك الأشرف، واشتدت مضايقة العسكر لعكا حتى فتحها الله تعالى لهم... "[1]

ومن بين المعارك المهمة التي خاضها أبو الفداء هي معركة تحرير مدينة ملطية سنة "715هـ/1315م"، التي اشترك فيها أبو الفداء ولخصها في معانيها ودلالاتها والأضرار التي لحقت بالمسلمين منها: كيفية التقدم في الوصول إلى المدينة والإستيلاء عليها وحرقها وتهديمها والبطش في سكانها ونهب الجند ما فيها "من أموال المسلمين والنصارى ... وكذلك استرقوا جميع أهلها"[2]، وبذلك لم يبق للصليبيين مكاناً لهم في بلاد الشام ومصر إلا اخرجوا منه 0

1. ضد الأرمن:

كما ساهم أبو الفداء في المعارك التي شنها المماليك ضد الأرمن، فقد حاول

(1) المصدر نفسه: 2/359 – 360.

(2) أبوالفداء، المختصر: 2/418 – 420.

هؤلاء الأرمن الوقوف ضد تطلعات المسلمين لتحقيق أطماعهم التوسعية، فتحالفوا مع الصليبيين والمغول وبيزنطة وأوربا، وشكلوا خطراً على المناطق الإسلامية بضمنها حلب وإنطاكية والرها وغيرها، مما أثار غضب المسلمين في بلاد الشام ومصر، فجهزوا سلسلة من الحملات العسكرية التي أستغرقت أكثر من قرنين من الزمان، فحاول السلاجقة والأراتقة والزنكيون والايوبيون والمماليك تجهيز الحملات العسكرية ضدهم، وتقليص دائرة نفوذهم.

فساهم أبو الفداء في هذه الحملات، وكانت قلعة الروم غربي نهر الفرات من المراكز المرشحة للفتح، ففي سنة "691هـ/1291م" جهز السلطان الملك الأشرف حملة عسكرية قادها بنفسه، ومن بين أمراء الجيش المساهمين في هذه الحملة مؤرخنا أبو الفداء الذي قدم لنا وصفاً لفعاليات الجيش الحموي فقال: "وكانت منزلة الحمويين على رأس الجبل المطل على القلعة من شرقها فكنا نشاهد أحوال أهلها في مشيهم وسعيهم في القتال ...فتقدم مرسوم السلطان الى صاحب حماة أن يرمي عليهم بالمنجنيق، فلما وترناه لنرمي عليهم طلبوا الأمان من السلطان، فلم يؤمنهم، إلا على أرواحهم، وأن يكونوا أسرى فأجابوا إلى ذلك، وأخذ كينا غيلوس الأرمني وجميع من كان بالقلعة أسرى عن اخرهم، ورتب السلطان علم الدين سنجر الشجاعي لتحصين القلعة"[1]، وأعاد ما هدم فيها بعد حصار دام خمسة وعشرين يوماً [2]، وغير السلطان الأشرف اسمها، واطلق عليها اسم قلعة المسلمين[3]، ثم رجع قافلاً إلى حماة بعد ان كان قد أنطلق منها "وقام الملك المظفر بوظائف خدمته"[4].

ولم يمكث سلطان مصر الجديد حسام الدين لاجين في الحكم سوى مدة قليلة، لكنه أستطاع أن يقود حملة كبيرة إلى أرمينيا الصغرى سنة "697هـ/1297م"

(1) المصدر نفسه: 362/2 – 363.

(2) الذهبي: العبر، 371/5/1.

(3) القلقشندي: مأثر الإنافة، 122/2.

(4) ابو الفداء: المختصر، 363/2.

أستدعى خلالها كبار أمراء الجيش في مصر وبلاد الشام وبضمنهم الملك المظفر الثالث حاكم حماة، ويظهر أن هناك خطة حربية رسمت من قبل السلطان لمهاجمة الأرمن تكون على شكل مرحلتين تضمنت المرحلة الاولى: دخول الجيش الإسلامي عن طريق مدينة الاسكندرونة وعبوره نهر جيحان الحد الفاصل بين المسلمين والارمن، والقيام بنصب الكمائن وشن الغارات وإستطلاع قوة الارمن ورد فعلهم، وتليها المرحلة الثانية: وهي العودة الى حلب لتحقيق مبدأ المباغتة والتظاهر بالانسحاب، ثم التوجه إلى حموص[1] من أعمال حلب وتحريرها، وكان أبو الفداء من المساهمين في هذه الحملة ايضاً، وقدم لنا صورة عن الحصار الذي فرض على حموص فقال: "وهذه الغزوة من الغزوات التي حضرتها وشاهدتها من أولها إلى آخرها ... وكان قد أجتمع فيها من الارمن عالم عظيم ليعتصموا بها، وكذلك أجتمع فيها من الدواب شئ كثير هلكت غالبها بالعطش: "من شدة الحصار الذي دام سبعة عشر يوماً"، كما هلكت النساء والاطفال، وأخرج أهل حموص نحو الف ومائتين من النساء والصبيان فتقاسمهم العسكر وغنموهم"، فكانت حصة أبي الفداء "جاريتين ومملوكاً"، وكان من أبرز نتائج هذه المعركة الضغط على ملك الأرمن سنباط بن ليفون وعزله، وتنصيب أخيه دندين، فجنح الأخير في إقرار الصلح وإقامة العلاقات السياسية مع المسلمين [2].

وفي سنة "702هـ/1302م" وصل أمير السلاح المصري بدر الدين بكتاش إلى حماة، وتم تجهيز قوة من جيشها لتوجيه ضربات عسكرية إلى الأرمن، فتمكنت القوة من دخول بغراس وحققت إنتشاراً واسعاً في مناطق سيس "فحرقت الزروع ونهبت ما وجدت"، ويظهر أن هذه القوة كانت صغيرة في عددها، فأسرعت بالعودة إلى حماة، بعد أن أستغرق مسيرها شهراً، وكان أبو الفداء ضمن هذه القوة فقال: ونزلنا على سيس، وزحفنا عليها، وأخذنا من سفح قلعتها شيئاً كثيراً [3] ".

(1) تبعد حموص عن حلب (29كم) تقريباً.

(2) ابوالفداء: المختصر، 372/2 - 374.

(3) المصدر نفسه: 386/2.

وفي السنة التالية ساهم الجيش الحموي في حملة عسكرية أخرى، بلغ تعدادها اكثر من أربعة آلاف مقاتل أستطاعوا خلالها من إعادة تل حمدون في بلاد سيس "وإرجاعها من الأرمن، وهدموها الى الأرض"، وذكر أبو الفداء بأنه: لم يحضر هذه الغزوة لأنه كان في الحجاز، لإداء فريضة الحج [1].

2. ضد المغول:

وحينما برز المماليك كقوة عسكرية جديدة في العالم الإسلامي، حاولوا ايقاف التسابق الصليبي من الغرب، والمغولي التتري من الشرق، وبذلوا ما بوسعهم للتصدي لهذين الخطرين، وسخروا كافة العوامل التعبوية والعسكرية من أجل تحقيق ذلك الهدف، وقد تبنت حماة مشروع مقاتلة الغزاة والطامعين ضمن تشكيلات الجيش الإسلامي، ولعبت دورها في مجاهدة هؤلاء الدخلاء، وكان لجندها حماس للمساهمة في القتال، ومنهم أبو الفداء ضد هاتين القوتين بشكل نظامي، ففي ربيع سنة "702هـ/ 1302م" قرر الجيش الإسلامي في شمال بلاد الشام الدخول في مواجهة عسكرية ضد المغول، فاجتمعت العساكر في حماة، وكان نائبها زين الدين كتبغا مريضاً أثناء هذه الفترة فاوكلت مهمة قيادة الجيش الحموي الى الأمرين سيف الدين أغرلو وأبي الفداء، وبلغ مجموع تعداد القوة المهاجمة الفاً وخمسمائة مقاتل، بينما كان المغول ضعف هذا العدد[2]، فألتقى الطرفان في موقع يقال له الكوم على مقربة من عرض من أعمال حلب، ورغم قلة جيش المسلمين وافتقاده الى الكثير من مستلزمات القتال، لكنه كان يتمتع بروح معنوية عالية، وإيمان مطلق في تحقيق النصر، ودوّنَ أبو الفداء أحداث هذه المعركة، فلندعه يتحدث لنا عن وقائعها فقال: "فصبر الفريقان ثم نصر الله المسلمين، وولى التتر منهزمين، وترجل منهم جماعة كثيرة عن خيلهم، وأحاط المسلمون بهم بعد فراغهم من الوقعة، وبذلوا لهم الأمان، فلم يقبلوا وقاتلوا بالنشاب، وعملوا سروج الخيل ستائر

(1) المصدر نفسه: 391/2.

(2) النويري: نهاية الارب، 27/32 – 28؛ البرزالي: المقتفي، 217/3.

لهم وناوبهم العسكر القتال من الضحى إلى إنفراك الظهر، ثم حملوا عليهم فقتلوهم عن آخرهم 000 ثم عدنا مؤيدين منصورين ووصلنا إلى حماة يوم الثلاثاء ثالث عشر شعبان المذكور الموافق لثاني نيسان"[1].

لقد أدرك أبو الفداء أن الانتصار الحاصل ضد المغول في هذه المعركة لم يكن من السهل تحقيقه، ما لم تكن هناك عزيمة من قبل المقاتلين، مقابل انهيار معنويات المغول، فتوقع تحقيق نصر حاسم في معركة قادمة فقال: "كان هذا النصر عنوان النصر الثاني"، وبالفعل كانت القيادات العسكرية في مصر وبلاد الشام قد تهيأت للمعركة الجديدة، وأعادت تنظيمات الجيش، وزادت نفقاته وإستخرجت: "ثلث أموال" الأغنياء وتم انفاقها على التجهيز الحربي[2]، فتحقق ذلك في معركة شقحب جنوب دمشق، حينما تقدمت القوات المغولية سنة (702هـ/ 1302م)، بعد أقل من شهر من المعركة السابقة، وأستطاعت الوصول الى قرية تسمى القريتين، تقع ضمن أعمال حمص، ولم يكن سلطان مصر كتبغا يدرك سرعة مباغتة المغول، ووصولهم إلى بلاد الشام، فكان الإستعداد إلى المعركة، ومواجهة المغول في غاية الصعوبة بالنسبة له، لكن الجيش المحلي في دمشق وحلب والساحل الشامي كان على أتم الأستعداد لهذه المواجهة، فوصل الى حماة واستقر فيها وغدت هذه المدينة مركزاً لقيادة الجيش وإدارة العمليات العسكرية، حتى أن أبن تيمية وصل الى حماة، واجتمع بالجيش المتواجد فيها، وقيل وصل على مقربة منها [3]، وحلفهم على مواصلة القتال وكان "يحلف للامراء والناس أنكم هذه الكرة منصورون"[4]، وبالفعل تحققت توقعات ابن تيمية وابو الفداء الذي سبقه في تحليله لنتائج المعركة، فحينما قرر المغول "بجموعهم العظيمة" التي بغلت حوالي خمسين الف مقاتل، بل قيل اكثر بقيادة قتلغشاه مهاجمة حماة مركز التحشد العسكري، كان زين

(1) أبوالفداء: المختصر، 387/2.

(2) المصدر نفسه : 385/2 – 387.

(3) البرزالي: المقتفي، 219/3.

(4) ابن كثير: البداية والنهاية، 21/14.

الدين كتبغا نائبها قد أمر الجيش بالانسحاب منها، وترك فيها ابو الفداء لرصد تحركات المغول في المنطقة، وكان ابو الفداء قد أتخذ من موضع العليليات [1] في حماة مكاناً للإشراف على المدينة وقلعتها ومراقبة تحركات المغول، فشاهد الجيش المغولي يترجل في ظاهرها، فانسحب مسرعاً لإبلاغ نائب حماة بهذه التطورات[2]0

ولربما ان قدرة حماة الدفاعية وتحصين أسوارها قد أرغمت المغول على التخلي عن فكرة الإستيلاء عليها لأن في حصارها ضياع للوقت، بل كان هدفهم السوقي إحراز إنتصار ضد الجيش الاسلامي، وفرض السيطرة على أغلب المواقع في بلاد الشام، لهذا تركوا حماة "وتوجهوا إلى دمشق طالبين الجيش" لمقاتلته على إنفراد قبل وصول الإمدادات العسكرية من مصر، لكن رؤيتهم هذه كانت خاطئة، فقد تزامن وصول طلائع الجيش المصري بقيادة السلطان الناصر مع وصول جيش المغول إلى غوطة دمشق التي أخلاها سكانها خوفاً من بطشهم، والتقى الجيشان في مرج الصفر، المكان الذي أحرز فيه المسلون الأوائل النصر ضد جيش الروم سنة "13هـ/634م"، وكان يرافق السلطان الاشرف الخليفة العباسي المستكفي بالله أبو الربيع سليمان، وكبار الأمراء والقادة في مصر وبلاد الشام [3].

وجرت بين الطرفين معركة تأريخية كبيرة عصر "الثاني من رمضان، وأشتد القتال بينهما وتكردس التتر على الميمنة فاستشهد من المسلمين خلق كثير ... وأنزل الله النصر على القلب والميسرة ... فنزل التتر على جبل هناك بطرف مرج الصفر، وأشعلوا النيران وأحاط المسلمون بهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة" وبدأوا بمطاردتهم إلى نهر الفرات، فحاولوا عبور هذا النهر لكن زيادة الماء فيه قد أغرقت أعداداً هائلة منهم، وتم أسر الباقين"، واخذ منهم العرب جماعة كثيرة "أثناء الطريق"، ويختم أبو الفداء حديثه عن هذه المعركة التي ساهم فيها كما أشرنا

(1) العليليات: تقع جنوب شرق حماة ولا يزال هذا الموضع من الاماكن المرتفعة فيها وان انتشار العمران حجب الناظر ان يرى أجزاء كثيرة من الاماكن القديمة فيها.

(2) ابو الفداء: المختصر 388/2.

(3) النويري: نهاية الارب، 30/32.

فيقول: "ولما حصل هذا النصر العظيم وأجتمعت العساكر أعطاهم السلطان الدستور فسارت العساكر الحلبية والحموية والساحلية الى بلادهم فدخلنا حماة مؤيدين منصورين"، وكان لهذا الانتصار نتائج مهمة أهمها الحزن الشديد الذي لاحق قازان المغولي الذي" أشتد همه بسبب هزيمة عسكره وكسرتهم على مرج الصفر فلحقته حمى حادة ومات مكموداً "على أثرها [1]، كما أسفرت المعركة عن فشل المغول في تحقيق نصر ضد المسلمين في بلاد الشام ومصر وتوقف نشاطاتهم الحربية لسنوات طويلة، وظلت حماة في عهد ملكها أبي الفداء تواصل نشاطاتها العسكرية ضد المغول، وكان جندها في حالة إستعداد قتالي طيلة الفترة التي أعقبت توقف الفعاليات العسكرية، فقد كلفوا بواجبات عسكرية في حلب ضد أي خطر مغولي، ففي حوادث سنة "712هـ /1312م"، يؤكد أبو الفداء أن كشافته كانت: "تصل إلى عرض والسخنة" وهما من اعمال حلب، لجمع المعلومات عن تحركات المغول [2]، ويبدو واضحاً أهمية الدور الذي لعبه أبو الفداء وجيش حماة وملوكها وامراؤها وأهلها في صد هجمات المغول على المدينة، وخارجها وما كلفها ذلك من تضحيات بشرية ومادية.

(1) ابو الفداء: المختصر، 387/2 – 390.

(2) المصدر نفسه، 413/2.

الفصل الرابع
أبو الفداء مؤرخًا

- **أراء ابي الفداء التاريخية في كتابه المختصر:**

قبل الدخول في موضوع المنهج التأريخي عند ابي الفداء، لا بد من التعرف على آرائه في الكتابة التاريخية وإدراكه لمصطلح التاريخ، فكان يرى إن التاريخ ما يؤرخ بحساب الوقت لحاجة الأمة الى تدوين أعمالها وضبط مصالحها وإدارتها ومؤسساتها وسياساتها وحوادثها، وهذا المفهوم كان شائعا حسب تطوره الزمني وفهمه من قبل الرعيل الأول من المؤرخين المسلمين، وقدم ابو الفداء ايضاحات كاملة في كتابه المختصرحول ما يعني مصطلح التاريخ في جمع الروايات وترتيبها وتدوينها حسب الأيام والشهور والسنين دون شك فيها، بل ذهب أبعد من ذلك حينما قال: إنّ لفظة كلمة التاريخ "محدثة في لغة العرب"، ويرى أنّ لكل أمة تاريخاً وإن تاريخ العرب القديم "مضطرب وفاسد"، و"لا مطمع في اصلاحه" لكثرة الاختلافات في تدوين الحوادث ولغات العرب وان إصلاحه اصبح "في غاية التعسر"، كما انتقد المؤرخين الذين كتبوا في تاريخ العرب قبل الاسلام "لانهم يؤرخون من ابتداء ملك كل من يتملك منهم فكثرت ابتدآءت تواريخهم[1] ".

وكان أبو الفداء يرى ان تاريخ العرب الموثق يبدأ من الهجرة النبوية الشريفة بوصفها حدث كبير في تاريخهم، وإبتداء دولتهم، ولم يكن ابو الفداء قد ابتكر تفسيراً جديداً للتاريخ في هذه المرحلة، بل أعاد فهمه للتاريخ إلى عصر الخلفاء الراشدين، فقد كان مفهوم التاريخ خلال هذا العصر محدوداً في قواعده وأساليبه وأهدافه، بل كان مقتصراً على حاجة الدولة الى تدوين أعمالها وسياساتها

(1) أبوالفداء المختصر: 13/1.

وسجلات عطائها، وقد أيد ابو الفداء هذا المفهوم على أن التاريخ يساوي الوقت بدلائل تاريخية أخرى حينما اشار الى رواية الصحابي ميمون بن مهران التي مفادها ان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفع اليه صكاً في شهر شعبان، وقد أختلط الأمر على الخليفة في تحديد الشهر السابق أم اللاحق، فجمع وجوه الصحابة وطلب منهم حلولاً لضبط الاموال وتقسيمها وتوصلوا إلى "وقت يجعلونه أولاً لتاريخ دولة الإسلام"، يبدأ من تاريخ الهجرة النبوية، وهذا يعني ان العرب لم يكن لديهم تاريخ قبل هذا الوقت في مفهوم ابي الفداء.

ثم تطور هذا المفهوم لدى المسلمين ليشمل التدوين التاريخي لأسباب نزول آيات القرآن الكريم، وجمع الحديث النبوي وتدوين أخبار العرب والمسلمين والمغازي والتواريخ العامة وتواريخ المدن والتراجم والطبقات والانساب، والواقع أن أبا الفداء كان واضحاً في تحديد أرائه للتاريخ، وكان ملتزماً في منهجية تطبيقها، بل كان من أكثر المؤرخين تشدداً في تحديد اليوم والشهر والسنة وأعدها من واجبات المؤرخ الرئيسة في نظره، لهذا أهمل تواريخ ملوك حمير لشدة المبالغة في طول مدة حكمهم البالغة الفين وعشرين سنة مقابل ستة وعشرين ملكاً، وأعد ذلك خارجاً عن المنطق التاريخي، فكان ابو الفداء دقيقا في تحديد التواريخ ويأتي في مقدمة المؤرخين الذين أستخدوا التاريخ الهجري والميلادي، وتحديد الساعة واليوم والشهر الذي تقع فيه الحادثة التاريخية في اكثر من مشهد تاريخي، فمثلا يذكر ولادة الملك المظفر محمود فيقول: "وفي هذه السنة أعني سنة سبع وخمسين وستمائة في الساعة العاشرة من ليلة الاحد خامس عشر المحرم وثاني عشر كانون الثاني ولد محمود...الخ [1]"، وحينما دون احداث معركة حمص التي حدثت بين المسلمين والتتر قال: "والتقى الفريقان بظاهر حمص في الساعة الرابعة من يوم الخميس رابع عشر رجب من هذه السنة أعني سنة ثمانين وستمائة وأنزل الله نصرته إلى القلب والميمنة فهزموا من كان قبالتهم من التتر"، وذكر حصن المرقب الذي استلمه المسلمون من الصليبيين، وكان هو حاضراً اثناء الاستلام

(1) ابو الفداء: المختصر، 113/1، 182، 308/2.

فقال: "وصعدت السناجق السلطانية على حصن المرقب المذكور" وتسلمناه "في الساعة الثامنة من نهار الجمعة تاسع عشر ربيع الأول عن هذه السنة أعني سنة أربع وثمانين وستمائة" والامثلة على ذلك كثيرة.

وكان يذكر في نهاية أحداث كل سنة التعبير الذي أتفق عليه أغلبية مؤرخي المنهج الحولي، فمثلا يقول: "وفيها توفي" "وفيها زاد نهر النيل"، "وفي هذه السنة حج السلطان"، "وفيها حدث الزلزال"، "وفيها وصل رسول الخليفة"، وهكذا كان يدون الاحداث التاريخية المهمة في نهاية كل سنة، واذا لم يقع حدث مهم في سنة من السنوات فيتركها قائلاً"، ولم يقع لنا فيها ما يصلح أن يؤرخ"، كما حدث سنة "650هـ/ 1252م"[1].

وبالرغم من استيعاب أبي الفداء لهذا الفهم التأريخي الحولي، لكنه تشدد في التحقيق والتدقيق والنقد والتشكيك في النص والرواية، وأستخدم كلمة يقال وقيل ونقول او اقول[2]، فكان لا يستسلم لمعلومات المؤرخين الآخرين، لهذا أوصى المؤرخ الذي يهتم بدراسات التاريخ القديم وتاريخ العرب قبل الإسلام بالتحقيق من صحة تدوين الأحداث لاختلاف المؤرخين في فتراتها الزمنية، اذ قال: "ينبغي لمتأمل التواريخ القديمة أن يعلم أن الاختلاف فيها بين المؤرخين كبير جدا" ولكي يؤكد ذلك فقد أعد الخلل الحاصل في تدوين هذه المرحلة من التاريخ هو في غاية المنكر[3]، وقدم أدلة تاريخية واضحة في الاختلافات بين المؤرخين من بينها الاختلاف الحاصل في هبوط أدم وطوفان نوح ووفاة موسى ومولد المسيح عليهم السلام، كما وجه إنتقادات لاذعة الى التوراة إلتي كتبها السامريون والعبرانيون لاختلاف تواريخ التدوين فيها، بينما أعتمد في مختصره على التوراة اليونانية التي كان يعتقد صحة تواريخها والتي كتبت من قبل اثنين وسبعين حبراً من أحبار اليونان، كما أن إعتماد المؤرخين المحققين عليها زادت من ثقته فيها، وأكد

(1) أبو الفداء، المختصر: 293/2.

(2) ينظر من هذا القبيل في المختصر: 40/1 – 41 – 51.

(3) المصدر نفسه: 12/1، 14.

ذلك في قوله "فهي التوراة التي إختارها المحققون من المؤرخين وليس فيها ما يقتضي الإنكار من جهة الماضي من عمر الزمان ... فلذلك اعتمدنا على هذه التوراة دون غيرها [1].

ولكي يؤكد صحة آرائه في ضبط الفترات التاريخية، وسع من دائرة أدلته فقدم جدولين إحتويا على معلومات علمية دقيقة لتذليل الصعوبات التي تواجه المؤرخ في حساباته التاريخية، لا سيما الفترة التي سبقت الإسلام والتي يطلق عليها في دراستنا الحديثة فترة التاريخ القديم التي كانت موضع اختلاف أغلب المؤرخين في تواريخها، ونحن لا ندعي الكمال لابي الفداء في هذا الجانب، بل ان ما قدمه من حسابات في عصره على هذه الصورة الجدولية [2] يأتي في غاية الدقة ودليل على نبوغه الفكري، اذا ما عرفنا أن أبا الفداء أستعان بالكتب السماوية في دقة حساباته ومن بينها القرآن الكريم والكتب المحققة التي صنفها علماء العرب والاغريق والفرس، ففي الجدول الأول[3] قدم أبو الفداء تواريخ دقيقة مرتبة حسب الحقب الزمنية بدأ من هبوط آدم والطوفان ومولد ابراهيم ووفاة موسى ومولد المسيح عليهم السلام، والأمم التي اعقبت هذه الفترة وحتى الهجرة النبوية الشريفة،

(1) أبو الفداء، المختصر: 15/1.

(2) ينظر الجدولين في المختصر: 9/1، 183.

(3) ينظر صورة الجدول رقم (1).

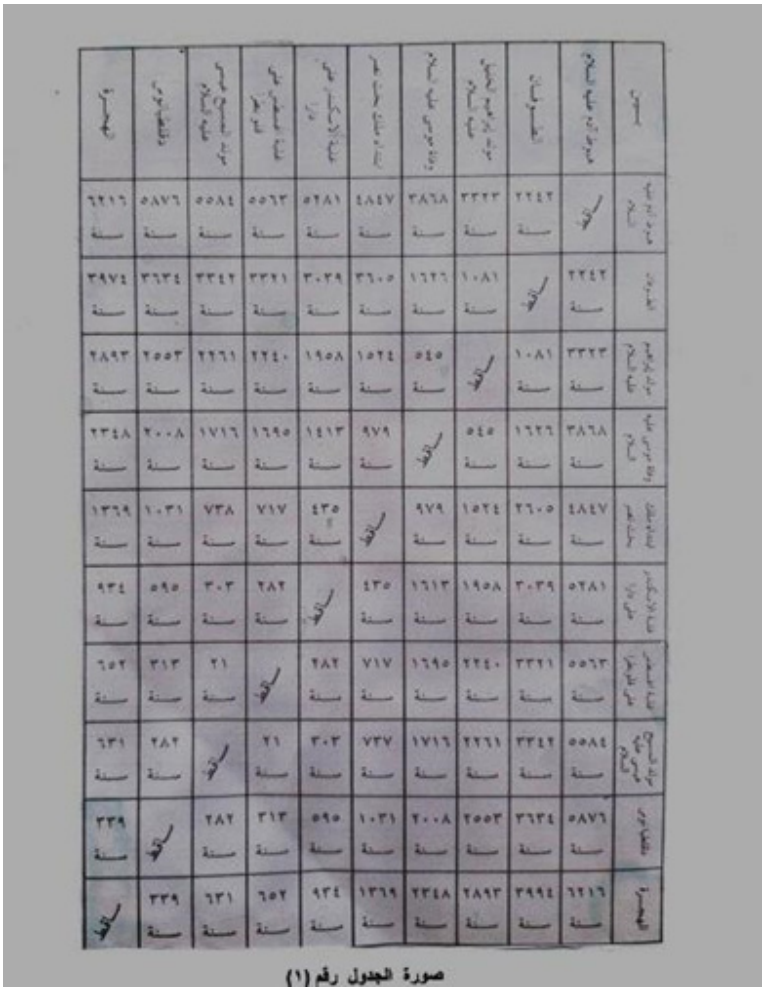

صورة الجدول رقم (١)

وفي الجدول الثاني[1] عكس أبو الفداء هذه الأحداث وأعد الهجرة النبوية من أكبر الأحداث التي مرت في التاريخ، لذلك جعلها محوراً يمكن الانطلاق منه في حسابات التواريخ الأخرى، وكان لهذين الجدولين أهمية في إغناء الكتاب بمادة علمية جديدة، لذلك فقد أُعتمدَ هذان الجدولان من قبل الكثير من المستشرقين والمؤرخين والباحثين في الدراسات التاريخية، فترجم أجزاء منه الى اللغة اللاتنية والفرنسية والانكليزية والتركية [2]، لكن آراء ابي الفداء تغيرت حينما دون احداث

(1) ينظر صورة الجدول رقم (2).

(2) زيدان: جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، 202/3، الزركلي، الاعلام، 319/1.

عصره لمعايشته للواقع العام المعاصر له، فبدأ يعلل الاحداث التاريخية، وقدم تحليلات واستنتاجات أثمرت عن نتائج هامة في الوقائع السياسية والعسكرية، فكان يحذر أمراء المماليك من محاولات الصراع على السلطة، بل كان لا يحترم السلطان الذي يسلك مثل هذا السلوك، فكان شجاعا في إدانتهم، فقد توقع أن حسام الدين لاجين والعادل كتبغا والمنصور بيبرس الجاشنكير لا يستحقون الألقاب التي كانت متداولة في ذلك العصر مثل السلطان والمنصور والمظفر لاساءتهما لمركز السلطنة، وفعلا ان هؤلاء الثلاثة كانت مدة حكمهم لا تتجاوز ثلاث سنوات[1]، بينما كان يرى في السلطان الناصر بن قلاوون الملك المنقذ لبلاد الشام من هيمنة الاحتلال الخارجي الصليبي والمغولي، فتحقق ذلك وحرر مساحات واسعة من بلاد الشام[2].

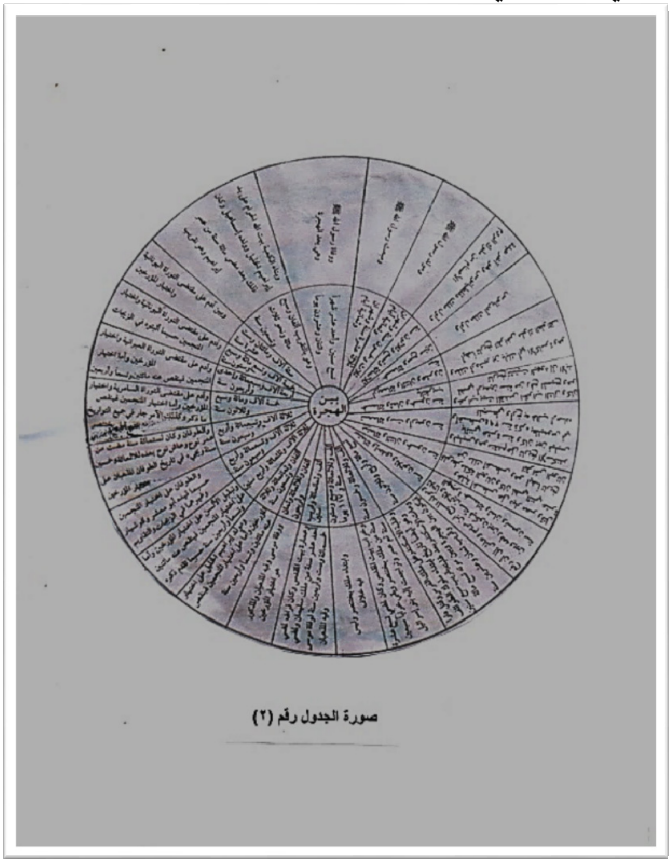

صورة الجدول رقم (٢)

(1) أبو الفداء، المختصر: 353/2.

(2) ينظر عيسى، حماة: 71 – 92.

كما تميز مؤرخنا في قدرته على تحليل المعارك ونتائجها المتوقعة بصفته ملكاً وقائداً عسكرياً، فحينما لاحظ قتال المسلمين ضد المغول في موضع الكوم [1] سنة "702هـ/1302م"، ووحدتهم وتكاتفهم وإصرارهم على تحقيق النصر، توقع أن يحقق المسلمون نصراً حاسماً ضد المغول في معركة مرتقبة قادمة فصحت توقعاته في نفس السنة، كما أتخذ من مختصره منبراً للنصح والارشاد والنقد، وهذا يعني ان للمؤرخ رأياً وشجاعة في التعبير عن وجهة نظره في الدعوة الى الخير ونبذ الشر، فكان ابو الفداء مثالا لذلك في استنكاره لأعمال السلب والنهب من قبل الجند في معركة ماردين سنة "699هـ / 1299م"، وأعدها من "الافعال الشنيعة"، وبالتالي فان نتائجها ستكون وخيمة على المسلمين وحجة كبيرة لغزو المغول لبلاد الشام، فكان أبو الفداء صائبا في تحليل الموقف العسكري، فتعرضت بلاد الشام الى الغزو المغولي، ولم يكن أبو الفداء مبالغاً في طرح افكاره، بل أثبت شجاعة فائقة وفهماً دقيقاً لحركة التاريخ التي تبنى على تحليل الوقائع المعاصرة للمؤرخ، وأعد ذلك من واجبات المؤرخ الذي يمتلك القدرة على إدراك معطيات المستقبل، فقدم أدلة أخرى في إنكار الباطل والدعوة الى الخير، بل طبق ذلك في واقعه السياسي في حماة من خلال متابعته لحاكمها السابق عثمان السبيتاري الذي استباح الحريم والأموال وسفك دماء الاهالي ولقب نفسه زوراً بالملك الرحيم، فقام ابو الفداء بضرب "عنقه في سوق الخيل بحضرة العسكر"، ودون ذلك في مختصره كي يكون عبرة للاخرين.

وأكد ابو الفداء في ارائه التاريخية على الاختصار في الروايات، كي يبتعد المؤرخ عن الاطالة والملل مع الحفاظ على فكرة ومحتوى النص التاريخي، لذلك سمى كتابه المختصر في اخبار البشر، بشرط أن الاختصار لا يؤثر على فهم القارئ، مثل الترجمة الوافية التي قدمها للسلطان قلاوون الصالحي والتي تضمنت مدة حكمه وأسباب وفاته وانتصاراته ضد الصليبيين والمغول، فقال في نهاية حديثه: "ولا يحتمل هذا المختصر ذكر فضائله [2]"، وأثناء حديثه عن أمم الهند أدرك أن

(1) تقع الكوم الان على بعد (90كم) تقريباً شمال شرقي مدينة تدمر في سوريا.

(2) ابو الفداء: المختصر: 359/2، 381، 388.

المعلومات التي قدمها في مختصره وافية وأحال القارئ الذي يبتغي الزيادة الى المصدر الذي اقتبس منه معلوماته مثل الملل والنحل للشهرستاني، وأوضح أن الإفاضة في هذا الموضوع "لا تليق بهذا المختصر[1]"، وكان الأسلوب الذي أتبعه في الاختصار والاقتباس هو التركيز على الرواية والنص التاريخي دون الخروج عنها وترك المقدمات والاسهاب في الموضوع، فمن المفيد ان نشير الى التغيرات التي كان يجريها في الرواية التاريخية والتي يحاول خلالها الاختصار والاقتباس والنقل الحرفي مع الحفاظ على فحوى الرواية، وتوضيحاً لذلك نقتبس نصين من الكامل في التاريخ لابن الاثير ومفرج الكروب لابن واصل الحموي لمطابقتهما مع النصين المنقولين في المختصر كي تتضح لنا طبيعة اخذ النصوص واختصارها عند ابي الفداء:

النص في الكامل: "توفي القاسم بن أبي بزة واسم ابي بزة يسار وهو من المشهورين بالقراءة" وفي المختصر ورد النص كالآتي "توفي القاسم بن ابي بزة وهو من المشهورين بالقراءة[2]"، وفي ترجمة ابن واصل للملك المظفر محمود صاحب حماة في حوادث سنة "642هـ /1244م" أشار ابن واصل الى سيرته ونسبه وتاريخ وفاته وشجاعته وفروسيته وميله الى العلماء، فهنا يخرج ابن واصل عن الموضوع ويتحدث عن الشيخ علم الدين قيصر ويقدم ترجمة عن سيرته وانجازاته ومركزه العلمي فيقول: ورد إلى الملك المظفر "الشيخ علم الدين قيصر بن أبي القاسم المهندس الفاضل في العلوم الرياضية فاحسن إليه وقربه وولاه تدريس المدرسة الحنفية النورية بحماة، وبنى له أبراجاً لسور حماة في غاية الحسن وطاحوناً في الجانب الأسفل، وعليها برج حفظ به تلك الناحية، وكان يقترح عليه أموراً علمية وآلات رياضية، فعمل له كرة من الخشب رسم فيها جميع الكواكب في السماء، وعملت هذه الكرة بالقلعة، وكنت أساعد الشيخ علم الدين على

(1) ابوالفداء: المختصر، 148/1.

(2) ورد اسم برة في المختصر وهذا خطأ طباعي والصحيح بزة، ينظر: الكامل في التاريخ، 474/4، ، ط، دار صادر، 1966، المختصر، 284/1.

تحريرها، وكان السلطان الملك المظفر رحمه الله يحضرنا، ونحن نرسمها ويسألنا عن المواضع الدقيقة فيها فنخبره فيدرك ما نقول لصحة ادراكه وقوة ذهنه...الخ[1] ".

والحقيقة إن أبا الفداء كان يرى أن أكثر هذه المعلومات التي أوردها ابن واصل هي خارج موضع الترجمة التي خصصت للمظفر، فاقتبس منها ما يهم ترجمته، بعد أن أشار إلى فضائله وولائه للعلماء فجاء النص في المختصر بهذه الصيغة:

"أستخدم الشيخ علم الدين قيصر المعروف بتعاسيف، وكان مهندساً فاضلاً في العلوم الرياضية، فبنى للملك المظفر المذكور أبراجاً بحماة وطاحوناً على نهر العاصي، وعمل له كرة من الخشب مدهونة، رسم فيها جميع الكواكب المرصدة، وعملت هذه الكرة بحماة، قال القاضي جمال الدين بن واصل وساعدت الشيخ علم الدين على عملها، وكان الملك المظفر يحضر ونحن نرسمها ويسألنا عن مواضع دقيقة فيها [2] ".

ومن خلال هذين النصيين نرى نجاح أبي الفداء الى حد ما في النقل والإقتباس والإختصار في إعادة سبك بعض العبارات والجمل بحيث أصبحت الفكرة واضحة في المعنى والقراءة، وهذا يؤكد أن مختصره كان شاملاً في معلوماته أختصر فيه ما كان يحتاج الاختصار ونبه القارئ إلى مواطن الاختصار كما فعل في اختصاره لحرب البسوس فقال "تركنا ذكره للاختصار[3]".

فضلا عن تحري مؤرخنا الدقة في الروايات وحذف الردئ منها والخرافات، واختصر الممل وتجنب الإستطراد والإعادة، وكان يحيل القارئ إلى المواقع التي بحاجة إلى ربط الحادثة التاريخية والتي أشار اليها فيما سبق، وهذا ما يستخدم من قبل الباحثين الآن، فعند حديثه عن التوراة مثلاً قال: فقد تقدمت الاشارة الى نسخة التوراة "في مقدمة الكتاب فأغنى عن الإعادة"، وفي معرض حديثه عن ملوك اليونان، ذكر القارئ بأنه قد ناقش هذا الموضوع في الفصل الثالث من ذلك قوله:

(1) مفرج الكروب: 343/5 – 344.

(2) أبو الفداء، المختصر: 277/2 – 278.

(3) المصدر نفسه : 127/1.

"وكانت ملوك اليونان المقدم ذكرهم في الفصل الثالث"، كما كان يضع مقدمة لبداية كل فصل "وخلاصة ما ذكر[1]" في نهايته، وهي جزء من موضوع الاختصار التام لإتمام فحوى الرواية التي هي بحاجة إلى الخلاصة.

أن من أهم ما تميز به أبو الفداء هو أيمانه المطلق بهذه الآراء في التحقيق والتدقيق والنقد والتحليل والاختصار والشجاعة، كي لا تعد الروايات التاريخية نوعاً من الهراء الممل، ويصبح التاريخ عبارة عن مجموعة من القصص والأوهام والأساطير والشكوك بعيدا عن الواقع الحقيقي للمؤرخ 0

- **المنهج التأريخي عند أبي الفداء:**

أستوعب أبو الفداء الكثير من المصادر التاريخية الموثوقة وأستفاد منها الى حد كبير في دراسة منهجيتها وخططها ودقتها وأستخلص الجيد منها ونبذ الردئ، ولم يكن باستطاعته الارتقاء في عطائه العلمي في كتابة مصنفه المختصر مالم تكن لديه سعة افق وثقافة علمية واسعة ومكتبة تاريخية غزيرة، فهو لم يسلك سلوك المؤرخين الأوائل في الرجوع الى الماضي في السرد التاريخي وفق المنهج الحولي القديم رغم إعطائه الرواية التاريخية أهميتها في تدوين تاريخ حدوثها من خلال إيمانه بالرأي الذي يقول أن التاريخ يساوي الوقت، فلم يخرج أبو الفداء عن هذا المفهوم القديم بل اضاف إليه رؤية جديدة تواكب عصره، فكان يرى أن التاريخ يسير وفق أهداف ومنافع معينة كان يدركها ويسعى لتحقيقها وفق منهجية بحث علمية ذاتية، لهذا فهو يعترف أن كتابه تذكرة خاصة به فقال في مقدمته "سنح لي ان اورد في كتابي هذا شيئا من التواريخ القديمة والإسلامية يكون تذكرة يغنيني عن مراجعة الكتب المملولة[2] ".

وهذا جزء من تواضعه وإبتعاده عن المبالغات والتهويل، كما انه ميز بين المراحل التاريخية، ويظهر ذلك بوضوح في تحديده أهداف البحث وفق منظور

(1) ابوالفداء: المختصر، 60/1، 68 ـ 69، 135.

(2) المصدر نفسه: 11/1، 251/2، 255.

حضاري في وضعه الخطة التي عرض فيها الطريقة التي عالج فيها المادة التاريخية حسب الموضوعات وعرضها للقارئ في مقدمة كتابه، فقد قسم مختصره الى حقبتين تاريخيتين خصص الحقبة الأولى منها لدراسات التاريخ القديم ضمنها مقدمة وخمسة فصول ناقش في المقدمة محاور عدة أهمها الدقة والاهتمام في تثبيت التواريخ وضبط مواقيت الحوادث ونفيه إستخدام المصادرالتي شكك في دقة معلوماتها وتحقق من صحتها واستخدام الجدولين اللذين أشرنا إليهما فيما سبق لمعرفة تواريخ الأمم منذ هبوط آدم إلى عصر الرسالة الإسلامية0

أما الفصول الخمسة فقد تضمن الفصل الاول عمود التواريخ القديمة وذكر الانبياء على الترتيب مبتدءً بأدم ومنتهياً بعيسى عليهما السلام، كما سلط الضوء في هذا الفصل على بيت المقدس والمراحل التي مر بها ودور اليهود التخريبي في هذا البيت وإنقراض دولتهم ويشمل الفصل الثاني ملوك الفرس وعددهم حسب ترتيبهم الزمني وقسمهم الى أربع طبقات وخصص الفصل الثالث لفراعنة مصر وملوك اليونان والروم، وقدم خلال هذا الفصل ايضاحات هامة عن أصولهم ومن أشتهر منهم ومدة حكمهم حسب الترتيب الزمني، وياتي الفصل الرابع بعنوان ملوك العرب قبل الإسلام وأنسابهم ولغاتهم وحكامهم وزعمائهم أمثال: ملوك الحيرة وغسان وجرهم وكندة، وكان الفصل الخامس من أهم الفصول التي ابدع فيها أبو الفداء من خلال مناقشته للأمم التي تعيش على الارض فقدم تصوراً عن معنى كلمة امة التي قال عنها: تعني "الجماعة"، وأشار الى أمم الأرض بصورة عامة، وحسب قدمها الزمني وأهمها السريان والصابئة والقبط والفرس واليونان واليهود والنصارى والهند والسند والصين، وكان للعرب قبل الإسلام نصيب في كتابه من خلال دراسة أحياءهم وأحوالهم الإجتماعية والإقتصادية والاشارة الى أممهم البائدة 0

أما الحقبة الثانية من المختصر: فقد شملت قيام الدولة العربية الإسلامية وهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة وإبتداء التاريخ الهجري وخلفاء بني أُمية والعباس وتعاقب الاحداث حسب ترتيبها الزمني الى عصر أبي الفداء مع مراعاة تجميع الحادثة التاريخية المتفرقة في عدد من السنين في مكان

وعنوان واحد، يسهل على القارئ الإستفادة منها والنظر فيها، ففي هذا الصدد يقول: "وكان ينبغي أن نذكر ذلك مبسوطاً في السنين ولكن لقلته كان يضيع ولا ينضبط[1]"، ولكن الأهم من هذا أن المنهج الذي سلكه أبو الفداء في المختصر كاان منهجاً متفاوتاً في الاختصار حسب أهمية النصوص التاريخية وميوله في تغطية الأحداث التي يراها مناسبة وضرورية ومقربة إليه من وجهة نظره، فلم يلتزم في الخطة التي رسمها في مقدمته، فكان كتابه المختصر يفتقر إلى الصيغة المتواصلة في إتمام هذه المنهجية، فقد أبتدأ في مساحة تاريخية واسعة، عالج الفترة التي سبقت الإسلام، وفق منظور حضاري شامل في حين جاءت دراسته في التبويب الثاني للمرحلة التي تلت ظهور الإسلام بتقليص مساحة المشهد التاريخي في إسلوبه المنهجي التخصصي المختصر، يبدأ في التوسع في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهجرته وغزواته، ثم يتلاشى هذا التوسع في عصر الخلفاء الراشدين، ويبدأ في الاختصار في العصر الأموي ومطلع العصر العباسي الأول، ثم يوجه إهتماماته لرصد الساحة الشامية وأخبار السلاجقة والأتابكة، ثم يتوسع مختصره في الخروج عن منهجية الاختصار لرصد تحركات أسرته الايوبية وإصولها وتوسعها والمعارك التي خاضتها في مطلع تكوين نفوذها السياسي سنة "564هـ/1168م" في عصر شيركوه إلى إنتهاء دولتهم في بلاد الشام ومصر سنة "648هـ / 1250م"، وان الوقائع السياسية التي صورها لإسرته ساهمت الى حد كبير في تغطية أحداث مصر وبلاد الشام خلال هذه الفترة.

ثم يصبُ إهتمامه لتغطية الأحداث السياسية في دولة المماليك، التي عاصرها، وكان لها أهمية بالغة في رسم مستقبله السياسي، وإنّ المادة العلمية التي قدمها هي أهم ما جاء في مختصره، رغم السنوات الطويلة التي أجهدته في تدوين أحداث مختصره، والتي سبقت عصره، فكانت من جهود مؤرخين آخرين سبقوه، ولو أكتفى أبو الفداء بتدوين أحداث عصره فهي لا تقل أهمية عن كامل مختصره، بل هي أفضل مما دونه في المختصر، وبلغ فيه حداً ليرتقي ويكون في طليعة مؤرخي ذلك

(1) أبو الفداء، المختصر: 1/487 – 488.

العصر، حتى أن كتابه أصبح عبارة عن مذكرات خاصة به كشاهد عيان على الأحداث التي عاصرها، بل إنه إستغنى عن مصادره إلا ما ندر، فبعد مرور إحدى عشرة سنة على ولادته سنة "672هـ /1360م"، روى لنا حادثة لباسه التشاريف عام "683 هـ / 1284م" مع أفراد أسرته الحاكمة في حماة [1]، كما أنه كان من كبار رجال دولة المماليك وممن عرفوا أسرار إدارتها بحكم عمله ملكاً في حماة وإتصالاته مع مركز سلطنتها في مصر فأصبح تاريخه يحوي قدراً كبيراً من المذكرات والمعلومات والأخبار والوثائق والمراسيم، ولم تتوفر هذه الفرصة لغيره من المؤرخين للاطلاع عليها وتدوينها إذ أورد أدق تفاصيل ذلك العصر، وقدم تحليلات وإستنتاجات أثمرت عن نتائج هامة في الوقائع السياسية والعسكرية كما اشرنا فيما سبق 0

وواجه أبو الفداء أهتماته بمدينته حماة وعلاقاتها مع مراكز القوى السياسية، ولا سيما مصر وأفرد لها فقرات مطولة منذ عصر نشأئها قبل الإسلام حتى عصره، وكان لإبي الفداء وتحركاته وعلاقاته والمعارك التي ساهم فيها ضد المغول والأفرنج نصوصاً مهمة في المختصر، ويظهر أن كثرة الأحداث السياسية والعسكرية في بلاد الشام ومصر وسعي أبو الفداء وراء السلطة ومعاناته لإعادة نفوذ أسرته السياسي في حماة جعلت أهتماماته السياسية والعسكرية تنصب في هذه الاحداث، فأنعكست في كتاباته في المختصر أكثر من اهتمامه في كتابة تواريخ أخرى تتمثل في أحداث التاريخ العام، كما ترك أخبار العالم الإسلامي والوفيات وحوادث الزمان سوى إشارات قليلة عنها متفرقة على السنين مقارنة بالمرحلة الماضية التي سبقت ولادته، فاصبح مختصره بصورة عامة يشمل دراسات عديدة في التاريخ العام وتاريخ أسرة الايوبيين بشكل خاص، ويدخل ضمن تواريخ المدن من خلال تغطيته لاحداث مدينته حماة، ويعد أيضا ضمن تواريخ السير الذاتية الخاصة في ترجمة سير كثير من العلماء وفق المنهج الحولي في ترتيب الحوادث على السنين0

ولم يكن أبو الفداء مبدعاً في هذا المنهج، بل سبقه مؤرخ آخر هو أبن الاثير

(1) أبو الفداء، المختصر: 353/2.

في كتابه الكامل في التاريخ، فقد حذا أبو الفداء حذوه في كتابة مختصره، ويظهر أن أبا الفداء كان متاثراً في كتابات ومنهجية أبن الاثير في الكامل، بل كان معجباً به غاية الاعجاب، ولو عاش عصره لتمكنا من القول أن أبا الفداء واحداً من تلامذته، وان كتابه المختصر هو مختصر للكامل بناء على إعتراف ابي الفداء، وهذا ياتي من باب أعتماد اسلوب الأمانة العلمية في النقل والتوثيق التاريخي، ففي اكثر من موضعين وفي حوادث سنة "628هـ /1230م" وهي السنة التي أنتهى أبن الاثير فيها من تصنيف كتابه الكامل قال ما نصه: "وفي هذه السنة انتهى التاريخ الكامل تاليف الشيخ عزالدين علي المعروف بابن الاثير المنقول غالب هذا المختصر منه[1]"، ويظهر أن حسن إطلاع ابي الفداء ونضوجه العلمي وتطور معلوماته هيأت الفرصة له للبحث في هفوات ابن الاثير، وكان على ابي الفداء أن يغض الطرف في تعامله العلمي مع مؤرخ مثل ابن الاثير الذي يعد خليفة الطبري شيخ المؤرخين رغم الفارق الزمني بينهما، فقد بلغ في كتاباته التاريخية في الكامل في التاريخ حد الكمال، ولم يكن له منافساً في عصره وان مختصر ابي الفداء عالة على الكامل.

فحاول أبو الفداء إظهار ثقافته ودقته العلمية وقدرته على النقد في تعامله مع النص التاريخي، فقد أوضح أن أبن الاثير لم يلتزم بمنهجيته التي قال فيها "فجمعت انا الحادثة في موضع واحد وذكرت كل شئ منها في أي شهر او سنة كانت فأتت متناسقة"، فلاحظ أبو الفداء خلاف ذلك في الرواية التي اوردها ابن الاثير في الكامل أثناء ترجمته لسليمان شاه بن محمد بن ملك شاه وولاية أبن اخيه أرسلان شاه على همدان، فقد فرقها أبن الأثير "في موضعين"، فصحح أبو الفداء ذلك ودمجها في موضع واحد، كما انه لم يستسلم لروايات ابن الاثير التي نقلها في حوادث سنة "375هـ /985م" والتي نصت على ظهور طائر بعمان من البحر حجمه أكبر من الفيل، وتكلم ثلاثة ايام بصوت عال، فهو يعيب على أبن الاثير نقله لمثل هذه الرواية التي يعدها ابو الفداء من الاساطير والخرافات، والرواية الثانية التي اوردها أبن الاثير في حوادث سنة "456هـ /1063م" والتي مفادها ان أمراة من

(1) أبو الفداء، المختصر: 1 11/1، 251/2، 255.

الجن يقال لها أم عنقود في الموصل مات إبنها عنقود، فكان على عامة الناس في المدينة أن يقيموا له مآتما وخلاف ذلك قد يصبهم أذى، وبدأت النساء في اللطم ويقلن "يا ام عنقود اعذرينا قد مات عنقود ما درينا"، فرفض ابو الفداء مثل هذه الرواية وقال: أن الاسباب التي دعته إلى نقلها من الكامل "لان رعاع الناس إلى يومنا هذا وهو سنة سبعمائة وخمس عشرة يقولون بإم عنقود[1]"، ورفض المعلومات التي أوردها أبن الاثير في الكامل حول مقتل أبي عبد الله الشيعي سنة "296هـ/908م"، فقال: "ورأيت مقتل ابي عبد الله في الجمع والبيان في تاريخ القيروان، أنه كان في نصف جمادي الاولى سنة ثمان وتسعين ومائتين، وهو الاصح عندي" وأسند رأيه إلى ما أشار اليه أبن خلكان في وفيات الاعيان.

وفي الترجمة التي أوردها أبن الاثير عن سقمان بن أرتق بن أكسب فيعلق أبو الفداء على خطأ أبن الاثير في تلفظه لكلمة أكسب فيقول: أكسك وهي الاصح بدل أكسب، كما أنه أنتقد أبن الأثير لعدم ذكره وفاة نصر بن صالح بن مرداس الكلابي حاكم حلب، وعد ذلك من واجبات المؤرخ حتى أنه رجح روايات أبن أبي الدم في كتابه التاريخ المظفري، وأعدها أكثر مصداقية من روايات ابن الاثير.

وكان أبو الفداء يشترط في المؤرخ أن يكون محايداً، وأن يترك الميول والإتجاهات التي يؤمن بها، لذلك كان إنتقاده لاذعاً لأبي الفرج أبن الجوزي، حينما وجد في رواياته الميل لعلماء الشافعية لانتماء الأخير لهذا المذهب وتدليس علماء الحنابلة، وكان أبو الفداء يقارن الروايات التي يرى فيها آراء متعددة، بل كان يوثق رواياته وينحاز إلى ما يذهب إليه اغلب المؤرخين، فأثناء حديثه عن إسراء النبي محمد صلى الله عليه وسلم أشار إلى أبن هشام في كتابه السيرة النبوية مقارناً ذلك مع رواية أبن الجوزي وتناقض كليمهما في تاريخ حدوث الإسراء، وتساءل أبو الفداء هل إن الإسراء كان بجسد الرسول صلى الله عليه وسلم، أم كان رؤيا في منامه فهنا أوضح أبو الفداء على أن الإسراء كان بجسده مستنداً على اتفاق أغلب علماء التاريخ.

(1) ابو الفداء: المختصر، 467/1، 543، 2109.

وكان صريحاً في المعلومات التي يدونها في مختصره، وهذا يدلل على مدى إهتمامه بتقصي الحقائق وإتباعه المنهج العلمي في الكتابة التاريخية التي أشار اليها بوضوح، وهو يشكك في وفاة احمد بن الحسين وزير السلطان محمود بن سبكتكين قائلاً: "ينبغي تحقيق ذلك فإنه ورد أن محموداً قتل وزيره المذكور"، بينما رفض رواية أبن خلكان الثانية التي نصت على دوران الأرض وشكك فيها، وأثناء ترجمته لإبي بكر محمد بن علي الفقيه فقال: "هو والد قاسم صاحب كتاب التقريب"، وشدد على الإمام الغزالي لأنه أخطأ في النقل منه، ولم يفرق بين الأب والإبن فأردف قائلاً: "وذكره الغزالي في الباب الثاني من كتاب الرهن لكنه قال: ابو القاسم وهو غلط وصوابه القاسم[1]"، كما تضمنت منهجيته دراسة متكاملة للحدث التاريخي بسبب تعدد المصادر التي أقتبس منها فمثلاً: أثناء حديثه عن السيرة النبوية أعتمد على أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وكتاب "السيرة" لابن هشام، و"دلائل النبوة" للبيهقي، و"المنتظم" لإبن الجوزي، ومجموعة أخرى من المصادر، وعند ذكره للنصارى أعتمد على كتاب "الملل والنحل" للشهرستاني، و"الفصل في الملل والاهواء والنحل" لإبن حزم الاندلسي، وكتاب "المغرب في اخبار اهل المغرب"، لإبن سعيد المغربي، وفي ترجمته لسيبويه أعتمد على الخطيب البغدادي وأبن الجوزي[2].

وقدم في منهجيته تفسيراً للمصطلحات الاجنبية والعربية ومواقع المدن وقبائل العرب، وهذا ينم عن مدى توسع مداركه وإلمامهِ في اللغات الأخرى منها: الفارسية والتركية، وحتماً أن أبا الفداء الذي إنحدر من أصول كردية يجيد لغة قومه القريبة من الفارسية، كما أن اللغة التركية كانت دارجة في بلاد الشام ومصر في فترة الايوبيين والمماليك لتنوع تشكيلات الجيش في هذه الفترة، ففي معرض حديثه عن "البرواناه" قال: أن هذه الكلمة فارسية، وتعني الحاجب وكلمة "كاكاويه" معناها "الخال"، و"سيبويه" تعني "رائحة التفاح"، و"فيشداذ" تعني "سيرة العدل"،

(1) ابو الفداء: المختصر، 368/1، 392، 457.

(2) سنشير لهذه المصادرأثناء الحديث عن موارد أبي الفداء.

و"بخذاوند" صاحب العالم، و"شهرستان"، تعني "مدينة الناحية"، و"التمان" العملة التي كانت متداولة لدى المغول، وقال ان التمان تعني البدرة وتساوي عشرة الآف درهم، ولا تزال العملة المستخدمة في إيران تسمى "التومان"، وكان يدرك اللهجة المحلية عند العجم على حد قوله فيقول: "والعجم تقول في القصار قصاري، وفي الغزال غزالي وفي العطار عطاري"[1].

وكلمة "سنجر" وأصلها "صنجر" في اللغة التركية، وتعني "الطعن"، و"بطليموس" في اللغة اليونانية "أسد الحرب"، و"فيلسوف"، "محب الحكمة"، و"القنطارية"، "رجال الروم"، و"الشلبين"، وبلغة اهل الاندلس "الأشقر"، وقدم إيضاح لكلمة "مزامير والتي تعني في السريانية" الامير الكبير"، وأعد إسم "نبو خذ نصر" عربية، وتعني "عطارد".

وقد استفاد من كتب اليهود التي كتبت باللغة العبرية، والتي تسمى الكتب الأربعة والعشرين التي أشرنا اليها فيما سبق، فتصرف أبو الفداء في ترجمتها تصرف العلماء الأفذاذ فأحضر ثلاث نسخ منها، وهذا ما تؤكده الدراسات الحديثة في منهجية تحقيق الكتب وترجمتها، وتمكن ببراعة فائقة من ترجمة نصوصها، وقد تحدث أبو الفداء عن تجربته في ترجمة هذه الكتب بقوله: "ولليهود الكتب الأربعة والعشرون، وهي عندهم متواترة قديمة، ولم تُعرَب إلى الآن، بل هي باللغة العبرية، فاحضرت منها سفري قضاة بني اسرائيل وملوكها، واحضرت إنساناً عارفاً باللغة العبرية والعربية وتركته يقرأها، وأحضرت منها ثلاث نسخ، وكتبت منها ما ظهر عندي صحته"، ثم ضبط الأسماء التي تحتاج إلى الضبط فقال: "وضبطت الأسماء بالحروف والحركات حسب الطاقة"، كي يسهل على القارئ تمييزها وإزالة الإشكال عنها، ولكون أبو الفداء مؤرخاً وجغرافياً، فقد أوضح مواقع المدن والاماكن وميزها عن غيرها فعند حديثه عن مدينة فاراب قال: تسمى في "هذا الزمان أطْرار بضم الهمزة وسكون الطاء المهملة وبين الرائين المهملتين الف"، والشاش مدينة وراء نهر سيحون في أرض الترك، وكتامة موضع يبعد ثلاثة ايام عن مراكش، وتابع

(1) أبو الفداء، المختصر: 45/2.

أحوال المدن وتغيراتها فقد أشار إلى مدينة إصفهان فقال عنها: إنها من المدن التي شيدت مجدداً بينما قال عن حصن الاثارب هو: "خراب الى الآن"، وعن بلاد الأرمن قال: إنها تُعرف ببلاد سيس في وقتنا الحاضر، ومدينة كركنج عربها الى جرجان وميّز بين المدن المتشابهة في الاسم مثل مدينة شهرستان فاشار الى ان هناك ثلاث مدن تحت هذا الاسم في بلاد فارس وأوضح مواقعها بالتفصيل، وقال عن الطوس هي: "مدينتان تسمى إحداهما طابران والأخرى نوقان[1]"، وأضاف أن السندية قرية تقع على نهر عيسى بين بغداد والانبار "ينسب اليها سندواني ليحصل الفرق بين النسبة اليها وبين النسبة الى بلاد السند[2]"، وتحدث عن قبائل العرب وبطونها مثل سمعان فقال: عنها بطن من بطون تميم وقبيلة الزواوي من القبائل الكبيرة التي تتواجد بظاهر بجاية من أعمال افريقيا والامثلة على ذلك كثيرة وهذا ما معمول به في الدراسات الحديثة.

- **المختصر وذيوله:**

تبرز أهمية المختصر من خلال المعلومات التاريخية التي إحتواها، لهذا حظي باهتمام المؤرخين وإتمامهم لمشروع أبي الفداء والتذييل على كتابه المختصر ويأتي زين الدين عمر بن الوردي" 749 هـ /1348م" في مقدمة هؤلاء المؤرخين الذين اهتموا بالمختصر والتذييل عليه، بل كان شديد الاعجاب بهذا الكتاب ووصفه، وقد عبر أصدق تعبير عن المصادر التي أستخدمها أبو الفداء في المختصر وأجملها في قطعة نثرية جميلة في مقدمته لا بد من الإشارة اليها، بعد أن اثنى على المختصر فقال: بأن هذا المختصر: كالعروس التي سنها المغرب وجمالها الكامل وثغرها العقد وضراتها الدول المنقطعة وخيالها لذة الأحلام ولفظها المنتظم وخدها ابن ابي الدم ومحبتها تجارب الأمم وحسادها بنو اسرائيل ونظرها مفرج الكروب ودلاها وفيات الاعيان ووصلها الاغاني وقربها مروج الذهب وعطرها من اليمن وذكرها مجاوز في المشرق اصفهان وفي المغرب القيروان وفصاحتها البيان ووجهها مرآة

(1) ابو الفداء: المختصر، 39/1، 76، 98، 103، 135، 9/2، 45، 99، 251، 283، 435، 437.

(2) المصدر نفسه: 462/1.

الزمان"، كما أعده "من الكتب التي لا يقع ولا يسع جهلها"، ونظم الشاعر جمال الدين ابو بكر محمد بن نباتة بيتين من الشعر يشيد بهما في كتاب المختصر في اخبار البشر جاء فيهما [1]:

لله تـــــاريخٌ لـــــه رونـــــقٌ كرونـــقِ الحبـــاتِ فـــي عقـــدِها

كـــادت تـــصانيفُ الـــورى عنـــدَه تمـــوتُ للخجلـــة فـــي جلـــدها

وقبل أن نخوض في موضوع التذييل للمختصر لاّبد من معرفة السنة التي باشر فيها أبن الوردي تذييله للمختصر، فقد أكد أكثر من مرة على أنه بدأ التذييل سنة "709هـ / 1309م"، وأضاف أن مشروع إختصاره بلغ ثلثي الكتاب وإدعى بأن هذا الإختصار زاده حسناً وأضاف إليه معلومات جديدة شملت الأعيان والألفاظ والمعاني والإعراب والنظم والنثر0

والحقيقة أن كل ما أشار إليه أبن الوردي صحيح، ولكنه لم يكن دقيقاً في السنة التي بدأ فيها تذييل المختصر وإنما شرع فيه سنة "729هـ/1328م"، وهي السنة التي تركها أبو الفداء مدعياً إنها كانت خالية من الاحداث قائلاً: "ولم يبلغني ما يليق ان يؤرخ[2]"، وتؤكد لنا الوقائع والروايات في المختصر أن أسلوب أبي الفداء لم يغير في منهجيته كما هو في الاحداث التي تلت سنة "710 هـ /1310م"، فظلت الأنا [3] التي تعود أبو الفداء على ذكرها قائمة منذ أن شرع في تصنيف كتابه المختصر حتى سنة "728هـ/1327م"، فنلاحظ أنه زاد من الحديث عن نفسه أكثر من مرة أو مرتين في السنة ففي احداث سنة "710 هـ /1310م" يقول "نزحت عن حماة"، ويضيف " وكان إستقراري في دار أبن عمي، ويؤكد "وسرت من حماة على البريد" ثم يؤكد وجوده في الكتابة في الرواية التي نقلها عن أبن الاثير في معرض حديثه عن الموصل، فيعلق أبو الفداء عليها بقوله: "وإنما أوردنا هذا ...سنة سبعمائة وخمس عشرة"، كما قال سنة "718هـ/ 1318م" "شملتني الصدقات السلطانية"،

(1) تاريخ ابن الوردي، 3/1، 2، 250/108.

(2) المختصر: 369/2، 448.

(3) المقصود بالانا في هذا الموضع هو حديث ابو الفداء عن سيرته في كتابه المختصر.

وفي احداث سنة" 726هـ /1325م" يرجع أبو الفداء في الحديث عن نفسه مرة أخرى بقوله: "خرجت بعسكر حماة"، ويؤكد وجوده في الكتاب فيقول: "أمرني يعني السلطان بإرسال عسكر الى الرحبة" ويتابع أبو الفداء الكتابة في مختصره سنة "727هـ /1326م"، فيقول: "تصدق السلطان وأرسل لي حصانين"، وفي سنة "728هـ/1327 م" تحدث عن نفسه في إسهاب قائلاً: "بعد وصولي من القدس"، ثم يذكر تكريم السلطان له بقوله: " رسم السلطان لي بالحضور، كما تحدث سنة "728هـ/327 م مرة أخرى قائلاً: "قبل دخولي حماة، توفيت والدتي"، وكان أخر نص تحدث فيه أبو الفداء أيضاً في نفس السنة قوله: "توفي مملوكي اسنبغا"، وهذه النصوص توضح معاصرة أبي الفداء وتسجيله للأحداث بشكل مباشر ودونها في مختصره حتى سنة "728هـ / 1327م"، وهي رداً على رواية أبن الوردي التي أدعى فيها أنه بدأ بتذييل المختصر سنة "709 هـ/1309 م"، وظل أسلوب أبي الفداء في الحديث عن نفسه في اكثر رواياته، ولكن نلاحظ أن الأنا التي أعتاد عليها أبو الفداء تظهر بأسلوب جديد، ويبدأ أبن الوردي بإظهار يده في الكتابة سنة "721هـ /1321م" خاصة أثناء سفر أبي الفداء الى مصر فيقول: "ورد مرسوم السلطان على مؤلف الأصل يأمره الحضور ليسير معه في صيوده"، ثم يؤكد قوله: "عاد مؤلف الأصل " يعني أنه لازال يتابع مختصر أبي الفداء، ثم يقول: في موضع آخر ورد مرسوم السلطان الى صاحب حماة" ويضيف مرة أخرى قائلاً "وأرسل صاحب حماة هدية" إنّ إختلاف أبن الوردي في حديثه عن أبي الفداء وتسميته بمؤلف الأصل، وصاحب حماة، والكتابات التي ترجع إلى أبي الفداء في المختصر، تؤكد لنا إرباكات أبن الوردي في الكتابة، وأنه كان يتعامل مع روايات المختصر، وإن أبا الفداء دون معلوماته بيده خلال الفترة التي أدعى فيها ابن الوردي في تذييله على المختصر ولربما قد أضاف نصوصاً جديدة أهملت من قبل أبي الفداء، فتحدث عنها أبن الوردي بهذه الطريقة التي أشرنا اليها.

وهنا لا بد من التساؤل عن السبب الذي جعل أبن الوردي يورد تسميات عديدة لأبي الفداء ويتحدث باسمه، إذا كان هو يدون الأحداث كما ادعى منذ سنة "709هـ/1309 م"، وكيف كان يتابع أدق تفاصل أبي الفداء، فنلاحظ أن اكثر

النصوص التي وردت قبل قليل فيها الأنا التي ترجع الى أبي الفداء والتي تعني أنه قد دون معلوماته بنفسه سوى بعض النصوص التي أشار فيها ابن الوردي إلى مؤلف الأصل وهي تدخل ضمناً قبل آخر نص تحدث فيه أبو الفداء سنة "728هـ/ 1327م"، وللإجابة عن هذا التساؤل لابد من معرفة أن أبن الوردي أطلع على المختصر بعد وفاة ابي الفداء حسب قوله: "إني رأيت المختصر في أخبار البشر تأليف مولانا السلطان الملك المؤيد صاحب حماة قدس الله سره وأكرم مثواه[1]، بمعنى إنه لم يطلع على المختصر أثناء وجود أبي الفداء، بل بعد وفاته، وهذا يعني أنه تمكن من إختصار المختصر والتلاعب فيه دون ترخيص ابي الفداء، ولو كان الأخير حياً لمنعه من التصرف في كتابه، وحينما ذيل أبن الوردي على المختصر، رأى إن المادة التاريخية التي دونها قليلة لا تتجاوز ثلاثين عاماً، فحاول إظهار شخصيته كمؤرخ فقام باختصار المختصر وتهيأت الفرصة له في زيادة سنوات التذييل، وإدعى أنه شرع في تذييله بدءً من سنة "709هـ / 1309م"، وأضاف إليه نصوصاَ جديدة توافرت لديه، ولربما أهملت من قبل أبي الفداء لعدم أهميتها.

وهكذا نجح ابن الوردي في اختصاره وتذييله وإستثماره جهد أبي الفداء حتى أن قسماً من المطابع هي الأخرى لم تفرق بين المختصر وتتمته فدمجتهما [2] في كتاب واحد، ولم تشر الى إسم أبي الفداء رغم ادعاء أبن الوردي أن هذا الاختصار: "زاده حسنا واضاف اليه من تنميقه بياناً [3].

ولا زال الكثير من المؤرخين يخلطون بين كلا الكتابين المختصر وتتمته، بل إن حاجي خليفة هو الآخر تحير في الفترة التي بدأ أبن الوردي في التذييل فأشار

(1) ابو الفداء: المختصر، 3/1.

(2): لقد قامت دار الكتب العلمية في بيروت بطباعة كتاب تتمة المختصر ثم قدمت طبعة ثانية مميزة عن المختصر رغم انها لم تفصل تاريخ ابن الوردي عن المختصر، ويمكن الاطلاع عليهما لمعرفة منهجية الاختصار لدى ابن الوردي وحذفه لكثير من النصوص التاريخية التي لها اهمية لدى الباحثيين، كما ينظر المطبعة الحيدرية في النجف/1969، و مطبعة دار المعرفة بيروت لبنان/1970.

(3) تتمة المختصر: 42/1.

الى أن أبا الفداء انتهى منه الى سنة "709 هـ /1309 م"، ثم ذكر سنة "721 هـ/1321 م"، وفي موضع أخر أشار إلى سنة "729هـ /1328 م "[1].

كما أكد الكثير من الباحثيين ما ذهبنا إليه، وهو أن التذييل كان سنة "729 هـ/1328 م" منهم: كراتشكوفسكي ويوسف اليان سركيس [2]، والمتعارف عليه بين المؤرخين أن أي إختصار أو حذف أو إضافة هو إساءة لمادة الكتاب العلمية، فمن حق المؤرخ أن يضيف أو يذييل على الأصل مع الحفاظ على النص الأصلي، والمفروض من أبن الوردي أن يذيل على الكتاب، ويترك النسخة الأصلية على هيأتها، كما فعل غيره من المؤرخين ممن سبقوه في التذييل على كتب غيرهم، امثال: الهمداني في تكملته تاريخ الطبري والذيل على تجارب الامم لإبي شجاع وأن يكون واضحاً في المدة التي ذيلها.

ولم يكن هذا المشروع الأخير في التذييل على المختصر وإختصاره، بل هناك مشاريع أخرى تلت أبن الوردي من بينها مشروع المؤرخ عثمان بن اسماعيل بن محمد العزولي الحمصي توفي بعد سنة "782هـ/ 1327م" فقد قام في إختصار المختصر وتتمته وذيل عليه حتى سنة "780هـ/ 1378م، لكنه أهمل الفترة التي سبقت الإسلام، وأطلق عليه إسم: "مختصر المختصر: وجاء في مقدمته التي أقتبسها من مقدمة أبي الفداء ما يلي: "أما بعد أنه سنح لي أ ن أورد في كتابي هذا شيئاً من التواريخ الإسلامية إبتداً من مولد خير البرية ليكون تذكرة يغنيني عن الكتب المطولة فإخترته وإختصرته من تاريخ الشهيد الملك المؤيد أبي الفداء... ورتبته حسب تاليف المختصر، ولما تكامل سميته "مختصر المختصر في أخبار البشر[3]"".

وإختصرالمختصر في أخبار البشرأيضاً قاضي القضاة محب الدين محمد بن

(1): كشف الظنون: 1629/2.

(2) تاريخ الادب الجغرافي: ص284.

(3) توجد نسخة من هذا المخطوط في مكتبة الظاهر بيبرس في دمشق تحت رقم 7153، ونقلت في الفترة الاخيرة الى مكتبة الاسد في دمشق أيضاً.

محمد بن الشحنة الحلبي "ت815 هـ/1412 م"، وسماه "روضة المناظر في علم الأوائل والأواخر"، ويظهر أن سبب إختصاره لهذا الكتاب جاء بناءً على رغبة النائب في حلب إذ قال: "ألتمس مني الملك المؤيد عماد الدين محمد بن موسى النائب بمدينة حلب أن أجمع له كتاباً في التاريخ، وجيز الالفاظ فاصغيت وجعلت له كالباب مفتاحاً ومصراعين وخاتمة [1]"، تضمن الباب الأول بدء الخليقة وهبوط آدم عليه السلام الى الهجرة النبوية الشريفة، والباب الثاني غطى فيه أخبار العالم الإسلامي حتى سنة "806هـ / 1403م"، ويبدو أن هذا الاختصار لم يكن دقيقاً فشكك فيه احد تلامذته [2]، فادعى إستاذه أبن الشحنة أن الناسخ أساء الى كتابه في نقله "من مسودة فقدم وأخر وزاد ونقص فرتب عليه مفاسد"، لذلك قام ولده أبو الفضل بن قاضي القضاة أبن الشحنة "ت890هـ / 1485م" بتقديم شرح للكتاب وسماه "نزهة النواظر في روض الناظر"، وساهم في مشروع آخر هو التذييل على كتاب والده وسماه "إقتطاف الأزاهر في ذيل روض المناظر"، ثم إنتقى منه سبط أبي الفضل المذكور جلال الدين البلقيني كراسة وسماها: "نور الخلاف في منتخب الإقتطاف [3]".

وذيل على المختصر أيضاً: محمد نوري بن أحمد بن عبد الوهاب الكيلاني "ت1326 هـ / 1908 م" سماه: "المعتبر على تكملة المختصر من أخبار البشر"، وذكره البغدادي في هدية العارفين وقال بإنه كان أديباً، وشاعراً. ولد بحماة، ونشأ بها، وولي نقابة الاشراف وعضوية مجلس الدعاوى وعضوية مجلس الادارة ورئاسة البلدية والاحوال المدنية ورئاسة محكمة الجزاء، ورحل إلى القسطنطينية، وعين في دائرة الرسومات، وتوفي بحماة، ودفن في مقبرة الأسرة الكيلانية [4]، وهذه المختصرات وتتماتها ترجع في إصولها إلى كتاب المختصر لإبي الفداء فهي عالة عليه لاهمية هذا الكتاب.

(1) ينظر حاجي خليفة: كشف الظنون، 920/2، 1629.

(2) وهذا التلميذ هو سبط ابي الفداء نجهل اسمه، ينظر كشف الظنون، 920/2، 1629.

(3) حاجي خليفة: كشف الظنون، 920/2، 1629.

(4) كحالة : معجم المؤلفين 23/12.

الفصل الخامس
أبو الفداء جغرافيًّا

- **المنهج الجغرافي عند أبي الفداء**

لقد كان ابو الفداء موسوعياً في عطائه العلمي الجغرافي، فكانت دراساته متنوعة في أصناف الجغرافية منها: في جغرافيات المدن الطبيعية والاقتصادية والاقليمية والبشرية، فأستفاد من خبرات الجغرافيين الذين سبقوا عصره، فنال كتابه "تقويم البلدان" إعجاب المتخصصين في الحقول الجغرافية، واصبحت له شخصية علمية رائدة مستقلة في تحديد أهداف البحث التي شملت المقدمة التي قال فيها بعد ان حمد الله واثنى عليه، وصلى على نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم: "بانه من دواعي تأليفه الكتاب فراغ المكتبة الجغرافية في عصره من مشروع بحثه هذا فقال: "طالعت الكتب المؤلفة في البلاد ونواحي الأرض من الجبال والبحار وغيرها، لم أجد فيها كتاباً موفياً بغرضي"، وفي هذا السياق يعترف بانه تأثر بكتاب ابن جزلة "ت493 هـ /1100م" وحذا حذوه في تأليف كتابه: "تقويم الأبدان في الطب"، وسمى أبو الفداء كتابه على نفس نسق هذا الكتاب "تقويم البلدان"، والأهم من هذا فان الطابع العلمي والجدولة والمقارنات والمناقشات التي تميز بها كتابه "تقويم البلدان" كان وراء تأثر ابو الفداء بكتاب ابن جزلة رغم اختلاف محتوى الدراستين.

وكان ابو الفداء قد التفت الى ظاهرة البحث عن المناطق المجهولة في العالم كما انه قد سبق الدراسات والبحوث المعاصرة التي اكتشفت في عصرنا الحديث والتي تؤكد على دراسة المواضيع العلمية المهملة والتي يواجه بها الباحثون صعوبات لقلة المعلومات عنها، وهذا يعكس كفاءة ونبوغ ابو الفداء وتطوره العلمي

منذ وقت مبكر من قيام الدراسات وتقسيم علوم الجغرافية، فقد ذكر في كتابه اكثر من (600) بلد ومدينة وقرية، فكل هذه المدن التي اشار اليها في كتابه قد ميّزها عن غيرها من البلدان المجهولة في عصره أمثال: "الصين والهند والبلغار والجركس والروس والسرب والأولق والأفرنج والسودان"[1]، وأكد ان أغلب كتب "المسالك والممالك إنما حققوا بلاد الإسلام"، وأهتموا بها وأهملوا هذه البلدان، وكان ابو الفداء يستقصي المعلومات عنها في المصادر المتوفرة لديه ويستجوب التجار والمسافرين عنها وفي حالة تعذر الوصول اليها فيذكر ذلك بقوله "لم يثبت وصول أحد اليها[2]"، ولدقته في التوثيق والتحقيق والنقل عن المسافرين والتجار فيقول: بأنّ هذا المسافر شاهد ذلك عن بعد [3]، كما اكد بأن هناك ظواهر جغرافية كثيرة مثل الانهار معروفة للتجار والمسافرين في تلك البلاد، وقد أهملها أغلب مؤلّفي كتب البلدانيات، وقد وثقها ابو الفداء حسب ما تلقاها "ممن شاهدها على قدر الطاقة"، منها على سبيل المثال: نهر طنا وأزو وتان والأتل في بلاد الترك [4]، وقارن أرباع الأرض فلاحظ ان جزيرة العرب متميزة عن سواها فبدأ فيها لكونها تضم "بيت الله الحرام وقبر نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام[5] ".

توسع ابو الفداء في استخدام نتائج رحلاته وتوثيقها وتوظيفها ضمن منهجه الجغرافي في كتابه، فقد زار مناطق عديدة منها: المدينة المنورة ومكة المكرمة والقدس ودمشق وحلب والقاهرة والاسكندرية، كما نقل مشاهداته عن المعارك التي ساهم فيها بإعتباره ملكاً وقائداً من قادة الجيش المملوكي في حصون بلاد الشام والجزيرة الفراتية وأرمنيا منذ نعومة أظفاره فقال: "إنني حضرت حصار حصن المرقب " وعمري إذ ذاك نحو اثنتي عشرة سنة"[6]، كما ساهم في معارك

(1) ابو الفداء، تقويم البلدان، ص 65.

(2) المصدر نفسه: ص 65.

(3) المصدر نفسه: ص 83 – 107.

(4) المصدر نفسه: ص 63 – 64.

(5) المصدر نفسه: ص72.

(6) أبوالفداء: المختصر، 355/2 – 356.

مدن: عكا وصيدا وبيروت وصور وعثليث وطرطوس والكوم وملطية وقلعة الروم وأرمينيا والأسكندرونة وبغراس وسيس، ونقل لنا صور عن مشاهداته عنها منها: وعورة طرق المواصلات وابعادها وانهارها ومناخها وقلاعها وأسوارها وماشيتها ومنتوجاتها الزراعية.

كما كان يرجح الروايات التي تعتمد على المشاهدة والتحقيق وتحري الدقة في النصوص التي يعتمدها مثلا: حينما تحدث عن نهر سيحون قال: إنّ النقل فيه مختلفاً ورجح رواية ابن حوقل لانه كان قد شاهد هذا النهر، وتتوفر في مكتبته أكثر من نسخة (طبعة)، فقد أشار الى ان "أخسيكث" في بعض نسخ القانون إنها قصبة فرغانة "[1].

وبحكم عمله ملكاً وحسن علاقاته مع الحكام والتجار والمسافرين والحجاج والفضلاء والسكان، فكان بإستطاعته استجواب من يمتلك المعلومات عن الظواهر الجغرافية المختلفة، ويوثق ذلك في كتابه تقويم البلدان، الذي يتضمن نصوصاً من أرض الواقع يضفى عليها الطابع العلمي الايجابي، ومن الامثلة البارزة على ذلك ما ذكره عن ثابت بن حميد حاكم انطاليا في عصره فقال: بأن مدينة انطاليا بلدة صغيرة محصنة ولها بابان على البر والبحر[2]، ونقل عن التجار نصوصاً كثيرة مختلفة، ومنها فيما يخص ملوحة ماء البحر فقال: "وقد حكى لي بعض التجار ان بحر الخزر يتغير طعم ولون ماءه الى الصافي الحلو نتيجة لمصب نهر الأثل فيه[3]، وكان الكثير من المسافرين يدلون بمعلومات جغرافية قيمة لابي الفداء بلغت (36) نصاً متنوعاً اوردها عنهم في كتابه، مثلاً قال: عن بلدة هدية بانها تابعة إلى الحبشة، "ومنها يجلب الخدام ويخصونهم في قرية قريبة منها"[4]، وقسم من هذه الروايات يستلمها عن طريق حجاج بيت الله الحرام الذين يمرون بمملكته حماة، فقال: والذي

(1) ابو الفداء، تقويم البلدان: ص 61، 501.

(2) المصدر نفسه: ص 381.

(3) المصدر نفسه: ص 36.

(4) المصدر نفسه: ص 36.

تحقق عندي من جماعة قدموا حجاجاً سنة "721 هـ/1321م "بأن مدينة انطاليا بلدة مسورة على دخلة في البحر وسورها من حجر"[1]، وكان يلتقي مع الفضلاء في الدول التي يزورها ويتناقش معهم في مختلف جوانب بلدانهم، ويصغي الى أشعارهم كما فعل أثناء زيارته الى أشموم طناح في مصر فذكر: ان العامة تطلق عليها اشمون، والصحيح أشموم بالميم فقال: أن ذلك قد حققته مع "بعض فضلاء مصر"، وأكد هذه التسمية أحد الشعراء الجالسين في مجلسه بقصيدة ذكر فيها هذه التسمية الأخيرة، ولم يكتف ابو الفداء بتوضيح اسم هذه المدينة، بل رجع إلى كتاب المشترك لياقوت الحموي أكد ما ذهب به أبي الفداء[2]، كما كان يستجوب شرائح من السكان مستفيداً من الفحص والمشاهدة فقال: عن مدينة صراي[3] بانها مدينة عظيمة وهي كرسي مملكة التتر شمال غرب بحر الخزر، ثم اكد بانه التقى ببعض من أهلها واستقصى معلومات عنها فيما يخص نهارها الذي يبلغ سبع عشرة ساعة [4]، وكان يسجل ملاحظاته حتى على القرى التي يزورها، فقد ذكر لنا انه شاهد قرية أشمون جريس في مصر فقال عنها: "فهي قرية على النيل الغربي من المنوفية تحت شطنوف من البر الشرقي قبالة جزيرة القط، وقد شاهدتها لما سرت إلى الإسكندرية في النيل"، وقال ايضاً بانه شاهد قرية حوارين التي تقع جنوب شرق حمص[5].

وكان لأبي الفداء أفقاً موسوعياً في علوم اللغة العربية، فكان اديباً وشاعراً ونحوياً ومن اهم مصنفاته كتاب "الكُناش" في النحو والصرف "أشرنا إليه فيما

(1) ابو الفداء، تقويم البلدان: ص 378.

(2) المصدر نفسه: ص 118.

(3) والصراة: وتسمى ايضاً السراي كانت عاصمة القبيلة الذهبية المغولية التي حكمت روسيا وأجزاء من آسيا الوسطى في القرنين الثالث والرابع عشر الميلادي، وكانت من المدن الكبيرة في العالم، تم تأسيسها من قبل صلا باتو خان المغولي الحاكم في منتصف العقد 638هـ/1240 م حسب إشارة ابي الفداء في تقويم البلدان، ص 217.

(4) ابو الفداء، تقويم البلدان: ص 217.

(5) المصدر نفسه: ص 83 – 107.

سبق"، وهذا الاهتمام أشار إليه في مقدمة كتابه فذكر بأن على الجغرافيين الاهتمام بعلوم اللغة العربية وتوظيفها في ضبط أسماء المدن وإشتقاقاتها منتقداً الكتب التي صنفت في هذا الميدان من قبل علماء الجغرافية أمثال الادريسي وابن خرداذبة وابن حوقل، فقال عن الأخير: بأن كتابه صورة الأرض هو: "كتاب مطول ذكر فيه صفات البلاد مستوفياً، غير أنه لم يضبط الأسماء" التي تطرق إليها في كتابه المذكور[1].

وكان ابو الفداء اميناً في نقله من أوثق المصادر التي يستقي منها معلوماته فيحلل النصوص ويناقش المعلومات بطريقة علمية ويشير الى اسم المؤلف والكتاب أو المؤلف بدون الكتاب او لقب المؤلف فقط، ومن الامثلة على ذلك ما نقله عن البيروني "ت362ه973م" الذي كان يرى فيه العالم الكبير ولقبه بلقب "الأستاذ" في علوم الجغرافية المختلفة ونقل عنه فقرات مطولة فأشار الى اسم البيروني (10) مرات، وابو الريحان البيروني (11) مرة، وذكر كتابه "القانون" (56) مرة، كما نقل من نصوص كثيرة من الشريف الإدريسي "ت 560ه/1166م"، فقد ذكر إسمه (67) مرة بينما أشار إلى إسمه وكتابه "نزهة المشتاق" أكثر من (30) مرة، وقد أكد على الروايات التي عاينها الإدريسي ومن الامثلة على ذلك ما ذكره حول ظاهرة المد والجزر إذ قال "إن المد والجزر الذي رأيناه عياناً في بحر الظلمات ... يمد في اليوم مرة وفي الليل مرة[2]"، ومن أهم الكتب التي اعتمدها ابو الفداء كتاب المسالك والممالك للعزيزي المهلبي "ت 330هـ /990م"، أذ فقد هذا الكتاب ولم يصلنا [3]، فقد حفظ لنا أبو الفداء نصوصاً مهمة مطولة بلغت (194) نصاً منه، فقد أشار مرة واحدة إلى اسم المؤلف والكتاب "المسالك والممالك"، وقال بأن هذا الكتاب يسمى "العزيزي".

وكان ضمن منهج أبو الفداء تحقيق الأسماء التي وردت بلغات أخرى فأكد

(1) ابو الفداء: تقويم البلدان، المقدمة

(2) المصدر نفسه: ص26.

(3) قام الباحث الأستاذ تيسير خلف بجمع نصوص الكتاب من المصادر التي نقلت منه.

ذلك بقوله: إنَّ جميع "الاسماء الاعجمية قد حققناها بالضبط" وهذا يدلل على ثقافته الواسعة ومعرفته لعدة لغات ولهجات منها: الفارسية والتركية والعبرية، فمن الكلمات الفارسية التي ترجمها هي أمثال كلمة "سياكوه"، التي تعني "الجبل الاسود"، وكلمة طبرستان قال بأنها مركبة من كلمتين "الطبر" وتعني "الفأس"، و"استان"، وتعني " الناحية"، وكلميتي "مرو الشاهجان" ومعناها "روح الملك"، وكلمة شهر تعني "المدينة"، وكلمة "الروذ" معناها "النهر"، وترجم الكلمات التركية منها: جبل "قشقاطاغ" ومعناه الجبل "الصعب"، وكلمة قراقوم معناها، " الرمل الاسود"، وكلمة "الطور" في اللغة العبرية "الجبل"، وكلمة "الخيبر"، تعني "الحصن"، وهناك كلمات أخرى بلغات مختلفة ترجمها أبو الفداء مثل كلمة "زيوش"، وتعني كوكب "المشتري"، و"بلار"، وتسمى باللغة العربية "بلغار"[1].

- **الحداثة عند أبي الفداء:**

المراد هنا في معنى كلمة الحداثة: وهي المعلومات الجغرافية الجديدة التي طرحها أبو الفداء في عصره، أو التي كانت مكتشفة وإنتقاها وركز عليها وأثبت صحتها وأُكدتها الدراسات الحديثة الآن وأعتمدتها، ويظهر أن أبا الفداء إطلع على كتب علماء البلدان والجغرافية، فلم يقتنع بصحة المعلومات التي وردت فيها فقال: "فإني لما طالعت الكتب المؤلفة في البلاد ونواحي الأرض من الجبال والبحار وغيرها لم أجد فيها كتابا موفياً بغرضي"، فوجه إنتقاداته إلى علماء الجغرافية منهم: أبن حوقل وكتابه "صورة الأرض"، وقال بأنه "كتاب مطوّل ذكر فيه صفات البلاد مستوفيا غير أنه لم يضبط الأسماء، وكذلك لم يذكر خطوط الطول والعرض، فصار غالب ما ذكره مجهول الاسم والبقعة، ومع جهل ذلك لا تحصل فائدة تامّة"، كما إنتقد كتاب الشريف الإدريسي "ت560هـ/ 1164م"، الذي أطلق عليه إسم كتاب "المسالك والممالك"، وابن خرداذبة "توفي نحو "280هـ / 893م" في كتابه "المسالك والممالك"، فقال: إن هؤلاء "جميعهم حذوا حذو ابن حوقل في عدم

(1) ابو الفداء، تقويم البلدان، ص63، 89، 216، 218، 259، 432، 457، 463، 575.

التعرّض إلى تحقيق الأسماء والأطوال والعروض، وأما الزيجات "الجداول" والكتب المؤلفة في الأقوال والعروض فإنها عريّة عن تحقيق الأسامي، وعن ذكر صفات المدن"، وشملت إنتقادات أبو الفداء الكتب التي عملت على تصحيح الأسماء وضبطها مثل: كتاب "الأنساب" للسمعاني "ت 562هـ / 1166م"، و"المشترك" لياقوت الحموي "ت 626هـ/1228م"، وكتابي" مزيل الارتياب عن مشتبه الانتساب"، و"الفيصل"، وكلاهما لأبي المجد إسمعيل بن باطيش الموصلي "ت655هـ / 1257م"، فقال: إن هذه الكتب اشتملت على ضبط الأسماء وتحقيقها من غير تعرّض إلى الأطوال والعروض، ومع الجهل بالأطوال والعروض يجهل سمت ذلك البلد، فلا يعرف الشرقي منها ولا الغربي ولا الجنوبي ولا الشمالي، ولما وقفنا على ذلك وتامّلناه جمعنا في هذا المختصر ما تفرّق في الكتب المذكورة، من غير أن ندّعي الإحاطة بجميع البلاد أو بغالبها، فإن ذلك أمر لا مطمع من الإحاطة به، فإن جميع الكتب المؤلفة في هذا الفن لا تشتمل إلا على القليل إلى الغاية.

لهذا حاول أبو الفداء سد الفراغ الحاصل في المكتبة الجغرافية في عصره من خلال تقديم كل ما هو مستحدث وجديد فأهتم في تبويب المادة حسب الاقاليم، ورفض الفكرة التي كانت قائمة على دراسة المدن وتوابعها حسب الحروف الابجدية وغيرها التي تبناها ياقوت الحموي، فكان متميزاً في منهجه العلمي من خلال النقد والمقارنة والتحليل، مثلاً حينما تحدث عن كروية الأرض حاول إثبات نظرية كرويتها من خلال حركة الأجرام السماوية ومواقعها ومواضعها التي تسمى بدراسات علم الهيأة فقال عنه الصفدي: بأنه قد تميز بهذا العلم "لِأَنَّهُ أتقنه[1]"، فرصد حركة الأرض والكواكب وأيقن: "أن تقدّم طلوع الكواكب" للمسافرين إلى الشرق والعكس على غروبها للمسافرين إلى الغرب يدلل على استدارتها شرقاً وغرباً، كما إن ارتفاع القطب والكواكب الشماليّة والعكس في الجنوب للمسافرين في الشمال يدلل على كرويتها أيضاً، وضرب أمثلة إخرى في سبيل إثبات نظرية

(1) الوافي بالوفيات: 104/9.

كروية الأرض التي لا زال الكثير من الناس يشككون في أمرها، كما إن أبا الفداء كان يتمنى أن يستطيع الإنسان في عصره "السير على جميع الأرض" على قدميه كي يصدق الناس أقواله وإثبات النظرية التي أصبحت الآن معروفة لكل المسافرين في الطائرات من دول العالم حينما يجتازوا خط التاريخ الدولي الوهمي الذي يقسم المحيط الهادي إلى قسمين شرقاً وغرباً، فأكد أبو الفداء قبل أكثر من سبعة قرون إن الذي يسافر من الشرق إلى المغرب يزداد يومًاً واحداً فإذا كان سفره يوم الجمعة يصبح الخميس في مفكرته، وإذا سافر من الغرب إلى الشرق يكسب يوماً فيصبح لديه يوماً إضافياً السبت.

وكان أبو الفداء قد عْرَفَ خط الإستواء وقال: بأنه خط وهمي على شكل دائرة عظيمة تمرّ بنقطتي الاعتدال الربيعي والخريفي، ويقسم الأرض إلى نصفين أحدهما شمالي والآخر جنوبي، والذي يسكن في خط الإستواء يتساوى عنده الليل والنهار، وهذا التعريف الآن هو متعارف عليه في الدراسات الحديثة، ثم أكد بإن ربع الأرض يابس، وثلاثة أرباعها مغمورة بالماء، وإن أقصى شمالها وجنوبها بارد غير صالح للسكن، ويقصد هنا المحيط المنجمد الشمالي والجنوبي، وأوضح ذلك في مرتسم دائري [1]، ثم رجح السكن في المنطقة الشمالية من الكرة الأرضية، وهذا الرأي صحيح كما هو الآن في منطقة الأسكا التي إكتشفها البحار الشهير كريستوفر كولومبوس سنة 1492م، وضمتها الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1959م إلى نفوذها، وهي تقع في أقصى الركن الشمالي الغربي للقارة الأمريكية الشمالية، ويحدها من الشمال المحيط المنجمد الشمالي، والأمطار فيها مستمرة طيلة أيام السنة، ولا تشرق فيها الشمس في الشتاء وأراضيها منجمدة، بينما كان نصير الدين الطوسي "ت672هـ / 1273م" المعاصر لأبي الفداء يرى إن الشمس صغيرة في شمال الأرض وكبيرة في جنوبها، ويخالف أفكار أبي الفداء، فرد عليه الأخير بالقول: إن العناية الالهية جعلت هذا التوازن في الكون ورفض مثل هذه الأفكار [2].

(1) عن المرتسم ينظر تقويم البلدان: ص3 ـ5.

(2) ابو الفداء، تقويم البلدان: ص3 ـ5.

وكان أبو الفداء يذكر مكونات كل اقليم وإحداثياته ورسم خرائطه وذكر الأوقات الشرعية فيه من خلال الوحدات المتشابه به والذي طرحه في عصره وأكد على ذلك فقال: "ليكون كل إقليم تحت مدار تتشابه أحوال البقاع" المتمثلة في حدوده ومركزه ومدنه وقراه ومناخه وتربته وإنتاجه الزراعي ومعادنه، وهو ما يسمى الآن "الكوزموغرافيا"، فأشار في المقدمة وهو جزء من منهجه الجغرافي الى انه قسم الاقاليم إلى قسمين بموجب المتشابهات التي تجمع الإقليم الأول: الأقاليم الحقيقية التي تشمل المساحات الواسعة من الاراضي على سطح الكرة الارضية، وحاول فهمها فهماً عميقاً من خلال اطلاعه وثقافته الجغرافية الواسعة فقسمها الى سبعة أقاليم، فأراد القول إن الكرة الارضية مقسمة إلى سبع قارات وهي المعروفة الآن، والقسم الثاني أطلق عليه الإقليم العرفي وهو جزء من الأقاليم الحقيقية، ولربما يكون اكبر منه في حالات نادرة للتداخل الذي يحصل في الأرض لإن مساحة الاراضي غير متساوية على سطح الكرة الأرضية وضرب مثلاً على ذلك فقال: إن الاقاليم مساحاتها واسعة وهي ليست متشابه بقطع من الاراضي السكنية الصغيرة المجزأة هندسياً فقد تكون هذه مربعة، أو مستطيلة، أو مثلثة فيمكن تحديدها.

كما أكد بأن لكل اقليم عرفي ملحق به عدد من الأمم والممالك والبلدان التي تشكل الأقاليم مثل إقليم العراق وبلاد الشام وإقليم الصين، وبهذا فقد إستطاع أبو الفداء تحديد أماكن البلدان ومواضع المدن من خلال الأقليم الحقيقية والاقاليم العرفية الوهمية الشبيه الآن بدوائر العرض التي عددها (180) درجة وخطوط الطول التي عددها (360) خطاً توزع على سطح الكرة الأرضية بصورة وهمية، إن هذا الجهد العلمي الذي قدمه أبو الفداء وسبق غيره في تحديد الأقاليم والأماكن والمدن وتقريب المسافات بينها وتقليل الأخطاء في تحديد مواقع المدن وإكتشافها والتي اخطأ فيها كثير من الجغرافيين الذين أهتموا بهذا الموضوع في عصره لقلة الخرائط الدقيقة والمكتشفات العلمية، ورغم كل ما حققه أبو الفداء عن أحدث المفاهيم ومرتكزاتها في حداثة المدن، فقد كان متواضعاً في العديد من المفاهيم

الجغرافية مثلاً قوله: "وقد رأينا غالب واضعي الكتب المؤلفة في الأطوال والعروض من الزيجات "جداول التقاويم" وغيرها لا يحافظون فيها على إثبات الأماكن في مواضعها من الأقاليم، بل يثبتون بعض أماكن الإقليم في إقليمٍ أخر، ومن تأمل ذلك وكشفه تحقّق صحة ما ذكرناه، ونحن: فقد راعينا ذلك وأثبتنا كل مكان في إقليمه [1] ".

كما أشار أبو الفداء وهو القاطن في حماة في سوريا رغم بعد المسافات إلى إختلاف ساعات الليل والنهار في أقصى شمال وجنوب الكرة الأرضية، وجاءت دراساته مقاربة لما عليه الآن، فقال عن الإقليم السابع الذي تعد روسيا جزء منه إن ساعات النهار فيها تبلغ (17) ساعة، وحينما دققنا هذه النتيجة في نفس المكان، ووجدنا إن طول ساعات النهار في موسكو عاصمة روسيا سنة 2018 يصل إلى (17) ساعة تقريباً، وكلما توجهنا إلى شمال غرب روسيا إزدادت ساعات النهار طولاً حتى تصل إلى (24) ساعة في مدينة مورمانسك شمال غرب روسيا والمجاورة إلى الدائرة القطبية الشمالية وجزء منها، ثم واصل أبو الفداء القول ضمن حساباته المناخية والفلكية بأن طول النهار يزداد كلما توغلنا في عمق القطب الشمالي حتى يصل إلى ستة اشهر نهاراً والعكس في القطب الجنوبي يكون ليلاً، في الوقت الذي لم يكن هناك إنسان يصل إلى هذه المناطق في عصر أبي الفداء على عكس ما هو الآن بوجود من فرق علمية مهمتها دراسة المناطق القطبية والتوغل في شمالها وجنوبها، وتوصلت هذه الفرق إلى نتائج متقاربة في طول الليل والنهار كما وردت في تقويم البلدان التي دونها واعترف في صحتها أبي الفداء قبل أكثر من سبعة قرون[2].

لقد كشف أبو الفداء عن ظاهرة يكاد ينفرد بها عن غيره من علماء الجغرافية وهي جدولة كتابه "تقويم البلدان"، وتنظيم ملخص في كتابه على شكل جداول لكل إقليم ومدينة، مما يجعله من أوائل رواد هذا الإسلوب ومتميزاً عن مؤلفين

(1) أبوالفداء، تقويم البلدان: ص9، 10.

(2) المصدر نفسه: ص9، 10.

آخرين، وهو ما يحدث في دراسات معاصرة جادة، كي يتجنب الإطالة والإستطراد والتكرار، فتضمن تخطيط جداوله: "التسلسل" الذي أطلق عليه إسم "سطر العدد"، ويليه أسم المدينة، وإسم مؤلف الكتاب الذي نقل منه المعلومات، وهذا يعكس إيجابيات أمانته العلمية موضوعيته في منهجه العلمي في التوثيق والأمانة في نقل النصوص، ثم رسم مخطط في الجداول يوضح فيها خطوط الطول ودوائر العرض ودرجاتها ودقائقها، ثموضع مربع خاص في أعلى الجدول يوضح موقع الإقليم الحقيقي أو العرفي، ويأتي المربع الأخير ليتضمن ضبط الأسماء، وهو من أكبر المربعات لإهتمام أبو الفداء في الجانب اللغوي في ضبط أسماء المدن، ثم يلي هذا الجدول جدول أخر يتضمن مربعات مستطيلة الشكل كتب في أعلاه "الأوصاف والأخبار العامة" التي تخص المدن والشرحات الواردة عنها على شكل ملخص مثال على ذلك ما كتبه عن مدينة بغداد فقال عنها: فهي من الإقليم العرفي الثامن في العراق، وإن معلوماته استمدها من كتاب القانون للبيروني وكتاب اللباب لإبن الأثير، ثم ضبط إسمها وقال: وبغداد بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وفتح الدال المهملة وفي أخرها ذال معجمة.

- **المدينة عند ابي الفداء:**

يختلف أبو الفداء في مفهومه للمدينة عن غيره من الجغرافيين لكونه كان قائداً ثم ملكاً وباحثاً في العلوم الجغرافية والتأريخية، وتربى في بيئة علمية ثقافية، وهذه المسؤوليات ألقت عليه تجارب كبيرة في الحكم منها: تقديم معالجات للمشاكل التي كانت تواجهه بأعتباره باحثاً ميدانياً يعيش تجربة القيادة والحكم والتأليف وتحليلها وفهمها ومناقشتها من موقع مسؤوليته حسب تطور المدينة وضعفها ورفع مستواها الثقافي والاجتماعي والإقتصادي، وتقديم ما هو افضل في الخدمات التي كانت تقدم لها، ومقارنة المدن ذات العلاقة من خلال تجربته ودراساته من ناحية موضعها وموقعها في الحفاظ على حداثة المدينة وديمومتها، فهو يختلف عن غيره من الجغرافيين في إدراكه لتفاصيل المدينة ووظائفها وحاجاتها ونظامها ومناخها وحركة العمل فيها واستعمالات أرضها وإنتاجها وموانئها ومعادنها وشوارعها

ونظافتها ومظاهرها العمرانية ومواد بناءها وأجناس سكانها وحضرها وبدوها، ولكونه كان قائداً فهو يؤكد عل تحصينات المدينة وإستحكاماتها ودفاعاتها وقوة رجالها ولعل فهمه للتأريخ جعله يدرك معنى أسماء المدن، وتأسيسها، وأثارها وتحدث عن العادات والتقاليد في المدن، كما أشار إلى المدن البعيدة التي يتواجد فيها المسلمون بالعالم وتابعها، أمثال مدينة: أربونة التي تعد أقصى ثغور المسلمين في بلاد الأندلس وهي أخر نقطة وصلها موسى بن نصير في فتوحاته لتلك المناطق، وقال عن أغمات في جنوب شرق مراكش بأنها "ذات مياه وفواكه كثيرة "... كانت كرسي ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قبل أن يختط مدينة مراكش"، وذكر مدينة سَواكِنْ التي تقع شمال شرق السودان وقال: بأن ملكها من المسلمين يفرض الضرائب على التجار، كما أنه تابع أماكن المسلمين حتى في الحارات المتواجدين فيها وفي أبعد المناطق في العالم في ذلك العصر أمثال: حارة المسلمين "الكولم" التي فيها جامع والموجودة في جنوب الهند، وأشار إلى مدينة تانة التي تقع على الساحل الهندي وكان أهلها يعبدون "الأنداد"، ورغم ذلك يسكنون معهم المسلمين، كما تابع أبو الفداء هجرة المسلمين القصرية من جزيرة صقلية إلى مدينة لوشيرة في وسط إيطاليا [1].

1. ظاهرة تأسيس المدينة وخدماتها وعاداتها الإجتماعية:

مما سبق فقد كان أبو الفداء موسوعياً ورائداً في مختلف أصناف المدينة وتشكيلاتها وعوامل قوتها ونجاحها في إطار الدراسات الجغرافية التاريخية وغيرها، فقد ميّز بين المدن القديمة والمدن المحدثة، واعد المدن التي شيدت قبل الأسلام مدن قديمة فأكد على أثارها وحضارتها ومعطياتها، وأهتم بالمدن التي شيدت بعد الإسلام، وأعدها من المدن الحديثة، فأكد على تأريخ تاسيسها ومؤسسها وتسميتها وأهمية موضعها، فقد ذكر أكثر من (25) مدينة في كتابه تقويم البلدان أطلق عليها هذه التسمية "المدن المحدثة"، وقدم وصفاً عنها منها مدن: جبلة والعباسة

(1) ابو الفداء، تقويم البلدان: ص209، 221، 359، 361، 424.

وتاهرت وباديس وفاس ومراكش ومسيلة والقيروان وزويلة وبطليموس ومرية ومرسية والرملة وعسكر مكرم وشيراز والعلايا وأربل وتبريز، ومن الأمثلة على ذلك أيضاً الفسطاط التي قال عنها: مدينة محدثة بناها عمرو بن العاص 000 وهي كرسي مملكة الديار المصرية، وأشار إلى مدينة بطليوس: بقوله بأنها "مدينة عظيمة وهي على نهر في بسيط من الأرض مخضرّ وبنى فيها صاحبها المتوكل بن عمر الأفطش" ت 387 هـ /1094م" المباني العظيمة وهي محدثة إسلامية"، وتقع في شمال غربي مملكة قرطبة، وقال عن مدينة جبلة: بانها تقع بين عدن وصنعاء وكانت تسمى مدينة النهرين لانها تقع على نهرين[1]، كما أكد على المدن المندرسة في عصره وذكر أكثر من (50) مدينة "خراب" منها: المرقب وطبرية ومدين ومأرب وصحار وبنزرت ومعان وزبطرة وغيرها، مثلاً قال عن: الرقة: بأنها خراب في زماننا "ليس بها أنيس"، والرها التي ذكرها بقوله: مدينة كبيرة وبها كنيسة عظيمة، وفيها أكثر من ثلاثمائة دير للنصارى وهي اليوم خراب"، وأشار إلى مدينة الرستن بانها: "كانت عامرة في قديم الزمان وهي اليوم خراب [2] " وقال عن مدينة مدين بانها أيضاً خراب، وأكد على مدينة معان وقال عنها: بانها مدينة صغيرة وهي الآن خراب ليس بها أحد.

وكان لابي الفداء أفقه التأريخي، فهو يربط بين المدينة ومؤسسها، فقال عن قم بانها شيدت من قبل عبد الله سعدان الأخوص سنة "83ه /702م" [3]، وأن مدينة سلمية شيدها عبد الله بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، وأن الهارونية شيدها هارون الرشيد ونسبت اليه، كما شيد الرشيد مدينة أدنة وهي خامس المدن التركية من ناحية حجم السكان تقع على نهر سيحون على بعد (30كم) من البحر المتوسط، كما شيد مدينة طرسوس من أجمل مدن ساحل البحر المتوسط في سوريا الآن [4]، ومدينة المهدية: استحدثها المهدي عبيد الله الفاطمي

(1) المصدرنفسه: ص91، 119.

(2) أبوالفداء، تقويم البلدان: ص259.

(3) المصدر نفسه: ص381.

(4) المصدر نفسه: ص 234، 249، 265.

سنة "303هـ / 915م "ونسبت إليه" وابتنى بها القصور الحسنة ... وصارت من أجلّ الأمصار [1] ".

اما شيراز فقد شيدها محمد بن القاسم بن أبي عقيل ابن عم الحجاج بن يوسف الثقفي، وتابع أسماء المدن وتغييراتها فقال عن مدينة المنصورة في بلاد السند بأن أسمها كان "يمنهوا"، وتغير اسمها الى المنصورة نسبة إلى أبي جعفر المنصور لأنها فتحت في عهده من قبل القائد عمر بن حفص المعروف بهزار مرد المهلبي[2]، وقال عن برقة بأنها: كانت تسمى في أيام الرومان "أنطابلس" فسمتها العرب لما فتحتها في صدر الإسلام برقة لكثرة حجارتها المختلطة [3]، وتابع أسماء القرى أيضاً مثل قرية خشوفغن من قرى الصغد: فقال عنها وهي الآن تسمى "رأس القنطرة " [4]، وكان يتابع عدد سكان المدن ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره عن في بلدة سنترية في مصر البالغ سكانها "الف نفر"، وقال إن في شمال إنطاليا في جنوب تركيا توجد مائتي ألف بيت للتركمان يقال لهم الأوج [5].

وذكر فراوة وقال عنها: بليدة مما يلي خوارزم شيدها عبد الله بن طاهر في خلافة المأمون وأهلها دون ألف رجل[6]، كما ميز بين سكان المدن الحضر والبدو مثال على ذلك: قاعدة التكرور التي تقع على جانبي نهر النيل فهي تنقسم إلى حضر ويسكنون المدن، والبدو هم من الرحالة في جنوب البلاد[7].

وكان يرى أن الري والارحية، وإيصال الماء إلى البيوتات والمحلات السكنية تعد ظاهرة متقدمة في الخدمات التي تقدم إلى السكان، ويظهر إنه إبتدأ بمدينته

(1) المصدر نفسه: ص 167.

(2) المصدر نفسه: ص 381.

(3) أبوالفداء، تقويم البلدان: ص142.

(4) المصدر نفسه: ص 378، 485.

(5) المصدر نفسه: ص380، 449.

(6) المصدر نفسه: 129.

(7) المصدر نفسه: 161.

حماة باعتباره ملكها وقدمها نموذجاً يحتذى به فكانت مياهها تصل عن طريق نهرها العاصي إلى دورها وبساتينها فقال عنها بأنها "من أنزه البلاد الشامية، والعاصي يستدير على غالبها من شرقيها وشماليها... وفي داخلها الأرحية على الماء، وبها نواعير على العاصي تسقي أكثر بساتينها، ويدخل منها الماء إلى كثير من دورها، وأكد على فاس وقال: تضم مدينتين يشق بينهما نهر، وفي فاس عدة عيون تجري وللمدينتين ثلاثة عشر بابا، والمياه تجرى بأسواقها وديارها وحماماتها، وأعدها من أفضل المدن في المغرب والمشرق لوصول الماء إليها [1]، وقال عن سمرقد: إن الماء يصل إليها بواسطة نهر يدخل "إلى المدينة على حمالات في الخندق ومعمول بالرصاص [2]"، وأندهش ابو الفداء عن كيفية وصول الماء إلى مدينة لاردة الواقعة شرق الأندلس، فقال إن الماء يصلها بقناة قد "أعجزت صنعته جميع العالم [3]"، وأعد أبو الفداء مدينة الشاش بأنها مدينة جليلة وعامة دورها يجري فيها الماء، وهي من أنزه بلاد ما وراء النهر[4]، وذكر بأن مدينة اقصرا لها نهر كبير يدخل في وسط البلد ويصل الماء إلى بعض بيوتها، وقال عن أنطاليا بلدة صغيرة وهي كثيرة المياه والبساتين، ولها نهر صغير، وقني تدخل إلى البلد وتخترق دوره وسككه، بينما قال عن مدينة الشرجة بانها صغيرة تقع على ساحل البحر ولم يصل الماء إليها، وبيوتاتها من الأخصاص[5]0

ومن الخدمات التي تقدم أيضاً إلى السكان والتي أكد عليها ابو الفداء الأرحية التي تعمل بواسطة جريان الماء أو هبوب الرياح وتطحن بواسطتها الحبوب، فقد نالت مدينة فاس إعجاب أبي الفداء لكثرة ما إحتوته من رحى فبلغ عددها "على نهرها الغربي ثلاث آلاف رحى"، وهو عدد كبير قد لا يتوفر في مدن الاقاليم

(1) المصدر نفسه : ص133، 263

(2) أبوالفداء، تقويم البلدان: 493.

(3) المصدر نفسه: 181.

(4) المصدر نفسه: 495.

(5) المصدر نفسه: 383، 91.

الأخرى، لهذا أعدها أبو الفداء من الجنائن الموجودة على الأرض لوجود نهرها وإكتظاظ قراها ومدنها وكثرة زرعها وضرعها، وشبهها بدمشق حتى قيل أنه "قد شاع في داخلها عيوناً تنبع على عدد أيام السنة"، وذكر مدينة بلخ التي تقع شمال إفغانستان وقال: بأن لها نهراً يسمّى دهاس يجري في ربضها وهو نهر يدير عشر أرحية، والبساتين في جميع جهات بلخ فيها الأترج وقصب السكر، وذكر ابو الفداء سجستان وقال إن أراضيها رملية ويكثر فيها النخيل " وتشتد بها الريح وتدوم، وبها أرحية تطحن بالريح، وقال ابو الفداء إن حجارة الأرحية هي حجارة خاصة تستورد من هراة في إفغانستان، كما أكد أبو الفداء على الإضاءة في المدن وهي ما تميزه الدراسات الحديثة في تشييد المدن، فقال عن مدينة بليسية بأن: ضوؤها "يزيد على ضوء بلاد الأندلس[1] ".

وقد دوّن لنا أبو الفداء العادات والتقاليد لكثير من الشعوب: مثل بلدة هدية في الحبشة التي يجلب منها الخدم بعد خصيهم، ويتصدقون بذكورهم، وأشار إلى بعض مناطق شمال السودان وقال: بأن هؤلاء يبردون أسنانهم ويأكلون لحوم البشر، "وإذا مات لهم ميت دفعوه إلى جيرانهم وكذلك يفعل معهم جيرانهم"، وذكر بلد الجلالقة في الإندلس وقال عن أهلها بأن "أقواتهم الدخن والذرة"، وهم: "دناة أخلاق، لا يتنظفون ولا يغتسلون في العام إلا مرة أو مرتين بالماء البارد، ولا يغسلون ثيابهم منذ يلبسونها إلى أن تتقطع ولهم بأس شديد، لا يرون الفرّ عند اللقاء بل يرون الموت دونه"، وقال: عن قاعدة خاقان البجناك بأن أصولهم ترجع إلى الأتراك ولهم عادات خاصة بهم في إحراق " أنفسهم ويحرقون من وقع إليهم، وقال أن أهل سجلماسة في المغرب العربي "يسمنون الكلاب ويأكلونها"، وقال عن أبخاس على مقربة من مدينة القسطنطنية في الساحل الشرقي أن أهلها "حرامية قطاع الطريق"، وذكر نهر كنك في الهند وقال: أن هذا النهر "معظم عند الهنود ويحج إليه الهنود ويغرقون أنفسهم فيه ويقتلون أنفسهم أيضا على شاطئه"، وذكر مدينة "الميانمار" وتسمى الآن جمهورية أتحاد الميانمار "بورما"، تقع جنوب شرق

(1) أبو الفداء، تقويم البلدان: 91، 123، 179 340، 461.

أسيا بأن قسماً من أهلها يهود وأن ملكها كافر [1]، وهؤلاء لا زالوا يقتلون المسلمين أبشع قتل ويهجرونهم.

2. ظاهرة الآثار عند أبي الفداء:

يعد الأهتمام بعلم الآثار من الدراسات الحديثة الآن في تحليل الأصول المادية لحضارة الإنسان التي سبقت أي عصر من العصور التأريخية في فترة زمنية غير محددة عن طريق استقراء الشواهد المادية والفكرية الماثلة للعيان، وقد أدرك أبو الفداء أهميتها في عصره فأنتبه اليها وزاده الفضول في الإعجاب والتفكر بها، فسجل ملاحظات قيمة عنها وثبت وجودها قبل أكثر من سبعة قرون، فكتب عن مواقع أثرية ذات أهمية كبيرة في تأريخنا وهي مقصد للسائحين الآن في تلك البلاد منها: العراق مصر وسوريا واليمن وفلسطين ولبنان والأردن والمغرب العربي وسمرقند والأندلس، فقد أشار إلى بابل وقال: بأنها الآن عبارة عن قرية قائمة على مدينة خراب، وأكد من خلال آثارها بأنها كانت دولة كبيرة عظيمة فقال: "وبها آثار أبنية أحسبها أن تكون في قديم الأيام مصرا عظيماً [2] ".

ثم أشار إلى إهرامات مصر وحدد موقعهما غربي مدينة الفسطاط، وأطلق عليهما إسم "الهرمان" ويقصد هرمي خوفو وخفرع، وقدم عنهما وصفاً علمياً وأعدهما من "الآثار الغريبة العجيبة بديار مصر"، وقال بانهما: "بناءان عظيمان"، اتخذهما الفراعنة مقابر لهم أطلق عليهما أبو الفداء "مقابر الأوائل"، وذكر بأن هناك اهرامات أخرى في نفس المكان أقل إرتفاعاً منهما، ثم أكد على رفضه للروايات التي تحدثت عن الأهرامات والتي لا تنسجم مع الواقع العلمي منها فيما يخص الخرافات التي يتداولها العامة وغيرهم عن تشييد الأهرامات [3]".

(1) المصدر نفسه: ص67، 155، 160، 175، 187، 193، 232، 405، 442.

(2) أبو الفداء، تقويم البلدان: ص 303.

(3) المصدر نفسه: ص 108.

الصورة 3 مسلةفرعون
https://www.google.com/search?q

كما نالت إعجاب أبي الفداء منارة الإسكندرية التي تقع في وسط المياه لساحل البحر المتوسط لمدينة الإسكندرية، شيدها الأسكندر المقدوني وأعدها أبو الفداء من "الاثار الغربية"، وذكر أن طولها (180) ذراعاً، شيدت لتهتدي بها المراكب القادمة الى ميناء الأسكندرية، وقال بأنها: تحتوي على عامود السواري وطوله نحو (43) ذراعاً ويسمى الآن "الفنار"، وأكد أن في هذه المنارة مرآة عاكسة لتوجيه حركة السير للمراكب، وهي مصنوعة "من الحديد الصيني[1]".

وأمتد إهتمام أبي الفداء الى مدينة عين الشمس الواقعة شرق القاهرة، رغم إنها كانت خالية من السكان في عصره، ولكن أهميتها تأتي لكونها مدينة قديمة شيدها الفراعنة، فقال عنها: بأنها تضم: "آثار قديمة عظيمة مذهلة من الصخور"، كما إندهش أبو الفداء بروعة وحسن صناعة "مسلة فرعون" الموجودة فيها ووصفها على إنها مصممة من "عمود عدسي مربع" طوله نحو (30) ذراعا التي تقع في قرية المطرية في عين شمس، ولا تزال هذه المسلة موجودة في نفس المكان الصورة رقم (3)، وتعد هذه القرية الآن من أجمل احياء عين شمس في القاهرة وأعرقها تاريخاً وتشكل جزءً من مدينة هيليو بوليس القديمة، وفيها القصور الضخمة التي تعود إلى كبار الشخصيات في مصر منها قصر المجدد محمد عبده، ومزرعة الملك فاروق وكان المطرب عبد الحليم حافظ يمثل أفلامه فيها، وقد أدرك

(1) المصدر نفسه: 104 – 113.

أبو الفداء أهميتها رغم إنها كانت خالية من السكان قبل قرون خلت من الزمان وهذا ما أكدته الأبحاث والتنقيبات العلمية المعاصرة في عين الشمس، وكان أبو الفداء يرى أن الصور هي جزء من علوم الآثار فقال عن البربي الواقعة في صعيد مصر بأنها مشهورة، وهي من أعظم آثار الأوائل "لكبر صخورها المنحوتة وكثرة التصوير التي عليها[1]"، كما قال عن مدينة منف "مصر القديمة" فيها: "آثار عظيمة مذهلة من الصخور المنحوتة المصورة، ويظهر أن ابا الفداء قد أطلع عليها فوصفها بأنها صبغت بمادة دهنية خضراء اللون "طلاء" وهي ياقية لم تؤثر عليها أشعة " الشمس وغيرها على طول هذه المدة [2] ". وقال عن تدمر بأن فيها: "آثار عظيمة أولية من الأعمدة والصخور[3]"، وعن غمدان قال: "وبها تلّ عظيم يعرف بغمدان كان قصر ملوك اليمن[4]"، وذكر الرها وأكد بأنها مدينة رومية عظيمة فيها آثار عجيبة" [5]، وأشار إلى رفح في فلسطين بأنها تضم "آثار من الرخام وغيره[6]"، ولحرص ابي الفداء على دراسة وتدوين الآثار فقد نقل نصاً عن مشاهدة ابن حوقل لباب أثري في سمرقند قال فيه: ورأيت باب من أبواب "سمرقند يسمى باب كش، صفيحة من حديد وعليها كتيبة"، يزعم أهلها أنها دونت باللغة الحميرية، وأن هذا الباب قد صنع في اليمن قبل الإسلام، وأثناء زيارة ابن حوقل لسمرقند وقعت فتنة هناك وأحرق الباب وذهبت الكتابة، ويظهر ان اهتمام ابي الفداء بهذ النص دليل على محبته للآثار وتأسفه على إحراق الباب لإنه يدل على تطور العلاقات بين اليمن وسمرقند في تلك الفترة الزمنية [7].

(1) أبو الفداء، تقويم البلدان: 119، 111.

(2) المصدر نفسه: 117.

(3) أبو الفداء، تقويم البلدان: 89.

(4) المصدر نفسه: 94.

(5) المصدر نفسه: 277.

(6) المصدر نفسه: 109.

(7) المصدر نفسه: 493.

3. ظاهرة العمران عند أبي الفداء:

كان أبو الفداء يقارن بين المدن المتحضرة عن غيرها الأقل تحضراً من خلال عوامل عديدة حددها منها: العمران ومواد البناء والأسواق والطرق والمدارس وإيصال الماء والمتنزهات والوظائف الأخرى المقدمة إلى السكان، فكانت العمارة وطرازها وثقافة السكان والخدمات العامة من المواضيع المهمة في متابعات أبي الفداء ونصوصه الجغرافية، فقد ذكر اللبن والطوب والفرش والآجر والحجر والمرمر والصخر والحديد والذهب والفضة والرصاص والخشب. وتحدث عن مدينة زرنج في ساجستان وقال: ان سقوف بنائها معقود يعني على شكل قباب معقودة بواسطة الحجر والجص لأن خشبها يسوس ولا يثبت في السقوف وهو ما كان معمول به في الموصل إلى وقتٍ قريب، ولا تزال بعض القبب قائمة فيها إلى الآن [1].

فمن ذلك على سبيل المثال مدينة مرو الشاهجان في بلاد فارس فقال عنها "وللمدينة من النظافة وحسن الترتيب وتقسيم الابنية على الانهار والغروس وتميّز كل سوق عن غيره ما ليس بغيرها من البلاد[2]، وأشار إلى مدينة تبريز في إذربيجان وقال بأنها "المدينة المحدثة" شيدها محمد بن أرغون خربندا "ت 716هـ/1220م"، و"هي قاعدة أذربيجان في عصرنا، ومبانيها ملاح بالقاشاني والجبس والكلس، وفيها مدارس حسنة، ولها غوطة مليحة [3]"، وكان يرى انّ البندقية من المدن المتطورة من خلال ترتيبها وتنظيم مبانيها فقال عنها: بأن المراكب تصل الى أبواب دورها، ورغم إن مدينة سيراف "ليس لها زرع ولا ضرع"، وحرها شديد، لكن ثقافة أهلها جعلت المدينة من أفضل المدن في بلاد فارس وآهلة بالسكان، بل قال عنها: بأنها كانت فرضة وهي "مدينة حط وإقلاع للمراكب"، ويبالغون أهلها في بنيانهم حتى إن الرجل من التجار ينفق على عمارة داره فوق ثلاثين ألف دينار، وليس حواليها بساتين ولا أشجار، وبناؤهما بخشب

(1) أبو الفداء، تقويم البلدان: 199، 343.

(2) المصدر نفسه: 467.

(3) المصدر نفسه: 401.

الساج وبخشب يحمل إليهم من بلاد الزنج [1]، وقال عن ترمذ التي تقع على شط جيحون ومعظم سككها وأسواقها مفروشة بالآجر[2]، وأشار إلى مدينة جنوة في إيطاليا بأن "دور أهلها عظيمة كل دار بمنزلة قلعة وهي مدينة كبيرة... ولها بساتين فيها أنواع الفواكه، وأشار إلى دور قرطبة وقال أن مساحتها" ثلاثون ألف ذراع وهي أعظم مدائن الأندلس، وهي مدينة حصينة بسور ضخم من الحجر" وأن عدد مساجدها ألفا وستمائة مسجد وفيها تسعمائة حمام، وسبعة أبواب [3].

بينما إنتقد أهل بنجهير في خراسان، وقال: عن رواية ابن حوقل وأبن الأثير "الغالب على أهلها العبث والفساد"، وإن سوقها "كهيئة الغربال لكثرة الحفر"، رغم إن في جبلها معدن الفضة، وبذلك يحمل ابو الفداء السكان مسؤولية تطور المدينة والنهوض فيها من خلال إنتقائه للنصوص التأريخية [4].

4. ظاهرة المنتزهات عند أبي الفداء:

قدم أبو الفداء معلومات وافية عن المنتزهات وأعدها مظهراً من مظاهر إزدهار المدينة وتحضرها وتطورها، فقد أحصى ترتيب المدن متجاوزاً حدود العالم الإسلامي فأشار في أكثر من موضع بأن من أفضل المنتزهات على مستوى العالم في عصره هي دمشق وغوطتها فأعدها "إحدى الجنان الأربع المفضلة على منتزهات الأرض"، ثم نهر الابلة في البصرة ومدينة صغد في سمرقند، ومدينة بوان في النوبندجان في بلاد فارس [5]، كما أعد منتزهات المحول في بغداد التي تكثر فيها الاشجار والأنهار شبيه بمنتزهات غوطة دمشق، وقال عن قرية القفص في بغداد أيضاً بانها من قرى اللهو ففيها تعقد المجالس الثقافية الشعرية [6]، وقال عن

(1) المصدر نفسه: 327، 210.

(2) المصدر نفسه: 501.

(3) أبوالفداء، تقويم البلدان: 175، 209.

(4) المصدر نفسه: 469.

(5) المصدر نفسه: 253، 321، 327.

(6) المصدر نفسه: 293، 335.

بلدة سنترية فيها عيون ماء شديدة الحرارة [1]، وقال عن مدينة بغشور في خراسان بأنها شديدة "صحيحة التربة والهواء [2]"، وقال عن مدينة كازرون بأنها من أعظم مدن سابور في بلاد فارس رغم إن ماءها من الآبار "لكنها صحيحة التربة والهواء [3]"، ثم أكد على رواية السمعاني عن مدينة أشجرد وراء نهر جيحون "المتدفق" بان اسعارها رخيصة وآثارها عجيبة ورباطاتها مشهورة [4]، وأكد على الخلجان ومنها خليج الإسكندرية وأعده "من أحسن المنتزهات، لأنه ضيق مخضر الجانبين بالبساتين وفيه [5] " يقول: ظافر الحداد [6]:

وعشيّةً أهَدتْ لعينِكِ منظرا جاء السرورُ به لقلبكِ وافدا
روضٌ كمخضرِ العذارِ وجدولٌ نقشتْ عليه يدُ الشمالِ مباردا
والنخلُ كالغيدِ الحسانِ تزينتْ ولبسْنَ من أثمارِهنَ قلائدا

5. ظاهرة القبور عند أبي الفداء:

اهتم أبو الفداء بظاهرة قبور لأنبياء والخلفاء وللأئمة والعلماء، فقد أشار إلى قبر الرسول "صلى الله عليه وسلم" في المدينة المنورة، وقال بجانبه قبري الخليفتين أبي بكر الصديق وعمر "رضي الله عنهما"، كما أشار إلى قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب "رضي الله عنه" فقال: يقع على مقربة من مدينة الكوفة و"عليه مشهد جليل يقصده الناس من أقطار الأرض"، كما أشار إلى قبري هارون الرشيد وعلي بن موسى بن جعفر الصادق "رضي الله عنهما" في قرية نوقان في سناباذ في مدينة

(1) المصدر نفسه: 129.

(2) المصدر نفسه : 457.

(3) أبو الفداء، تقويم البلدان: 325.

(4) المصدر نفسه: 503.

(5) المصدر نفسه: 106.

(6) هو أبو المنصور ظافر بن القاسم بن منصور بن عبد الله بن خلف بن عبد الغني" ت 528هـ/1133م " من أهل الإسكندرية في مصر، كان يعمل حداداً له ديوان شعر مطبوع وقدمت دراسات عنه عديدة.

الطوس في خراسان[1]، وفي مدينة ماسبذان في بلاد فارس على مقربة من مدينة مندلي العراقية دفن الخليفة محمد المهدي ابن ابي جعفر المنصور "ت169هـ/ 785م"، [2]، كما أشار إلى قبر أبي ذر الغفاري "رضي الله عنه"، وقال بأنه يقع في قرية الربدة التابعة للمدينة المنورة، ثم أنتقل إلى مدينة مؤتة في الأردن وذكر بأن فيها قبر جعفر الطيار وأصحابه "رضي الله عنهم"، وقال بأن في مدينة بزاغة في حلب مشهد به قبر عقيل بن أبي طالب، وفي تستر قبر البراء بن مالك "رضي الله عنهما"، وفي الري قبري محمد بن الحسن الفقيه، وأبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الكسائي المقري، وقبر ابراهيم بن الادهم في جبلة في سوريا، ووفي انطاكيا قبر حبيب النجار، وذكر قبر عبد الله بن مبارك وحدد موقعه في مدينة هيت في الانبار في العراق، وضمت ميافارقين قبر سيف الدولة، وفي شيراز قبر إمام النحو سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي "ت180هـ/796م" وضمت مدينة سالم في الاندلس قبر المنصور بن أبي عامر، وذكر المقامات فقال: في بيروت يقع مقام الفقيه والمحدث أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي "ت 157هـ/773م"، وذكر أبو الفداء بيت حبرون في فلسطين: وقال بأنه يضم قبور الأنبياء عليهم السلام إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وقبر دانيال يقع في مدينة السوس في خوزستان في بلاد فارس، وفي مدينة إقلرنس على ساحل بحر الروم فيها قبري بطرس وبولص وفي مدينة شنت قبر ياقو حواري عيسى عليه السلام، وفي مدينة قونية تربة أفلاطون "عاش سنة 427 ـ 347 ق.م"، وهو مؤسس أكاديمية أثينا التي هي أول معهد للتعليم العالي، وضمت مدينة الفرما في مصر قبر جالينوس نحو "129 - 200 م" أحد أعظم أطباء العصور القديمة [3].

- **ظاهرة الزراعة عند أبي الفداء**

اهتم أبو الفداء بالظاهرة الإقتصادية في الأقاليم والمدن التي تابعها وتطرق عنها

(1) المصدر نفسه: 451، 453.

(2) أبو الفداء، تقويم البلدان: 415.

(3) المصدر نفسه: 87، 116، 182، 240، 204، 247، 254، 257، 269، 278، 299، 301، 315، 365، 421، 381، 383، 435، 484.

ورصد مجموع الأنشطة فيها، فكانت الزراعة وتنوع الإنتاج وطرق السقي والثروة الحيوانية والصناعة والمعادن وطرق المواصلات والتبادل التجاري وغيرها من محاور أساسية لمعالجات أبي الفداء الإقتصادية، ففي مجال النشاط الزراعي سجل تفاصيل إقتصادية كثيرة واعطى أهمية لأشجار النخيل وأعدها شجرة مثمرة معمرة ذات قيمة غذائية عالية، كما أكد على محاصيل الحنطة والشعير وقصب السكر والقطن والخضراوات والمكسرات وغيرها.

ففي مجال إهتمامه بأشجار النخيل ذكر مدن العراق، ومنها الأبلة في مدينة البصرة فقال: بأنها خصبة عامرة وعلى حافتي نهرها يقصد " شط العرب الآن " قصور وبساتين متصلة كأنها بستان واحد"، وكأن نخيلها قد مدت على خيط واحد، وجميع بساتينها مخترقة بعضها إلى بعض حتى إذا جاءهم مدّ البحر تراجع الماء ويدخل نخيلهم وحيطانهم من غير تكلّف، وكانت البصرة تصدر تمورها الى الدبيل التي تقع في جنوب الباكستان الآن، وقال عن مدينة القادسية في جنوب العراق وهي: "مدينة صغيرة ذات نخيل ومياه، وذكر مدينة حلوان شمال شرق بغداد قرب خانقين فقال عنها: "وبها النخيل والتين الموصوف، ويظهر إن العراق كان مشهوراً بالتمور إلى وقت قريب من القرن الماضي، حتى إن أحد أهم الأبواب الشاهقة في مدينة بغداد أطلق عليه باب سوق التمر حسب إشارة أبي الفداء، كما أشار إلى الاسكندرية في مصر فقال بأنها: "كثيرة النخيل وليس لها مزدرع"، وأكد بأن الحنطة تنقل إليها [1]، وذكر مدينة الإحساء في الحجاز فقال عنها: ونخيلها بقدر غوطة دمشق مستدير عليها 000 ويشترون "أهلها" بكل راحلتين [2] من التمر راحلة من الحنطة، وأشار إلى سجلماسة وقال بأن لها ثمانية أبواب، ومن أي باب تخرج ترى النهر والنخيل وغير ذلك من الشجر[3].

كما تابع محاصيل الحنطة والدخن والذرة وقصب السكر والخضروات

(1) ينظر ابو الفداء، تقويم البلدان: ص112، 292، 299، 349، 309، 306.

(2) الراحلة: هي حمل البعير أو الجمل.

(3) أبو الفداء، تقويم البلدان: ص98، 137.

والفواكه فذكر مدينة المزمّة، شرقي مدينة باديس في الجزائر فقال عنها: إن أمطارها تسقط في الصيف، ويزرعون الحنطة والدخن والذرة واللوبيا والكرسنة "نوع من العلف الحيواني"، والنخيل ببلادهم كثير جدّا، وليس ببلادهم من الفاكهة غير التين، وببلادهم شجر الحجار كله من الصنط والمقل وغيرهما، وأشار إلى مدينة طبنة في الجزائر أيضاً فقال عنها " وهي مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين والزرع من القطن والحنطة والشعير، والتمر بها كثير، والفواكه كذلك، وذكر مدينة خانقو في الصين وقال: إن زراعتها تنوعت بالفواكه الكثيرة والبقول والحنطة والشعير والأرز وقصب السكر، وأنتقد الزراعة في الحبشة لعدم وجود النخيل فيها، ولأهمية زراعة قصب السكر في الحياة اليومية تابع أبو الفداء زراعته في مدينة المرقب شرق مدينة بانياس على ساحل البحر المتوسط في سوريا، وطرابلس شمال لبنان، والسوس جنوب المغرب، وعلى ضفاف نهر دجلة الأحواز جنوب شرق العراق، وفي بلخ شمال إفغانستان، وفات في الحبشة، وجيمي غربي نهر النيل، وقمولا في صعيد مصر، وفي خانجو جنوب الصين، والمنصورة في بلاد السند، وجبّي في خوزستان، وعلى نهرها المسمى المسرقان [1].

ومن أجل تقديم صورة متكاملة عن النشاط الزراعي في عصر ابي الفداء أهتم في جمع المعلومات عن الزراعة البرية والطبية والعطرية فقال: إنّ مدينة البصرة جنوب العراق يكثر فيها الكماة والحناء، كما أشار إلى نبات حب العزيز الذي ينتشر في قابس في تونس وهو شبيه بالكماة ويعالج العقم والصداع ويهدئ الأعصاب، ودهن البنفسج في مدينة قفصة في تونس أيضاً الذي يعالج التهاب المعدة والأورام الحارة في العين والسعال، وورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق "رضي الله عنه" أنهُ قَالَ: " فَضْلُ الْبَنَفْسَجِ عَلَى الْأَدْهَانِ كَفَضْلِ الْإِسْلَامِ عَلَى الْأَدْيَانِ، نِعْمَ الدُّهْنُ الْبَنَفْسَجُ، لَيَذْهَبُ بِالدَّاءِ مِنَ الرَّأْسِ والْعَيْنَيْنِ فَادَّهِنُوا بِهِ، ونبات خل العنصل في العراق وتونس واجزاء من قارتي أسيا وأفريقيا وهو من النباتات المُعَمَّرة من الفصيلة الزَّنْبقيَّة، وله ورق كورق الكرّاث، ويحتوي جذره على بصلة كبيرة تميل

(1) المصدر نفسه : ص 46، 58، 104، 159، 161، 253، 255، 315، 351، 365، 153.

إلى اللون القهوائي يسمى في العراق بنبات البصيلة، وله استعمالات طبيبة في علاج: القروح والبصر واللثة والاسنان والشقيقة والنقرس والمفاصل والحصى والربو وضيق التنفس والبواسير، وذكر الاهليج كابلي الذي يسمى الشعير الهندي أو تمر العبيد والإسم العلمي له "**Terminalia chebula**" وهي شجرة نفضية يصل طولها إلى (30م) وجذعها يصل عرضه إلى (1م)، ويعد طبياً بأنه مثبط مناعي ويحمي الكبد ونافع لعلاج حالات الأورام، والبثور، وحالات الجذام، وأشار إلى الخشخاش الذي يعمل منه الأفيون وقال بأنه يزرع في منطقة تعرف بابي التيج في أسيوط، وقال ان في اليمن يزرع شجر اللبان في مرباط التابعة لمدينة ظفار التي تستخدم في العلاجات الطبيّة (ينظر الصورة رقم 4) وتستخدم أيضاً كبخور، وعلكة صحية، وتزيل حالات ضعف أداء الكلى، وتقلّل خطر الإصابة بالحصى وتعمل على تقوية عضلة القلب وتُساعد على علاج الحروق، وتُقلل من خطر الإصابة بالقرحة وتُستخدم كمادة مسكّنة للروماتيزم، وتأخير الشيخوخة بسبب قدرتها على إزالة التجاعيد [1]، ويظهر أن أبا الفداء كان محباً للزهور فهو يصف لنا زهرة النيلوفر الأصفر في أيام الربيع وهذه الزهرة تنبت في المياه الراكدة مثل البحيرات ولها جذور عميقة وساق أملس وتغطي أزهارها الصفراء الشكل سطح الماء " بحيث

الصورة رقم (4) نبات اللبان

(1) أبو الفداء، تقويم البلدان: ص98، 99، 115، 125، 137، 139، 153، 173، 365.

تطفو فوق الماء وتبقى المراكب سائرة بين ذلك النيلوفر، وتفيد اوراقه الاتهابات في الجسم والحمى والبهق والبرص وداء الثعلبة وغيرها، كما يوجد في مدينة ظفار نبات "التنبل" أو التنبول وهو من النباتات المعروفة بالنباتات الهندية في عصر ابي الفداء وشكلها شبيه بورقة التوث على شكل قلب ولها العديد من الخصائص الطبية: منها لتسكين الآلام ويخفف الامساك ويحسن الهضم ويقلل من ألم المعدة ويخفف من السعال ويخفف التهاب الشعب الهوائية وغيرها، كما يوجد في ظفار أشجار النارجيل التي يستخرج منها زيت النارجيل من فاكهة جوز الهند الاستوائيّة التي تنمو أشجارها على شواطئ البحار، وتكثر زراعة هذه الفاكهة الآن في سلطنة عُمان، أمّا الدولة الأولى المنتجة لها على المستوى العالمي فهي إندونيسيا، ويعد الزيت المستخرج من النارجيل أحد الزيوت التي تدخل في العديد من المجالات، كالعناية بالصحة العامة، وصحّة البشرة والشعر.

ومن الأشجار النادرة التي أشار اليها ابو الفداء شجر المصطكي الذي يكثر في جزيرة قوصرة بالقرب من تونس وجزيرة مصطكي في البحر المتوسط قرب اسطنبول وشجر المصطكي يشبه شجر الفستق الصغار، وفي فصل الربيع يسيل منها المصطكي "الصمغ"، كما أشار إلى اشجار الرند في مدينة باجة في أفريقيا وهي عبارة عن اشجار كبيرة معمرة اسمها العلمي "**Laurus nobilis**" استخدمها اليونانيون والرومانيون كمادة طبية وتسمى أيضاً باسم "ورق موسى"، وهو نبات عطري، وتستعمل أوراق الرند الطازجة أو المجففة كنوع من التوابل في الطبخ للاستفادة من رائحتها ونكهتها الطيبة، وقال عن أريحا في فلسطين فيها يزرع الوسمة فيعمل منها النبل، وهو من النَبَاتِات العشبية التي تسمى مِنْ فَصِيلَةِ الصَّلِيبِيَّاتِ، ويُعْرَفُ بِوَرَقِ النِّيلِ، ولون ورقته تميل إلى الزرقة، تشبه ورق اللوبيا [1].

وذكر ابو الفداء مدينة الكولم في المنيبار في الهند وقال بانها تحتوي على شجر البقم الشبيه بشجرة الرمان، وهو شجر سريع النمو يصل إرتفاعه إلى (10م) يستخدم خشبها على نطاق واسع في الطب التقليدي الهندي، وتلقى هذه الشجرة الآن

(1) أبو الفداء، تقويم البلدان: ص41، 93، 88، 140، 188، 236، 453.

اهتماماً متزايداً من السوق المحلية والدولية، ويتم تصدير خشبها إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا.

وأشار إلى شجرة الحلتيت وقال: إن زراعتها تكثر في سجستان، والحلتيت عبارة عن مادة صمغية مفيدة تحتوي على نسبة عالية من الكبريت ولها فوائد كثيرة: منها علاج النقرس، وآلام المفاصل والروماتيزم والظهر وأمراض الأعصاب، والبواسير وتساقط الشعر، وأمراض السرطان وتعزيز مناعة الجسم، وتقوية البصر، وتخفيف بياض العين والرمد، وتنقية الدم من الفضلات والشوائب، وإمداد الجسم بالطاقة والنشاط والحيوية، ومشاكل الأذن والصمم المزمن، ويظهر أن أهل سجستان يستخدمون الحلتيت في طعامهم بكثرة وإن الفائض من إنتاجه يصدر خارجها، ومن الأشجار التي أشار إليها أبو الفداء أشجار الصنوبر وتعد هذه الاشجار من أهمّ مصادر الأخشاب في العالم، نظراً لصلابة أخشابها وسرعة نموّها وطول سيقانها وجذوعها التي تنمو على استقامة واحدةٍ وارتفاعاتٍ عاليةٍ يُستخرج منها الخشب الخام الّذي يدخل في مجال الإنشاءات، لذا تُعدّ زراعة أشجار الصنوبر ذات فائدة تجارية وجمالية في آنٍ واحد، وقد أشارت الدراسات الحديثة إلى أن زراعة هذه الأشجار في مناطق حوض البحر المتوسط وشمال سوريا وجنوب تركيا، وقد أكد ذلك أبو الفداء حينما ذكر أن موطن زراعتها وإنتشارها بين الدربند وسرفندكار جنوب تركيا ووصفها بأنها شاهقة وغليظة السيقان [1].

وقال ابو الفداء إن في مدينة نصيبين يكثر فيها الورد الأبيض، كما ذكر نبات الصَبِر السُقُطْري، وقال أن هذا النبات يكثر في جزيرة سقطرة اليمنية التي لا تزال تشتهر عالمياً بهذا النبات [2] الذي يسمى باللغة اللاتينية: "**Aloe perryi**"، وله فوائد كثيرة لا تقدر بثمن من ضمنها انه: كان يضمد به جروح المحاربين وينبت في المناطق الصخرية ويتحمل العطش، وذكر في الطب النبوي أن الصبر مفيد إذا دهن على الجبهة بدهن الورد لعلاج الصداع، وينفع في قروح الأنف والفم، وأوجاع

(1) أبو الفداء، تقويم البلدان: ص257، 341، 361.

(2) المصدر نفسه: ص257، 341، 361، 371، 383،

المفاصل وأوجاع الصدر وأمراض المعدة ويقوي أفعال الأدوية ويذهب الحكة والقروح والحمرة، كما إنه يستخدم كدهان للبشرة، ويقال إن كيلوباترا ونفرتيتي كانتا تضعان الصبار للحصول على الجمال[1]، كما أشار أبو الفداء إلى شجرة الكافور وقال بأنها تكثر في جزيرة كلة في المحيط الهندي بين عُمان والصين وفي مدينة فنصور جنوب جزيرة جاوة، والكافور أشجار ضخمة يبلغ إرتفاعها إلى (30م) تحتوي على مادة الكافور ذات الرائحة العطرية القوية والاستخدامات المتعددة طبياً وصناعياً، والكافور فعال في علاج السعال والكحة والربو وآلام الظهر والفقرات والروماتيزم، والإلتهابات، كما أنه يستخدم للأعراض القلبية البسيطة والتعب، وهو مطهر جلدي جيد ذو تأثير مخدر طفيف ومضاد للميكروبات والطفيليات، كما أشار ابو الفداء إلى العود القماري وقال بإنه يكثر في جزيرة قمار في الصين، ويسمى العود القماري في العراق بالبخور وهو عبارة عن مزيج من النباتات والزيوت العطرية ويتم حرقها وهي آمنة وتستخدم في تعطير الجو وتحسين عملية التفكير، وزيادة القدرة على الإبداع، وتحسين عمل الدماغ، وزيادة التركيز للقيام بالأعمال المختلفة، كالدراسة، والأشغال اليدوية، والطهي، حيث إنّ رائحته تبعث على الهدوء ورفع مستويات الطاقة عند الإنسان، وعلاج آلام الرأس، ويحفز الدماغ على إنتاج بعض الهرمونات المسكّنة للآلام والباعثة على الراحة والاسترخاء، وخفض ضغط الدم واضطرابات النوم وإرتخاء العضلات، وفي مدينة زامين في سمرقند يكثر فيها الطرنجبين ويصدر خارج البلاد ويقال هو المنّ وقيل نوع من العسل المجفف الشبيه بالصمغ، كما أشار الى أشجار الخيزران، وهو نبات من فصيلة النجيليات، تُتخذ أعواده عصياً، ويستخدم في البناء، وصنع الأثاث [2].

وكان الفائض من المنتوجات الزراعية يعرض في الأسواق ويصدر خارج الأقاليم والمدن، فكان في مدينة بردعة في إذربيجان سوق يعرف بالكركري يجتمع فيه الناس كل يوم أحد "وهو مجمع عظيم"، ويعرض فيه الفائض من المكسرات

(1) **https: //ar.wikipedia.org/wiki.**

(2) المصدر نفسه: ص 369، 375، 493.

الذي يعرف بالبندق والشاه بلوط، ومن الشوبك جنوب الاردن يصدر المشمش إلى مصر، ومن الصلت الواقعة وسط الأردن يصدر حب الرمان إلى شمال بلاد الشام، وقال عن بسكرة شمال شرق الجزائر بأنها "ذات نخيل وزروع كثيرة" ومنها يصدر "التمر الطيب إلى تونس وبجاية"، وذكر قفصة وتقع جنوب غرب تونس، وقال بأنها قاعدة مشهورة، تشتهر بإنتاج الفستق، ويكثر فيها النخل والفواكه والمشمومات، ويصدر منها دهن البنفسج وخل العنصل، ومن جزيرة جربة شرق تونس يصدر الزيت والزبيب والتفّاح، ومن مدن الريف المغربي ذكر أبو الفداء مدينة المزمّة فقال: إن موقعها شرقي مدينة باديس وأن أمطارها تسقط في فصل الصيف، ويكثر فيها النخيل والتين والحنطة والدخن والذرة واللوبيا والكرسنة [1] وشجر الحجر[2]، وقال عن جزيرة أقريطش "كريت"، وهي من أكبر الجزر اليونانية في البحر المتوسط، كانت تصدر الجبن والعسل إلى الاسكندرية في مصر، كما تستورد الأخيرة الخشب من جنوة في إيطاليا [3].

ومما يوضح سعة إدراك أبي الفداء للنشاط الزراعي لتغطية الأقاليم ومدنها فقد ذكر المراعي التي تحيط بالمدن، فقال: عن منبج في شمال شرق حلب إن "الغالب على مزارعها الأعذاء"، يعني الأراضي التي تعتمد على سقي المطر، وتسمى في مناطقنا الآن في "الموصل" أراضي الديم"، وقال: الغالب على شجرها التوت لتغذية دود القز، كما قال عن سغد في سمرقند بأنها تكثر فيها البساتين والمزارع، و"مراعي السوائم" الخاصة بالإبل والأغنام، وقال هي من "أزكى بلاد الله وأحسنها أشجاراً"، وذكر كشاف وقال هي قلعة عامرة بين الزاب ونهر دجلة جنوب شرق الموصل قال فيها: "مروج كثيرة ومراعي"، وذكر بلدة زم في خراسان على نهر جيحون وهي خصبة والغالب على أطرافها أراضي السوائم لرعي الإبل والغنم، وقال عن موقان بأنها من أعمال أردبيل " وأ شار إلى مدينة سرخس في بلاد فارس

(1) الكرسنة حبة شبيه بحبة العدس تزرع لتستخدم أعلاف للاغنام والبقر.

(2) شَجَرَ الحجر وهو شجر مُعَمِّرَ كبير الحجم والاوراق يستخرج منه للعطور.

(3) أبو الفداء، تقويم البلدان : ص143 – 403.

بين نيسابور وبين مرو فقال: إن اراضيها "متسعة كثيرة المياه والأقصاب" والغالب على أرضها "المراعي وهي قليلة القرى ومعظم مال أهلها الجمال وماؤهم من الآبار وأرحيتهم على الدواب[1] ".

ولاحظ أبو الفداء أن لعامل الري في الزراعة ضمان كبير لتطور الإنتاج الزراعي وكثرته وأشار إلى السدود والبحيرات وكيفية خزن المياه فيها مثل سد بحيرة قدس في حمص على نهر الأرنط "العاصي" فذكر طول السد وقال بإنه" 1287 ×18،5 ذراعاً"، وذكر: إن هذا السد " حابس لذلك الماء العظيم بحيث لو خرب السدّ سال الماء وعدمت البحيرة وصارت نهرا"، ثم أشار الى بحيرات وسدود كثيرة في الأقاليم والمدن وقدم شرحاً عن تفاصيلها وأحصائها حتى تجاوز عددها أكثر من (180) سداً وبحيرة في بلاد الشام والعراق والمغرب وبلاد الروم وغيرها في الأرجاء المعمورة في عصره، أمثال: بحيرة أفامية، وتلا القربية من الموصل وأرجيش ووان في تركيا، وأكد بأن هذه السدود والبحيرات لها فائدة كبيرة في الإنتاج الزراعي والغابات والنبات الطبيعي والثروة السمكية والطيور والأملاح [2].

وأكد أبو الفداء إن المحور الأساسي كما أشرنا في ديمومة الزراعة في الاقاليم والمدن هو توفر الماء فيها، فعندما يذكر المدينة يشير إلى مصادر الماء فيها سواء أكانت على شكل بحيرات وبطائح وسدود أم أنهار وينابيع وعيون وآبار، فقد وردت في كتابه "تقويم البلدان" كلمة الماء والمياه أكثر من (280) مرة، منها على سبيل المثال: مدينة مراكش التي أعدها من المدن المشيدة حديثاً في أرض صحراوية وجلب إليها المياه، وأكثر الناس البساتين فيها، وذكر مدينة أغمات التي تقع جنوب وسط المغرب في مكان "فسيح طيب التراب كثير النبات والأعشاب والمياه تخترقه يميناً وشمالاً وحولها جنات محدقة وبساتين وأشجار ملتفة وهي طيبة المقام صحيحة الهواء، وبها نهر ليس بالكبير يشق المدينة ويأتيها من جنوبيها ويخرج من شماليها، وذكر أبو الفداء حصن سطيف الذي يقع شمال شرق الجزائر

(1) المصدر نفسه: ص271 – 461.

(2) أبو الفداء، تقويم البلدان: ص 40، 135.

فوصفه نقلاً عن الإدريسي بأنه شبيه بالمدينة "كثير المياه والشجر المثمر بضروب من الفواكه"، وأشار إلى الجزيرة الخضراء التي تقع جنوب إسبانيا فقال: إن "أرضها أرض زرع وضرع، وبخارجها المياه الجارية والبساتين النضيرة ونهرها يعرف بوادي العسل، وعليه مكان نزه يشرف عليه وعلى البحر يعرف بالحاجبية [1].

- **ظاهرة الصناعة والمعادن عند أبي الفداء:**

كان للصناعة والمعادن أيضاً إهتمام من قبل أبي الفداء في الأقاليم والمدن التي ذكرها، فقد ذكر معدن النفط والزفت "القير"، وقال: ان هذين المعدنين موجودان في مدينة هيت إلى الغرب من مدينة بغداد على نهر الفرات، وذكر أن النفط وعيون الزفت يكثران أيضاً في جبال مدينة فرغانة التي تقع شرق اوزباكستان ويوجد فيها أيضاً الفيروزج[2]، والبرام [3]، والآنك "القصدير"، والصفر "النحاس"، والحديد، والذهب، والفضة، وعيون الزفت، ونوع من الأحجار السوداء التي تحترق وهي شبيهه بالفحم، ودُون ابو الفداء سعر هذه الأحجار وأهميتها فقال: بأنها تباع كل ثلاثة اوقار "مفردها وقية" بدرهم واحد، كما أشار إلى مدينة نوقان في خراسان وأكد: بأن فيها معادن الدهنج [4] والبرام ومعادن الفيروزج، وأشار إلى مدينة البندقية في إيطاليا فقال عنها: إن أحد أنهارها يضم في أرضيته نوع من "الذهب المائل إلى الخضرة"، وأشار إلى: قنوج بأنها من أشهر مدن شرق الهند "وقد بالغ الناس في تعظيمها"، لكثرة معادن الذهب فيها "حتى قالوا: إن بها ثلثمائة سوق للجوهر[5] ".

(1) المصدر نفسه: ص 135، 141، 173.

(2) الفَيْرُوزُ أو الفَيْرُوزَجُ: هو نوع من أنواع الأحجار الكريمة له لون أزرق.

(3) معدن البرم: هو نوع من أنواع الاحجار الموجود في بعض المناطق الجبلية يصنع منه الكثير من الأواني الشبيه بالأواني الفخارية القديمة التي كانت تحافظ على المواد المعبئة فيها لكونها تتحمل الطرق والنحت ولها مسامات في إمتصاص الرطوبة والسوائل ولا تزال مستعلمة في مناطقنا في العراق إلى الآن.

(4) الدهنج نوع من إنواع الحجر الذي يستخدم لتكحيل العين له لون اخضر جميل.

(5) أبو الفداء، تقويم البلدان: ص 361.

كما أكد أبو الفداء إلى معدن الفضة وأماكن تواجده في الأقاليم والمدن فذكر بأن مدينة خان بالق في إقليم كرمان تعد مدينة عظيمة وقاعدة مشهورة على ألسنة التجار، وينتشر فيها معدن الفضّة، ثم توجد الفضة في مدينة أماسية التي تقع شمال تركيا على البحر الأسود، وقال أبو الفداء أن معدن الفضة موجود في جبل بنجهير في أندراب التي تقع بين غزنة وبلخ على مدخل القوافل في كابل[1].

وكان للتوزيع الجغرافي للحديد أهمية أيضاً في فكر أبي الفداء، فذكر جبل طنطنة في جنوب غرب ليبيا، وقال بأنه جبل كبير "في أسفله معدن الحديد الجيد، ومدينة بونة وتسمى الآن عنابة تقع على البحر المتوسط شمال شرق الجزائر وهي: مدينة جليلة عامرة خصبة كثيرة الزرع والفواكه وبظاهرها يكثر معادن الحديد، ويوجد الحديد أيضاً في مدينة ملندة التي تقع جنوب شرق أفريقيا، كما يوجد فيها حجر المغناطيس الجاذب للحديد، ويعد الحديد والذهب معدنان مهمان في واردات مدينة سفالة الزنج في الهند جنوب خط الإستواء، وقلجور التي تقع في السودان يكثر فيها معدن الحديد ذات النوعية الجيدة، ويصنع منه السيوف لجودته التي تسمى السيوف القلجورية، كما يوجد الحديد في مدينة سبقلو في ألمانيا ويصنع منه السيوف والخناجر التي تسمى الألمانية، كما يصنع من الحديد أيضاً الرماح في مدينة سمهر في السودان وتسمى بإسمها بالرماح السمهرية لطولها لانها تساعد على الفتك والطعن عن بعد، كما أشار أبو الفداء إلى معدن الرصاص وقال: إنه يوجد في جزيرة كلة في بحر العرب التي يسكنها المسلمون والهنود، ويستخرج من مدينة دار ابجرد في بلاد فارس معادن الموميا والزئبق، وفيها "جبال من الملح الأبيض والأسود والأحمر والأصفر، وينحت من هذا الملح" على شكل موائد أو قوالب وتصدر خارجها، وذكر مدينة اصفهان التي تقع جنوب طهران وقال: إن فيها معدن الكحل وهو من افضل المعادن في بلاد فارس[2].

وأكد ابو الفداء على الصناعات المختلفة في الاقليم والمدن فقال: في قرية

(1) المصدر نفسه: ص157، 211، 299، 361، 383، 463، 486، 505.

(2) ابو الفداء، تقويم البلدان: ص 128، 163، 141، 154، 152، 157، 375، 219، 331.

القادسية في مدينة سامراء شمال بغداد توجد المعادن التي يصنع منها الزجاج، كذلك يوجد الزجاج ذو النوعية العالية الجودة في جبل ماردين جنوب تركيا، ويتوفر الزجاج الصافي في مدينة طرة جنوب غرب تونس، ويصدر إلى مدينة الإسكندرية في مصر، وذكر قرية كفر طاب التي تقع غربي مدينة خان شيخون على الطريق الدولي بين حلب ودمشق يصنع فيها قدور الطبخ من الخزف وتصدر إلى خارجها من المدن، وكانت إنكلترا تشتهر في صناعة الاشكرلاط "الفرو أو الجوخ" الغالي الثمن الذي يصنع من صوف الأغنام المضغوط المنعم ويصبح شبيه بالحرير، " فيجعلون منه فروة شبيه بالجاكيت تلبس على شكل إجلال تقيهم " من الأمطار والشمس والغبار"، وفي فلك دار في مدينة إنطاليا جنوب تركيا تصنع البسط التركمانية وتصدر خارجها وأشتهرت بلدة نهر تيري في الأحواز جنوب إيران في حياكة الأثواب، وكانت تصدر إلى بغداد وتدلس فيها وتخفى عيوبها وتسمى " البغدادية"، ومن زرند جنوب شرق إيران في محافظة كرمان تصدر الأقمشة المبطنة التي تسمى "البطائن"، تحمل الى بلاد فارس والعراق [1].

وسجل ابو الفداء كتابات جيدة عن تركيب عناصر الغازات منها: بخار النوشاذر الذي يكثر في جبال البتم فيما وراء النهر، ويسمى في الدراسات المعاصرة غاز كلوريد الأمونيوم، وهو ينبعث على شكل بخار عَديم اللَّون نَفّاذ الرَّائحة، أَخفُّ مِن الهواء، شَديد الذَّوبان في الماء قد يَحصل طَبيعيًّا في المَراحيض والاصْطبلات والمَزابل يستِخْدم في الصِّناعة والطِّبّ والسماد في الزِّراعة، وهو مُركّب من ذرّة من الآزوت وثلاث من الهِدروجين، وقال ابو الفداء: بأن إسمه النوشاذر، ووصفه بأنّه: "بخار يشبه النار بالليل والدخان بالنهار ويتلبد ذلك البخار" ويسمى النوشاذر"، وهو على شكل غاز سام وحذر من التقرب منه دون إرتداء اللبود أو القناع، وأكد بأن "هذا البخار ينتقل من مكان إلى مكان" آخر [2].

كما ذكر أبو الفداء أنواع الأحجار منها: الاحجار الكريمة المتمثلة في المرجان

(1) ابو الفداء، تقويم البلدان: 98، 137، 147، 188، 263، 279 299، 317، 379، 337، 423، 486.

(2) المصدر نفسه: 484.

التي تستخرج من قاع البحر فذكر جزيرة سردينيا في البحر المتوسط في غرب إيطاليا وقال: أن هذه جزيرة تحتوي على مغاصي المرجان، كما يوجد المرجان في شرقي القسطنطينة في الجزائر في "مرسى الخرز المخصوص بالمرجان"، ثم قال إن مغاصي المرجان إكتشف حديثاً في مدينة بونة "عنابة" شمال شرق الجزائر، ثم أشار إلى مغاص اللؤلؤ وقال انه يوجد في مدينة سفالة جنوب شرق أفريقيا المطلة على المحيط الهندي وهي الآن مدينة مندثرة أثرية تعرف بإسم سفالة الجديدة في جمهورية تنزانيا وهي فرضة من فرض البحر الهندي وبها مصايد ومغاص لؤلؤ، كما يوجد اللؤلؤ في مدينة جزرتي كيش وخرج في الخليج العربي [1].

ثم ذكر حجر الخماهن الذي يكثر في جبل الخماهن في الحبشة وكان الفرس يتباركون ويتداون بهذا الحجر، ويصنعون أختامهم به ويطلقون عليه الصندل المعدني، وقال إن حجر العقيق والجزع يوجد في جبل شبام في حضرموت في اليمن، كما أكد ابو الفداء على حجر المسن الذي يوجد في جبل رضوي في المدينة المنورة، ويستخدم هذا الحجر في الصقل وحد أسنان الأدوات القاطعة بعد تبريده بالماء أو الزيت ويصدر خارج المدينة المنورة لأهميته، كما ذكر ابو الفدء حجر الفتيلة الذي يكثر في مدينة بدخشان في إفغانستان وهو حجر شبيه بقصب البردي وريش الطائر وهو لا يحترق بالنار ويدهن بمواد زيتية ويشتعل ويتخذ منه القناديل وأحجاره فيها نوع من الإضاءة، وحجر اللازورد الأزرق اللون وهو من الأحجار الكريمة التي يستخدم للزينة ويتبارك به بعض العامة، كما أشار إلى حجر البلور "الكرستال" وهو ابيض شفاف على شكل عدسات زجاجية نقية تستخدم في الزينة وصياغة الحلي وصناعة الثريات ومصابيح الأضاءة والصناعات الكثيرة، كما أشار أبو الفداء إلى القنا الهندي والطباشير في جَوْفِ قَصَبة مُسْتَدِيرَةٌ كالدِّرْهَمِ تحتك أَطْرَافِه عند عُصُوفِ الرِّياحِ فيصبح على شكل رماد، فُيَخْرجُ منه الطّبَاشِير، كما أكد على مادة الشب الذي يستخدم في تعقيم المياه وتصفيته وقال إنه يوجد في أرض كوار في شمال أفريقيا [2].

(1) ابو الفداء، تقويم البلدان: 137، 141، 359، 373.

(2) المصدر نفسه: 89، 97، 154، 475

- **الثروة الحيوانية والبرية عند أبي الفداء:**

المقصود بالثروة الحيوانية هي الحيوانات التي تربى في البيوت والمزارع أمثال: الأبقار والجاموس والأغنام والخيول والجمال والحمير والبغال والدجاج والطيور، وإلانسان بحاجة إليها في الغذاء والنقل والصناعة، ونالت هذه الثروة إهتمام أبي الفداء في كتابه تقويم البلدان فتحدث عنها في مواطن كثيرة، اما الحيوانات البرية فهي الحيوانات التي تعيش في الصحاري والغابات دون رعاية الإنسان.

فذكر أبو الفداء مراعي السوائم "أشرنا إليها فيما سبق" وهي: الأراضي الخصبة المخصصة لرعي الأغنام والأبل كما هو الحال في مدينة زمّ في خراسان على نهر جيحون، كما قال إن مدينة دنقلة في السودان بأن "أهلها من أفضل السودانيين"، وأجملهم شكلا وطعامهم الذّرة والشعير والتمر" ويأكلون لحوم الإبل طريّة ومقدّدة ومطحونة"، كما توجد الإبل في المغرب الافريقي يستخدمها المسافرون في التنقل أثناء قطعهم المسافات الطويلة في الصحراء خاصة بين سجلماسة وغانة يذبحون الإبل ويستسقون المياه التي في أجوافها، وأشار إلى مدينة صعدة في اليمن وقال: بأنها فيها مدابغ لجلود البقر، وذكر أبو الفداء نقلاً عن المسعودي أن في مدينة سفالة الزنج في الهند جنوب خط الإستواء تتوافر عندهم حيوانات الأبقار "فعسكرهم رجالة ويقاتلون على البقر"، كما أكد على أن الخيل لا تتوافر في مدينة السفالة، وكذلك الحال في مدينة المعبر في الهند أيضاً التي تستورد الخيول، وأشار إلى مدينة جاجا في الكانم في أفريقيا وقال: إن فيها يكثر الطواويس والببغاء والدجاج والغنم والأكباش الكبيرة الحجم المقاربة في حجمها إلى الحمير الصغار.

كما أشار ابو الفداء إلى الحيوانات البرية وقال: بأنها تكثر في مناطق متعددة من الأقليم، ففي مدينة أبّدة التي شيدها المسلمون في الأندلس يكثر الغزال وحمار الوحش والإيل، كما يوجد الغزال أيضاً في مدينة جاجا، وفي صحراء اودغست في المغرب، وأكثر ما يكون في هذه الصحراء حيوان اللمط لصبره على العطش وهو

حيوان يشبه الغزال لكنه أشد منه، وأكد على حيوان الكركدن ووصفه بأن: "له قرنان في جبهته أحدهما أطول من الآخر"، وقال: إنه يوجد في أفريقيا في أرض الحبشة " وإن لحمه يؤكل من قبل السكان هناك، كما توجد الزرائف والفيلة في مدينة دنقلة في السودان وقنوج في الهند، ويكثر في روسيا حيوان السمور وهو شبيه بالقط مِنْ فَصِيلَةِ السَّمُّوريَّاتِ آكلة اللحوم المُفْتَرِسّة يستخدم جِلْدِهِ في صناعة الفرو الثَمِينٌ، وكان الروس يتاجرون بهذا الحيوان وإلى الآن، وهذا يدل على دقة نقل المعلومات التي كان يوثقها ابو الفداء وتمكنه في التواصل بين الماضي والحاضر، كما كانت روسيا أيضاً تصدر الثعلب والوشق الشبيه بحيوان السمور، ولهم سوق معروف خاص بهذه الحيوانات، ومن الحيوانات البرية التي أشار اليها أبو الفداء الدب الابيض الذي يتمتع بجلد ناعم ويتواجد في جزيرة السناقر في بريطانيا، وتضم هذه الجزيرة طيور السناقر التي تكثر أيضاً في مدينة البندقية في إيطاليا وهي طيور جارحة تتغذى على الأسماك وتصدر إلى مصر مقابل ضرائب باهضة يصل مقدارها ما بين (500 - 1000) دينار، كما ذكر القرود وقال: بانها توجد على جبل في بليونش في مدينة سبتة في المغرب العربي [1].

كما تابع ابو الفداء أماكن تواجد الطيور وأنواعها فذكر جبل الطيلمون ويسمى جبل الطير بصعيد مصر يكثر فيه طيور البجع، كما أشار إلى بحيرة تونس، وقال بأنها تواجد فيها أنواع الطيور وذكر بحيرة أفامية في حمص وقال: إن فيها أنواع من الطيور منها: التمات، والغريرات، والبجعات، والأصواغ، والإوز، كما ميّز بينها وبين الطيور التي تتغذى على الاسماك وأطلق عليها إسم طيور الماء مثل: الجلط، والأبيضانيات، كما أشار ابو الفداء إلى التماسيح وقال: إنها توجد في نهر السند "مهران" في الباكستان الحالية في شبه القارة الهندية وشبهه بنهر النيل في مصر وقال إن كليهما يوجد فيهما التماسيح، كما تطرق إلى الحيات "الأفاعي" الشاذة، وقال: بأن هذه الأفاعي توجد فوق جبل ماردين وإنها موصوفة بسرعة التفوق بالقتل، وذكر جزر الرانج في المحيط الهندي وقال: إن فيها حيات حجمها "يبلع الرجل

(1) ابو الفداء، تقويم البلدان: ص 95 - 484.

والجاموس"، وذكر مدينة حمص وقال: عنها "ليس بها عقارب ولا حيّات"[1].

- **ظاهرة الثروة السمكية عند أبي الفداء:**

لقد أدرك أبو الفداء أهمية الثروة السمكية وأعدها واحدة من أهم المصادر الطبيعية التي استغلها الإنسان منذ القدم عن طريق الصيد، فأشار إلى أنواع الأسماك وأسمائها في عصره، فذكر سمك الطريخ، وقال إن هذا النوع من السمك يوجد في مدينة أرجيس وسط تركيا الحالية ويصدر إلى المدن والأقاليم الأخرى بعد أن يتم وضع الملح عليه خوفاً عليه من التعفن، وقد زرنا هذه المدينة وجامعتها التي تسمى أيضاً أرجيس في مدينة قيصري،

الصورة رقم (3)معرض بيع الاسماك في قيصري تركيا عدسة الباحث

وحضرنا مؤتمراً دولياً عن السلاجقة في 2010 /9/27، وشاهدنا الأسماك التي أشار أليها أبو الفداء تعرض في محلات الباعة وكأنها مزينة لتفنن "السماكة" في ترتيبها الصورة رقم (3)، كما أشار أبو الفداء إلى سمك الرازقي الذي وصفه بالمفضل، وقال: بأنه يوجد في نهر الكر الفاصل بين أذربيجان وأرّان، كما أشار إلى مدينة دربساك شمال غرب سوريا في الجهة الشرقية للبحر المتوسط وقال بإنها: قلعة مرتفعة ولها أعين وبساتين وفي شرقها قرية مسيحية تسمى يغرا يعمل أهلها في صيد السمك في نهر يغرا، كما أشار إلى قرية نستروه التي تقع بين الإسكندرية

(1) ابو الفداء، تقويم البلدان: ص 38، 41، 62، 67، 279، 137، 261، 373

والرشيد على بحيرة نستروه المالحة وقال بأن أهل هذه القرية يعيشون على صيد السمك أنّ بحيرتهم تضم كميات هائلة من الأسماك يبلغ قيمتها أكثر من عشرين ألف دينار مصرية، كما ذكر أبو الفداء بحيرة قدس في حمص بإعتبارها سد كبير حابس للماء والتي يصطاد بها السمك [1].

(1) **ابو الفداء، تقويم البلدان: ص** 39، 40، 60، 261، 395

الفصل السادس
التأثير العلمي لأبي الفداء

أمتد الفكر الجغرافي لأبي الفداء ليشمل أجيال متعاقبة من العلماء في الحقول الجغرافية والتأريخية المعاصرين له والمتأخرين من المسلمين والمستشرقين، وتُرجمَ كتابه "تقويم البلدان" إلى لغات تركية عديدة وفارسية وهندية وإنكليزية ولاتينية وفرنسية وألمانية، ولا عجب ان ابا الفداء يعد من أعظم الجغرافيين في عصره، لما يمتلكه من أفق جغرافي واسع قال عنه ابن الوردي المعاصر له: "لقد رأيت جماعة من ذوي الفضل يزعمون أنه ليس في الملوك بعد المأمون أفضل منه... وله كتاب تقويم البلدان، وهو حسن في بابه [1]"، وأشاد بجهوده العلمية الحنبلي فقال عنه بأنه: أحد فضلاء زمانه، وعالم كبير من علمائه في التاريخ والأدب، والجغرافية، وعلم الأصول، صنّف مصنفات مختلفة"، من بينها كتاب "تقويم البلدان"[2]، أما الصفدي كان هو الأخر من المتأثرين بأبي الفداء فقال بأنه يمتلك: "مَكَارِم وفضيلة تَامَّة من فقه وطب وَحِكْمَة"، وبرع في علم الْهَيْأة الذي أتقنه، وهو من العلوم الرصينة التي إستقى من خلاله أبو الفداء مادته العلمية في فهم دراسته للظواهر الطبيعية وتعليلها وحركة الأجرام السماوية وتأثيراتها ودقة تفاصيلها، فكان من أبرز نتائج دراسته هذه تفوقه في الميدان الجغرافي الذي ظهرت إنعكاسته العلمية فيه، وتكللت من خلال إصدار كتابه "تَقْوِيم الْبلدَانِ" الذي هذبه وجدوله وأجاد فيه [3]، ونشرت مجلة القبس الصادرة سنة 1911م التي يترأس تحريريها عبد الرزاق محمد كرد علي "ت 1372هـ / 1952م" بحثاً بعنوان "تقويم

(1) تتمة المختصر: 104/4.

(2) شذرات الذهب: 59/1.

(3) الوافي بالوفيات: 104/9.

البلدان" فقالت فيه "إنّ كتاب أبي الفداء من أصدق كتب الجغرافية العربية التي أُلفت في القرون الوسطى وكأنها ألفت في هذا القرن، لم يفض صاحبها إلا فيما علم، فكان حجة ثبتاً في كل ما روى، تكاد لا تقرأ له خرافة ينكرها طبعك، وتنافي إرتقاء العصر الحاضر[1]، كما وصف كتاب "تقويم البلدان" بأنه: "يعد جزء من مشروع كبير لرابطة الشرق والغرب، في عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، ويدور أولاً حول رؤية العرب والمسلمين في القرون الوسطى، كما يتناول أيضاً مناحي مختلفة من تاريخ الثقافات الإنسانية المتعددة التي تعرّف عليها الرحالة العرب والمسلمين وجغرافيوهم ووصفوا أوضاعها العمرانية وعادات وتقاليد أهلها، وثقافة شعوبها المختلفة [2]، وذكر أحد الباحثين في مقدمة كتاب "المسالك والممالك"، فقال "لقد قمنا بجمع مادة كتاب "المهلبي" من جميع المصادر العربية المتوفرة... وبوّبناه على نسق "تقويم البلدان" لأبي الفداء، نظرا لدقة المنهج الذي اعتمده [3].

أما على المستوى الأوربي فقد قال عنه كراتشكوفسكي: إن كتاب تقويم البلدان: "مصنف تام مكتمل يمتاز بأصالة التبويب وبالوضوح فضلاً عن أنه تمتع برواج كبير سواء بين الأجيال القريبة من المؤلف أو التالية له، كما اكد إن المصنفات العربية التي كانت معروفة في أوربا هي "القرآن"، وكتاب ألف ليلة وليلة"، وكتاب "تقويم البلدان"[4]، وأشاد به المستشرق ديورانت قائلاً: إن بحث أبي الفداء في الجغرافيا في كتاب "تقويم البلدان" يتفوق في اتساع مداه، أي مؤلف أوربي من نوعه في عصره [5]، وتقديراً لمواقف أبي الفداء العلمية فقد قام علماء الفلك الأوربيون بتسمية جبلاً على القمر باسم جبل أبي الفداء اعترافاً منهم

(1) كرد علي: مجلة المقتبس العدد (67)، الصادر في 1911/9/1، ص52.

(2) الجيوسي: الدكتورة سلمى ينظر مقدمة كتاب المسالك والممالك العزيزي للمهلبي " ت 380هـ/990م " ص 18/1.

(3) المهلبي، المسالك والممالك : ص 18/1.

(4) تاريخ الأدب الجغرافي : 394/1.

(5) قصة الحضارة : 76/26.

باكتشافه له من خلال مرقبه الذي كان مقاماً على قبة قصره في الدهيشة قرب قصره في مدينة حماة، ووصفه التام له في كتابه الموازين، وقد كتب اسم أبي الفداء بالخط العريض في جدار قاعة الجمعية الجغرافية الفرنسية الى جانب أسماء كبار الجغرافيين العالميين[1].

لهذا إن هناك صيغ متعددة ومختلفة للتأثير العلمي لأبي الفداء، وأن أجيالاً متعاقبة أستفادت منه وأخذت عنه الأسس المنهجية والمادة العلمية التي وردت في كتابه "تقويم البلدان" من خلال: الإختصار والإقتباس والمنهج والإسلوب، وتابعوا كل ما كتبه بدقة، فنقلوا عنه النصوص التي تخدم مصنفاتهم بأمانة علمية رصينة وحافظوا على محتواها العلمي بعد الإختصار، فأخذ الكتاب ينتشر خارج مملكة حماة بلغته العربية، ثم ترجم إلى لغات أخرى، فوصلت نسخة منه إلى دمشق، وكان موضع إهتمام كبير علمائها: الإمام الْحَافِظُ ومُؤَرِّخُ الْإِسْلَامِ وَشَيْخُ الْمُحَدِّثِينَ شمس الدين الذهبي "ت 748هـ/1347م"، الذي عاصر أبي الفداء، وإختصر كتابه "تقويم البلدان"[2]، وإختيار الذهبي له يوضح المرتبة العلمية التي نالها الكتاب، فكان الذهبي على مستوى من التبحر والإدراك لمحتوياته الجغرافية الرصينة، فحتماً أثناء عملية اختصاره لتقويم البلدان كان يقوم بتدقيق وتحقيق نصه، ويضيف عليه، ويعلق ويستدرك له، لكن للأسف إن نسخة الإختصار لم تصلنا.

ثم نال الكتاب إهتمام تقي الدين أحمد بن علي المقريزي "ت845 هـ/1441م" في القاهرة، العالم والمؤرخ والجغرافي الكبير الذي تجاوزت مصنفاته (200) مصنف، منها الكتاب الذي إعتمد فيه المقريزي على كتاب "تقويم البلدان"، والذي أطلق عليه إسم: "الإلمام بأخبار من بأرض الحبش من ملوك الإسلام"، وتوجد نسخة منه مخطوطة في مكتبة الأزهر في مصر، ثم طبع في لايدن سنة "1308هـ/1890م"، وتضمن الكتاب نبذة في ذكر القسم الجنوبي من بلاد السودان وأرضها نقلها عن كتاب "تقويم البلدان"، وترجمت إلى اللغة اللاتينية، وطبعت

(1) **https: //ar.wikipedia.org/wiki/%D.**

(2) العمري، مسالك الأبصار: 570/5.

بمصر سنة "1895م/ 1313هـ" من قبل إدارة الهلال[1].

ويليه الشيخ بدر الدين محمود بن أحمد السروجي العيني "ت 855هـ/ 1451م"، الذي يعد من كبار المحدثين والمؤرخين في عصره، يرجع في أصوله إلى مدينة حلب، وولد في عينتاب، وتنقل بين دمشق والقدس وحلب، ثم تولى القضاء والحسبة ونظر السجون في القاهرة، صنف كتاب "تاريخ البدر في أوصاف أهل العصر" في مجلدات عديدة، جمع فيه الحوادث التاريخية والوفيات على نظام الحوليات، وابتدأ في كتابه من أول الخلق، ثم ذكر البر والبحر وما فيهما من المدن والجزر، مستفيداً من المادة العلمية في كتاب "تقويم البلدان"، ومفاهيمها وابعادها التي أوردها أبو الفداء [2].

وتعدت تأثيرات أبو الفداء الميدان الجغرافي إلى ميدان العلوم الأخرى، ومن الأمثلة على ذلك التأثر الواضح على الطبيب محمد شلبي بن يوحنا الموصلي، الذي ولد في الموصل وتوفى فيها سنة "1263 هـ / 1846 م"، وهو جد آل الشلبي الأسرة المعروفة في الطب في الموصل، كان اسمه القس عبد الأحد، وتسمى محمداً حينما أسلم سنة "1231هـ / 1815م"، ولقب بشلبي، فقام بتصنيف عدة كتب في العلوم الطبية، منها: "شرح أرجوزة ابن سينا" في الطب، و"مفردات الطب المختار"، و"أقرباذين الطب المختار"، و"رسالة في النبض"، وكان من أبرز ما تأثر به هو إبتعاده عن تخصصه في مجال الطب، فنجح في تصنيف كتاب جديد أطلق عليه: " زيادات على تقويم البلدان لأبي الفداء [3].

وأستمرت نتاجات أبي الفداء بالإنتشار على مر السنين فوصل "تقويم البلدان" إلى إسطنبول وأصبح موضع إهتمام العثمانيين من خلال إعجاب محمّد بن علي البروسوي المعروف بإبن سباهي زاده "ت997هـ/1589م"، فكان يرى بإن هذا

(1) ادورد كرنيليوس فانديك، (ت 1313 هـ/1895م)، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع: دار صادر بيروت 1896م، ص375/1.

(2) حاجي خليفة، كشف الظنون: 287/1.

(3) الزركلي، الأعلام: 160/6.

الكتاب من أجود الكتب التي صنفت في علوم الجغرافية وتقويم البلدان، فكان يقسم ويقول: "فوربّ السّماء والأرض إنّه لكتاب ما رأت عين الفلك الدّوار شبيهه في الأقطار، وما سمعت أذان الثّوابت والسيارة نظيره في الاعصار... تكلّ عن وصف كماله الألسن، وفيه ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين"، وكان يعده من "أجود المصنفات في هذا الفن وألطفها، وأحسن المؤلفات فيه وأشرفها، لكونه مشتملاً على زبدة كتب المتقدّمين وخلاصة زبر المتأخّرين"، فأختصر كلامه عن هذا الكتاب وإعجابه به من خلال نظمه لهذا البيت من الشعر فقال فيه:

كتابٌ فريدٌ لا يرى طرفَ ناظرٌ نظيراً لهُ طرّا وإنْ هوَ أحولُ

وكان من أبرز نتائج إعجاب سباهي زاده قيامه بدراسة كتاب "تقويم البلدان"، وإعادة صياغتهِ وترتيبهِ على حروف المعجم باللغة العربيّة، وزاد عليه مادة علمية جديدة شملت عصره، ثم وضع له ترجمة موجزة باللغة التركيّة، وأطلق عليه إسم جديد هو " أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك"، وفرغ من وضعه في رجب سنة "980هـ / 1572م"، وأهداه إلى السّلطان العثماني مراد الثالث ابن السّلطان سليم الثاني "953 ـ 1003هـ /1546ـ1594م"، ثم إختصره ونقله إلى اللغة التركيّة، وظل هذا الكتاب على شكل مخطوط موزع في مكتبات عالمية عديدة منها: في إسطنبول والأردن والبودليان بأكسفورد برقم (302)، وقام بتحقيق هذا الكتاب المهدي عيد الرواضية ونشر من قبل دار الغرب الإسلامي في بيروت [1].

ثم نال إهتمام العالم الجغرافي التركي العاشق عمر بن بايزيد "ت1006هـ/1597م" أيضاً في عهد العثمانيين، ولد في طربيزون شمال شرق تركيا، وقام بجولة دامت أعوامًا كثيرة، كان يجمع فيها المعلومات إلى أن استقر في دمشق فصنف فيها كتابه "مناظر العوالم"، ويظهر إنه أكمله في السنة التي توفي فيها، وكان العاشق قد تأثر بأبي الفداء ومنهجيته وتبويبه للمادة العلمية والدراسة الميدانية في كتابه "تقويم البلدان"، فجاء كتابه ليشمل القسم العلوي من الكون في (20) صفحة

(1) إبن سباهي زاده، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك: 18/1.

تناول فيها وصف السماء والأجسام السماوية، والقسم الثاني شمل القسم السفلي، في (250) صفحة، تناول فيها مكونات الأرض وقسمها إلى سبعة أقاليم ووزع المواد الجغرافية على (28) إقليمًا، وما تحتويه من البحار والأنهار والجزر والبحيرات والجبال، كما تناول التاريخ الطبيعي للأرض وتحدث عن المعادن والنباتات والحيوان والإنسان في نحو(200) صفحة، وهذا التقسيم لفصول الكتاب مقارب لما جاء في "تقويم البلدان"[1].

ووصل كتاب تقويم البلدان إلى بلاد فارس فقام الجغرافي محمد صادق الإصفهاني بدراسته وهو من مؤلفي القرن السابع عشر، فصنف رسالة في أسماء البلدان أعتمد فيها على تقويم البلدان أطلق عليها إسم "رسالة تحقيق الاعراب في أسماء البلدان وتقويم البلدان"، وقيل إن هذه الرسالة ترجمت إلى اللغة الإنكليزية[2].

وكانت المادة العلمية التي قدمها أبو الفداء مصدراً مؤثراً وموثوقاً لأجيال من العلماء الباحثين والمحققين في العلوم المختلفة، فكانت موضع إهتمام في الإستفادة منها عن طريق الإقتباس، فقد أعتمد القلقشندي وهو العالم الشهير والكاتب المتبصر على كتاب "تقويم البلدان"، فنقل نصوصاً مقتبسة مطولة منه بلغت (287) نصاً في كتابه "صبح الأعشى في صناعة الإنشا"، مما يؤشر على أهمية هذا الكتاب، ونقل من كتاب تقويم البلدان محمد بن عبد الله بن محمد المولوي المعروف بـ كِبْرِيت "ت1070هـ/1659م " في كتابه "رحلة الشتاء والصيف" التي حققها وقدمها وفهرسها محمَّد سَعيد الطنطاوي، وطبع في بيروت سنة "1385هـ/ 1965م"، كما إن المؤرخين والجغرافيين ألاحقين قد إعتمدوا

(1) حاجي خليفة، كشف الظنون: 1833/2؛ البغدادي، هدية العارفين: 85/2؛ الموسوعة العربية العالمية النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية **World Book International**، شارك في إنجازها أكثر من ألف عالم، ومؤلف، ومترجم، ومحرر، ومراجع علمي ولغوي، ومخرج فني، ومستشار، ومؤسسة من جميع البلاد العربية: 1/1.

(2) **http: //www.biruni.tn/cgi - bin/gw_**

على كتاب تقويم البلدان من أمثال: الدكتور جواد علي في كتابه "المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام"، وإحسان عباس في الكتب التي حققها منها " الروض المعطار في خبر الأقطار " لمؤلفه " أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى "ت900هـ / 1494"، وعلي الشيري محقق كتاب "البداية والنهاية" لعماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير "ت767هـ/1365م ".

ونظراً لأهمية الكتاب فقد كان موضع إهتمام الهنود، فقام العالم الشيخ عناية أحمد بن محمد بن غلام محمد بن لطف الله الديوي الكاكوروي "ت 1279هـ/1862م"، أحد علماء النحو والصرف المشهورين والمولود في الهند، والمنفي إلى جزيرة سيلان "سريلانكا"، نتيجة الإضطرابات التي حدثت في عصره بالهند، فلاحظ الشيخ عناية أثناء إقامته في المنفى إن حاكمها كريم بغش الطبيب الإنكليزي متأثراً بكتاب "تقويم البلدان"، ورغبته الشديدة في ترجمته إلى اللغة الهندية، ثم إلى اللغة الإنكليزية لغرض الإستفادة من المعلومات العلمية التي وردت في محتوياته، فقام الشيخ عناية بهذا المشروع، وترجم له كتاب "تقويم البلدان"، فاستحسن حاكم الجزيرة هذه الترجمة، وسعى في إطلاق سراحه، وشفع له، فتم ذلك، وإعيد إلى الهند [1].

وإستمرت شهرة أبي الفداء العلمية وتأثيره للإستفادة من مضمون كتابه على المستوى الإوربي فقال عنه سارتر: "إن أبا الفداء كان أعظم مؤرخ وجغرافي في ذلك العصر على اختلاف الأوطان والأديان [2]"، فقد جرت هناك أول محاولة لمعرفة كتاب "تقويم البلدان" من قبل المستشرق الفرنسي بوستل "**Postell**"، "ت989هـ /1581م"، الذي يمثل الرعيل الأول من بين المستشرقين، وكان بوستل يمتك موهبة ذكية في حفظ اللغات، فقد أحب اللغة العربية وأجادها لعالميتها وللمؤلفات التي صنفت فيها، ثم تعلم لغات أخرى منها: الاوربية والتركية والعبرية،

(1) الطالبي عبد الحي، " ت 1341هـ/1922م"، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ " نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر"، دار ابن حزم، بيروت 1999م، 1047/7.

(2) (**https: //menoflostglory.wordpress.com/**

وكانت أكبر خدمة أسداها للعرب هي ما جمعه وحفظه لهم من مخطوطات شرقية منها: المصنفات الجغرافية، وكان "أول مستشرق يجتذبه هو الجغرافي أبو الفداء"، فحفظ لنا "تقويم البلدان"[1].

كما كان أبو الفداء موضع إهتمام المستشرق نلينو "**Nallino**" "ت1357هـ/1872"، فكان هذا المستشرق له ولع شديد في العلوم الجغرافية، فنال كتاب "تقويم البلدان" شغف وحب نلينو منذ وقت مبكر من حياته، فقدم بحوث ودراسات فعديدة مجال علوم الأرض والفلك وغيرها من العلوم الاخرى فتأثر بجغرافية أبي الفداء، وكان يحب الإطلاع على ثقافة العرب فقال: "أريد أن أعرف عن العرب كل شئ [2]"، ثم كان الكتاب موضع إهتمام شيكارت "**schickardt**" "ت 1045هـ/1635م" الذي قام بدراسته، كما حظي الكتاب بدراسات إخرى من قبل عدد آخر من المستشرقين منهم: المستشرق الإنكليزي الفلكي جون جريفز "ت1060هـ / 1650م" الذي كان أستاذاً للفلك في جامعة أكسفورد للفترة "1643 ـ 1648 م"، ثم سافر إلى الشرق وتعلم اللغة العربية والفارسية وجمع بعض المخطوطات، كما قام بدراسات عديدة منها: الأهرامات في مصر، ووضع اللبنة الأولى فى دراسة "تقويم البلدان" دراسة نقدية، وقام بنشر الجزء المتعلق بخوارزم وما وراء النهر [3]، ثم يأتي هربلو وهو مستشرق فرنسي "ت 1107هـ / 1695م"، وتعلّم في باريس اللغات اليونانية واللاتينية والعبرية والسريانية والكلدانية والعربية والفارسية والتركية، ووضع خطة لتصنيف مكتبة شرقية لكل ما يتعلق بالشرق من المعارف والعلوم والمصادر الجغرافية والتاريخية فقام بدراسة كتاب "تقويم

(1) ينظر كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي: ص 26، 294؛ بدوي موسوعة المستشرقين: ص 138 – 145.

(2) بدوي، موسوعة المستشرقين: ص 583، 586.

(3) ينظر كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي: ص 26؛ أنساعد، د. سميرة، بحث بعنوان إسهامات المحققين الغربيين في إحياء التراث العربي الجغرافي مجلة التراث، تصدرها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في الجزائر/جامعة زيان عاشور الجلفة، العدد 60 في 2013، ص 134.

البلدان" لأبي الفداء، وجعل له أهمية كبيرة في المكتبة الشرقية وحدد المصادر الجغرافية العربية من خلاله.

ثم يليه المستشرق الفرنسي جان جانييه "ت1740هـ/ 1153م" الحاصل على المرتبة العلمية بدرجة أستاذ في الآداب من جامعة أكسفورد والمدرس فيها، تعلم اللغتين العربية والعبرية وأتقنهما وترجم سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من كتاب "المختصر في أخبار البشر" لأبي الفداء، وشرع بترجمة كتاب "تقويم البلدان" في (160) صفحة، لكن هذه الترجمة أهمل منها قسم كبير ولم يصدر منها سوى (72) صفحة، والتي إشتملت على وصف جزيرة العرب وجزء من مصر وتعليقات وخرائط جغرافية [1].

ثم المستشرق الألماني رايسكه "**Reiske**" " ت1188هـ /1774م" الذي أتقن لغات عديدة منها: اليونانية وهو في المدرسة الثانوية وقال بأنه شعر "برغبة قوية ملحة في تعلم اللغة العربية ونحوها، وعهد إليه بترتيب المخطوطات في مكتبة جامعة ليدن فأستغل الفرصة في نسخ المخطوطات لنفسه فقام بنسخ كتاب "تقويم البلدان"، و"المختصر في أخبار البشر" لأبي الفداء، وقام بدراسة وتحقيق وترجمة ونشر المصادر العربية واليونانية فوجد الناشرين للنصوص اليونانية " يتهافتون عليه ولم يجد ناشراً واحداً يقبل أن ينشر له كتبه في ميدان الدراسات العربية فأضطر إلى نشرها على نفقته الخاصة، وهو الفقير الخاوي من المال [2]"، وكان قد ترجم كتاب تقويم البلدان يظهر إنها كانت أول ترجمة له، فظهرت ضعيفة، ولم تكن بمستوى كتاب "تقويم البلدان" العلمي حسب وصف كراتشكوفسكي الذي قال بأنها كانت "ترجمة يغلب عليها مع الأسف طابع الاستعجال [3]"، كما نشر المستشرق الألماني ميخائيليس "ت 1206 هـ/1791م" الجزء الخاص بديار مصر مع النص العربي [4]،

(1) بدوي موسوعة المستشرقين: ص 168.169.

(2) بدوي موسوعة المستشرقين: ص 298.302.

(3) تاريخ الأدب الجغرافي: ص 294.

(4) بدوي، موسوعة المستشرقيين: ص 580.

ونشر المؤرخ الألماني إيخهورن يوهان جوتفريد **Eichhor** " أجزاء من كتاب تقويم البلدان تتعلق بإفريقيا نشرها في مدينة جوتنجن شمال ألمانيا سنة "1206هـ /1791م، وترجم سولافا القسم الخاص منه بالمغرب وطبع بالجزائر 1839م [1]، ثم جاء شيير 1820ـ1898 " **C. Schier**" ومن آثاره نشر كتاب تقويم البلدان عن ابي الفداء المحفوظ في مخطوطات لندن ودرسدن 1846م، ويليه عالم الفلك الألماني أدلر "**Adler**" " ت1263هـ/1846م " الذي يعد إختصاصه مقارب لإهتمامات أبي الفداء وصنف كتاب "التقويم" "**Chronologie**"، فقام بطبع كتب أبي الفداء في خمسة أجزاء في كوبنهاجن للفترة "1789ـ1794م (2)"، ونشر جيلد ميستر " **Gildmeister M.** " " ت 1308 هـ /1890 م " جزءً من كتاب " تقويم البلدان " في المجلة الاسيوية في شهري مايس وكانون الأول سنة 1834م.

ويظهر أن كتاب "تقويم البلدان" أصبح في متناول المستشرقين الأوربيين، فقد شهد عام" 1256هـ/1840م" فرصة تأريخية كبيرة حينما حظي الكتاب بإهتمام المستشرق الفرنسي جوزيف تُوسان رينو "**Reinaud Joseph - Toussaint**"، الذي ولد في لامبسك "**Lambesc**" جنوب فرنسا وتوفي فيها سنة "1284 هـ / 1867 م"، وتعلم اللغة العربية عن سلفستر دي ساسي ونشر كتباً عربية كثيرة، وعكف على دراسة الجغرافية عند العرب، ولفت إنتباهه كتاب "تقويم البلدان"، فقال عنه: إن العصور الوسطى لم تعرف كتابًا يمكن مقارنته "بتقويم البلدان" لأبي الفداء [3]، وأطلق عليه إسم جغرافية أبي الفداء: "**Geographie d,aboulfeda**"، وطبع في باريس في المطبعة الملكية على حساب الجمعية الآسيوية عام" 1256هـ/1840م"، وترجم رينو الجزء الأول من الكتاب إلى اللغة الفرنسية، واضاف إليه مقدمة ممتازة عن تاريخ الجغرافية عند العرب ومناهجهم الفلكية

(1) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، وكالة الصحافة العربية ناشرون، الجيزة 2018.

(2) المصدر نفسه: ص 59ـ 302.

(3) مقدمة تقويم البلدان: ص1.

والرياضية وطرائقهم في رسم الخرائط، وأصل البوصلة واستعمالها في الملاحة البحرية، بالتعاون مع ماك جوكان دي سلان **Baron: Mac - Guckin de Slane** " ت 1296هـ / 1879م"، وهو أيضاً مستشرق فرنسي، من أصل إيرلندي، كان مترجماً في وزارة الحربية الفرنسية وله جهود في نشر بعض المصادر العربية منها: نشره أجزاء عديدة من كتاب "وفيات الأعيان، وعني بأخبار المغرب، وقام "بفهرست المخطوطات الشرقية الموجودة في خزانة باريس الوطنية"، ونشر "مقدمة ابن خلدون[1]".

وظل الجزء الثاني من كتاب "تقويم البلدان" على شكل مخطوط فقام المستشرق غيار ستان سلاس جْوِيَّار "**Guyard**" الذي توفي متحراً سنة "1302هـ / 1884 م" بتحقيقه وترجمته، وهو مستشرق فرنسي دَرَّس اللغة العربيَّة في المعهد الفرنسي، وعمل أميناً لمكتبة الجمعية الآسيوية، ولَهُ تنقيبات في العاديات الآشوريَّة، أتمَّ تحقيق ما بقي من كتاب "تقويم البلدان" وترجمته ونشره كاملاً عام "1301هـ / 1883م "[2].

ولا بد من الإشارة إلى أن المستشرق رينو أعتمد في ترجمته لتقويم البلدان على المصادر العربية منها: كتاب "المنهل الصافي" لابن تغري بردي، ونقل الأبيات الشعرية الخاصة في رثاء أبي الفداء التي وردت عن الشاعر جمال الدين بن نُباتة المصري وأشار إلى المناسبة التي جعلته ينشر الكتاب وهي تشجيع أستاذه سلفستر دي ساسي الأمين العام للجمعية الأسيوية الذي شجعه على دراسة ونشر الكتاب، لكن أستاذه توفي قبل أن يرى إخراج الكتاب، ولا زالت النسخة التي حققها ونشرها هي النسخة المستخدمة من قبلنا ومن قبل القّراء في الوطن العربي، وهي بحاجة إلى إعادة نظر ودراسة من جديد لتغير الظروف الجغرافية والأقاليم والتقسيمات على الكرة الارضية وظهور أسماء ومعلومات جديدة، علماً بأن المحقق لم ينتبه إلى كثير من الأخطاء اللغوية ولم يقدم شروحات على كثير من المدن والأنهار والجبال وظلت الهوامش ناقصة، كما إن هناك مصطلحات وردت

(1) الزركلي، ألاعلام: 265/5.

(2) د. بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، 1993، ص210، 324.

في الكتاب لم تدرس من قبل المحقق، فسلطنا الضوء عليها وأوضحناها، وكانت في غاية الصعوبة مثل: الاهليج كابلي ودُّهْنُ الْبَنَفْسَجُ والخشخاش والحلتيت واشجار الرند وشجر المصطكي وغيرها كثيرة، لكن رغم هذه الملاحظات البسيطة إن عملية التحقيق التي تمت من قبل رينو كانت مثمرة وجادة وممتازة، حققت لأبي الفداء تأثيراً علمياً وشهرة علمية واسعة في أوربا مكاناً وزماناً.

ثم ترجم كتاب "تقويم البلدان" بعدها من قبل المستشرق الألماني فستنفلد "**Wuestenfeld**" "ت 1313هـ/1899م" المتخصص في اللغة العربية، وأصبح من مشاهير المستشرقين، فكان قد أنكب على دراسة اللغة العربية (60) سنة حتى كف بصره، فبلغت أثاره العلمية (200) مصنفاً محققاً ومترجماً من أمهات المصادر العربية منها: "وفيات الأعيان"، و"طبقات الحفاظ" للذهبي، و"معجم البلدان" لياقوت الحموي، ومن بين الكتب التي حققها ونشرها كتاب "تقويم البلدان[1]".

(1) مراد، يحيى، معجم أسماء المستشرقين: منشورات دار الكتب العلمية بيروت، ص 817.

الفصل السابع
مصادر أبي الفداء التأريخية والجغرافية

يظهر أن أبا الفداء حينما بدأ يصنف مؤلفاته التأريخية والجغرافية كان في مستوى عالٍ من العلم والثقافة، مستوعباً الحوادث والمعلومات التاريخية والجغرافية، واخذ يركز على مشاهداته للاحداث التي عاصرها والتي وقعت في عصره، بل أصبحت كتاباته ناضجة، ابتعد عن الشمولية في كتابة احداث التاريخ بعد أن غطى أحداثاً كثيرة من وقائع التأريخ الإسلامي، واصبح هاجسه الوحيد تغطية اخباره كملك ورحلاته ومشاهداته وتحركاته والمعارك التي خاضها، وينقل لنا صورا دقيقة عنها والمجالس التي كان يحضرها ولقاءاته مع السلاطين والملوك والأمراء والقضاة لا سيما إن حماة في عصره أصبحت مركزاً لضيافة الوافدين من العالم الإسلامي وهم في طريقهم الى مقر السلطنة في مصر، بل اضفت على مختصره في الفترة التي عاصرها طابع المذكرات والخصوصية التي طالما تحدث أبو الفداء عن نفسه فيها حتى نقل لنا الخدمات التي كانت تقدم إليه اثناء سفره من مأكل ومشرب وشموع في الطرق التي كان يسلكها اثناء سفره الى مصر والحجاز والقدس وغيرها، وعن مشاهداته للمناطق التي يزورها، فكان يقول مثلاً من ضمن مشاهداته عن قرية: أشمون جريس فهي قرية على النيل الغربي في مصر "وقد شاهدتها لما سرت إلى الإسكندرية في النيل[1]" وغيرها من مشاهداته الكثيرة، وكان يوجه أسئلته إلى هؤلاء الوافدين والمسافرين والتجار عن مناطقهم والأماكن التي رحلوا اليها وشاهدوها ويستقصي المعلومات عنها وفي حالة تعذر الوصول اليها فيذكر ذلك بقوله "لم يثبت وصول أحد اليها[2]"، ولدقته في التوثيق والتحقيق

(1) ابو الفداء، تقويم البلدان، ص117.

(2) المصدرنفسه: ص 65.

والنقل عن المسافرين والتجار فيقول بأن هذا المسافر شاهد ذلك عن بعد [1]، كما اكد بان هناك ظواهر جغرافية كثيرة مثل الانهار معروفة للتجار والمسافرين في تلك البلاد، وقد أهملها غالب مؤلّفي كتب البلدان، وقد وثقها أبو الفداء حسب ما تلقاها "ممن شاهدها على قدر الطاقة"، منها على سبيل المثال: نهر طنا وأزو وتان والأتل في بلاد الترك [2]، وقارن أرباع الأرض فلاحظ ان جزيرة العرب متميزة عن سواها فبدأ فيها لكونها تضم " بيت الله الحرام، وقبر نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام [3] ".

كما انه دون المراسيم التي كانت تصدر من مصر الى مركز مملكته حماة ولم تتوافر هذه الفرصة لغيره من المؤرخين بل استطاع ان يغطي أحداث بلاد الشام ومصر والجزيرة بعيداً عن مصادره التاريخية من خلال مذكراته وخصوصياته وعلاقاته والوثائق والمعلومات التي كانت تصل اليه بحكم عمله ملكا وكان يؤكد الروايات التي فيها شاهد عيان ومن ذلك قوله حينما ترجم لابن سينا "صاحبي شاهد ذلك [4]": كذلك حينما نقل عن ابن الاثير أشار الى قوله: "ورأيت كتاباً بخط يد صلاح الدين[5]".

ومن خلال هذه القائمة المتنوعة والاختصاصات المختلفة من المصادر التي اشرنا اليها يتضح أن أغلبها موثوقة بحسب مقاييس ذلك العصر ممثلة في الكتب المقدسة والمترجمة والمصادر التاريخية والجغرافية والفقه والأدب والرسائل والوثائق والتي دأب أبو الفداء تحري نصوصها وتمحيصها فضلاً عن مشاهداته العيانية ودراساته الميدانية كي يكون انجازه العلمي في المختصر موثقاً واصيلاً 0

من الممكن رسم صورة كاملة للمصادر التاريخية والجغرافية التي إعتمدها أبو الفداء في كتابيه "المختصر في أخبار البشر" و"تقويم البلدان" وفي ضوء تجمع

(1) ابو الفداء، تقويم البلدان، ص 83 – 107.

(2) المصدر نفسه: ص 63 – 64.

(3) المصدر نفسه: ص72.

(4) أبوالفداء، المختصر: ص 514/1.

(5) المصدر، نفسه: ص140/2.

المعلومات المتناثرة لديه يبدأ مناقشتها وتحليلها وتدقيقها ومقارنتها لذلك رفض الكثير من المصادر التي شكك فيها..... وقد عبر ابن الوردي اصدق تعبير عن المصادر التي استخدمها ابو الفداء في المختصر واجملها في قطعة نثرية جميلة في مقدمته أشرنا إليها فيما سبق في الفصل الرابع أثناء الحديث عن منهجية أبي الفداء في كتابه المختصر في أخبار البشر، وسنرتب المصادر التأريخية والجغرافية التي أعتمدها في ذلك حسب الحروف الفباء.

▪ القرآن الكريم: كان للقرآن الكريم أهمية بالغة لدى أبي الفداء، فقد وردت كلمة القرآن الكريم (47) مرة في كتابه "المختصر في أخبار البشر"، لما احتوى عليه من آيات قرآنية حول الحقبة الزمنية التي سبقت الإسلام، وقارنها مع الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى مثلاً: ما أوردته اليهود إن بنت فرعون هي التي ألتقطت موسى عليه السلام من البحر، فأنكر أبو الفداء ذلك وقال: "الأصح أنها زوجته، حسبما نطق به القرآن العظيم[1]"، كما رد أبو الفداء على إدعاء النصارى بقولهم "إن المسيح هو الله قتل وصلب ومات"، فذكر أبو الفداء النص القرآني رداً على ذلك: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ[2]"، كما تحدث عن استنساخ القرآن الكريم في عصر الخليفة عثمان بن عفان "رضي الله عنه" وتوزيعه على الأمصار الإسلامية، والقول في خلق القرآن، وأشار إلى بعض من العلماء الذين حفظوا وفسروا وأعربوا القرآن الكريم مثل: العالم اللغوي الخطيب أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي "ت 502هـ / 1108م" الذي صنف مصنفات عديدة أهمها: "الملخص" في إعراب القرآن في أربعة مجلدات، كما أشار أبو الفداء إلى القرآن الكريم في كتابه "تقويم البلدان" مرة واحدة فيما يخص مدينة خرابا فقال[3]: "هي التي ذكرها الله تعالى في القرآن فقال "أَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا [4] ".

(1) ابو الفداء، المختصر: 58/1.

(2) المائدة: 72؛ ابو الفداء، المختصر: 58/1.

(3) ابو الفداء، المختصر: 31/2 – 48، 224؛ تقويم البلدان، ص 60.

(4) الفرقان : (38).

▪ التوراة: كانت من المصادر التي أعتمدها أبو الفداء في كتابه "المختصر في أخبار البشر، وكان دقيقاً في النقل منها، ولم يستخدم النسخ المتداولة في عصره ومنها النسخة السامرية والنسخ المتداولة بيد اليهود، وإنما إنتقى منها التوراة التي تسمى "التوراة السبعونية" التي أعدها من أصدق النسخ التي حققها اثنان وسبعون حبراً من أحبار اليونان باشراف مباشر من بطليموس، لذلك قال عنها ابو الفداء هي: "أصح نسخ التوراة واثبتها"، وفي سبيل توثيق معلوماتها وتفسيرها إعتمد على كتب اليهود التي تسمى "الاربعة والعشرون كتابا"، وهي ايضاً دونت من قبل احبار اليهود على شكل تنبوءات للوقائع والأحداث التاريخية في العصور القديمة التي تبدأ على شكل مراتب من بدء الخليقة وأخبار الرسل والانبياء والملوك والحكام والقضاة وأخبار الفراعنة والأقوام وتقسيم الارض ونهاية اليهود في حملة نبو خذ نصر، ثم يؤكد أبو الفداء ما نقله نصاً من هذه الكتب بقوله: "الى هنا انتهى نقلنا من كتب اليهود المعروفة بالأربعة والعشرين المتواترة عندهم، وقربنا هذه الأسماء غاية ما امكننا [1]".

1. ابن الاثير: عز الدين ابي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزرى الشيباني "ت 630هـ/1232م " درس علوم التاريخ والحديث والفقه والأصول والفرائض والمنطق والقراءات ترجم له أبو الفداء، ولم يشر إلى مؤلفاته صنف مصنفات عديدة منها: "التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية"، و"أسد الغابة في معرفة الصحابة، و"اللباب في تهذيب الأنساب"، وأهم مؤلفاته هو كتاب "الكامل في التاريخ" الذي أعتمد عليه أبو الفداء، وكان مصدره الأول في كتابة المختصر أشاد به وقال عنه: بان مختصره هذا اختصار لكتاب "الكامل في التاريخ" وذكر أسم هذا الكتاب (109) مرة، بينما ذكر أسم أبن الأثير (53) مرة، واختصر منه روايات مطولة قد تبلغ صفحة كاملة أو أكثر فيما يخص فترة العصور القديمة والفترة التي سبقت الإسلام والحديث عن آدم ونوح ويونس وموسى وعيسى "عليهم السلام" وملوك الروم وكندة، كما نقل مواضيع كثيرة

(1) ابو الفداء، المختصر: 56/1.

فيما يخص الوقائع التاريخية لعصر الرسالة والخلفاء الراشدين وبني أمية والعباس، ثم يؤكد اعترافه في النقل المباشر من كتاب الكامل فيقول: في حوادث سنة "628هـ/1230م" انتهى ابن الأثير من تأليف كتاب الكامل "المنقول غالب هذا المختصر منه"، وكان أبو الفداء حينما ينقل عنه يقول: "قال ابن الاثير مؤلف الكامل"، او العبارة التي اعتاد "من الكامل لابن الاثير"، او "كذا نقله ابن الاثير في الكامل [1] ".

وأعتمد أبو الفداء على كتاب ابن الاثير الآخر وهو "اللباب في تهذيب الأنساب" مصدراً مهماً في تصنيفه لكتاب "تقويم البلدان"، فقد أشار إلى هذا الكتاب (319) مرة، وذكر أسم مؤلفه أبن الأثير (9) مرات، وهذه الأرقام توضح أهمية هذا الكتاب، بحيث لا تخلو ورقة بدون الإشارة إليه مرة أو مرتين أو أكثر، وبالأخص المدن وتوابعها وضبط أسمائها، وأشهر علمائها وطرق مواصلاتها ومسافاتها [2].

2. الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الصقلي "ت 560 هـ / 1166 م"، أحد كبار الجغرافيين العرب المسلمين، ولد في مدينة سبتة شمال المغرب، صنف كتب عديدة منها: كتاب في النبات اسمه "الجامع لصفات أشتات النبات"، وكتاب "أُنس المُهَج وروض الفرج" وقد نشر من هذا الكتاب الأخير "القسم الخاص بشمال أفريقيا وبلاد السودان"، وكتاب "نزهة المشتاق في إختراق الآفاق" الذي نقل منه أبو الفداء في "تقويم البلدان" نصوص عديدة بلغت (12) نصاً مطولاً فيما يخص أطول البحار وإتساعها، وظاهرة المد والجزر التي شاهدها الإدريسي بنفسه في بحر الظلمات "المحيط الأطلسي"، كما أشار إلى طول بحر نيطش "الأسود"، وبحر الخزر "قزوين[3]"

(1) ابو الفداء، المختصر: 414/1.

(2) ابو الفداء، تقويم البلدان: ص1، وما بعدها.

(3) وقد شاهدت بحر قزوين أثناء سفري إلى إذربيجان ونزلنا فيه وأستمتعنا بمياه أمواجه المالحة المتلاطمة بتأريخ 2018/8/16، وقد أقامت جمهورية إذربيجان على هذا البحر مدينة مائية =

وموقع المدن ومسافاتها وأوصافها وزراعتها منها: صقلية وجنوة وقيسارية وبردل وقبرص وعدن واخيوان ودرعة ولمطة وجزولة وأسنا وذمار وزبيد وصور وغيرها.

والأهم من كل كتبه هو كتاب "روض الأنس ونزهة النفس"، أو كتاب "الممالك والمسالك" وهو الاسم الذي نعته به أبو الفداء، ويظهر أن هذا الكتاب قد فقد أكثره، ولم يعرف منه إلا مختصر مخطوط موجود في مكتبة حكيم أوغلو علي باشا بإسطنبول ويعد هذا الكتاب من الكتب المهمة التي إعتمدها أبو الفداء وأشار إليه، وحفظ لنا نصوصاً منه في كتابه "تقويم البلدان".

3. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ولد في هراة وانتقل إلى بغداد "ت370هـ/981م"، وكان قد أشتهر في علوم الفقه وتبحر في علوم اللغة العربية، صنف مصنفات عديدة منها: كتب "تهذيب اللغة" في عشر مجلدات، و"وتفسير المزني، و"علل القراءات"، وكتاب "الرّوح وما ورد فيها من الكتاب والسنة"، و"الأسماء الحسنى"، و"إصلاح المنطق" وكتاب"، و"السبع الطوال"، وشرح "ديوان أبي تمام"، ترجم له أبو الفداء في حوادث سنة "370هـ /981م"، وهي السنة التي توفي فيها في كتابه "المختصر في أخبار البشر"، وكان قد نقل عنه نصاً عن كتاب "المشترك وضعًا والمفترق صقعًا" لياقوت الحموي فيما يخص تسمية البحرين بهجر [1] وهي الإحساء الآن.

4. الاصفهاني، أبو عبد الله حمزة بن الحسين "ت428 هـ/1036م"، صنف كتاب "سني ملوك الارض والانبياء"، أطلق عليه أبوالفداء "تاريخ حمزة الاصفهاني"، ونقل منه نصاً واحداً فيما يخص الفترة التي سبقت الإسلام[2].

=

ضخمة من أكبر المدن في العالم في غاية الجمال تسمى " الحديقة المائية " في قرية مارداكيان خارج العاصمة باكو (12كم).

(1) ابو الفداء، المختصر 120/2 – 121؛ تقويم البلدان: ص 98.

(2) المصدر نفسه : 67/1.

5. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن احمد الاصفهاني "ت356هـ /957م " استفاد أبو الفداء من كتابه الأغاني، وصحح الأسماء التي وردت في هذا الكتاب، ونقل عنه نصاً فيما يخص الأسباب التي دعت اليهود إلى الاستيطان في خيبر، كما نقل منه أبيات من نظم شعراء العرب قبل الاسلام [1] .

6. أبن الاعرابي، مُحَمَّد بن زِيَاد الكوفى الْبَغْدَادِيّ "ت231 ه / 845م"، صنف مصنفات في علوم مختلفة في اللغة والشعر والقبائل والأمثال والكرامات والنوادر والخيل ونسبها وصفاتها والزرع والنبات وصنف كتاب الأنواء، نقل منه أبو الفداء نصاً واحداً فيما يخص العراق ومدن الجزيرة العربية [2].

7. أبن باطيش، أبو المجد إسماعيل بن هبة الله الموصلي "ت655هـ / 1257م" [3]، صنف مصنفات عديدة منها: "المغني في الإنباء عن غريب المهذب والأسماء"، و"طبقات الشافعية"، و"مشتبه النسبة"، و"المغني في لغات المهذب ورجاله"، ومن أهم كتبه هو كتاب "مزيل الارتياب عن مشتبه الانتساب"، وكتاب "الفيصل في مشتبه أسماء البلدان" والكتابان الأخيران أشار إليهما أبو الفداء في المقدمة، ورغم نقله منهما وأهميتهما بالنسبة له فإنه إنتقدهما، وقال عنهما بأنهما مؤلفهما أبن باطيش ضبط أسماء البلدان والمدن لكنه كان يجهل أطولها وعرضها " وسمت ذلك البلد، فلا يعرف الشرقي منها ولا الغربي ولا الجنوبي ولا الشمالي"، فقد أشار إلى كتاب "مزيل الإرتياب"(6) مرات فيما يخص مقاديشو وهيت وغزنة وغيرها، وأشار إلى كتاب "الفيصل في مشتبه أسماء البلدان " أشار إليه مرة واحدة، كما أشار إلى كتاب أخر له هو كتاب "التمييز والفصل" (4) نقل عنه نصوصاً فيما يخص تسمية العراق

(1) أبو الفداء، المختصر: 98/1، 102، 38/4.

(2) أبو الفداء، تقويم البلدان: ص1، 61.

(3) لمزيد من المعلومات عن ابن باطيش ينظر د. ميسون ذنون العبايجي، مجلة دراسات موصلية، العدد 37 تموز، 2012، ص 57 وما بعدها.

ونسيابور وقلعة فنك وقصر اللصوص، كما أشار إلى لقب ابن باطيش المعروف به وهو "أبو المجد" أكثر من (10) مرات.

8. بَطْلُمْيوس عاش في القرن الثاني للميلاد، كان عالماً في الجغرافية والفلك والتنجيم أشار إليه أبو الفداء صراحةً بإسمه بيطلموس (7) مرات، كما أشار إلى كتابه "المَجَسْطي" الذي ترجمه حنين بن سحاق العبادي الطبيب المعروف في عصره "ت 260هـ/ 873م"، وأعد ترجمته من أفضل وأصح التراجم إلى اللغة العربية، ونقل عنه معلومات مهمة فيما يخص علماء اليونان، كما أشار إليه في كتاب "تقويم البلدان" أثناء الحديث عن كروية الأرض ودوائر العرض ودرجاتها والقطب الشمالي والجنوبي، لكن الكتاب الأكثر أهمية بالنسبة لأبي الفداء كان هو "رسم الربع المعمور" وهو كتاب نقل من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية وعُرب للمأمون، وهذه هي الكتب المعتمد عليها في هذا الفن وقلما تتفق هذه الكتب على عرض مكان بعينه أو طوله بل لا بّد من الاختلاف فيها، وقد نقلنا نحن من مجموع هذه الكتب وهي غير متفقة فحصل في كتابنا اختلاف في الأطوال والعروض فالعذر فيه ما شرحناه "رسم الربع المعمور"، وأكد بأنه ترجم إلى اللغة العربية في عصر الخليفة المأمون، وأشار أبو الفداء إلى هذا الكتاب (6) مرت، وأعده من الكتب المهمة التي تحدد مواقع المدن والبحار والانهار والبحيرات وأطوالها وعرضها وأنتقده في مواطن عديدة منها: فيما يخص موقع مدينة السلمية في شمال سوريا وهي الآن على مقربة من حماة، كما إنتقده فيما يخص عدد الجزر البالغة (1600) جزيرة في بحري الهند والصين وقال: "اعتبرنا بعضها فلم يوافق، فأضربنا عنها"، ونقل عنه فيما يخص مدن طرنو الواقعة جنوب شرق أوربا على البحر المتوسط وتوز جنوب غرب تونس على الحدود التونسية الجزائرية، والسلمية شمال دمشق، وتابع منابع البحار والأنهار ومواقعها وجريانها أمثال: بحر الصين والهند والمتوسط ونهر دجلة والفرات والنيل وأنقرة وعفرين والعاصي وجيهان وسيحان الذي يقع في بلاد ما وراء النهر في أواسط أسيا ويجري في دول عديدة هي: قرغيزيا،

وأوزبكستان، وقازاغستان، ويصب في بحيرة خوارزم، وتابع البحيرات أمثال: بحيرة خوارزم والسودان وبطائح البصرة وواسط والكوفة وقال: إن ماء هذه البطائح هو من فضلات نهري دجلة والفرات [1].

9. البغدادي، الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ "ت 567هـ/ 1171م" ترجم له أبو الفداء في المختصر وقال عنه: "وكان إمام الدنيا في زمانه... حافظ الشرق"، كان عالماً بالفقه والحديث والتأريخ، أهم مصنفاته تاريخ بغداد، نقل عنه أبو الفداء نصوصاً فيما يخص طبرستان على أنها قصبة دهستان بين جرجان وبلاد خراسان، وبعقوبة شرق بغداد [2].

10. البلاذري، ابو الحسن، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود "ت279هـ /892م"، صنف عدة مصنفات، أهمها: "انساب الأشراف"، و"فتوح البلدان"، والكتاب الأخير أشار إليه أبو الفداء، ولم يطلع عليه، بل نقل عنه نصاً في "تقويم البلدان" عن وفيات الأعيان لأبن خلكان فيما يخص مدينة قاليقلا [3].

11. البلخي، أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر "ت272هـ /168م"، صنف جدول على شكل مجلد كبير جمع فيه تواريخ الرومان والفرس والمسلمين، أشار إليه ابو الفداء، ونقل عنه الفترة الزمنية بين الطوفان والهجرة النبوية الشريفة وقدرها بثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وعشرون سنة [4].

12. البيروني [5]، أَبُو الرَّيْحَانِ مُحَمَّدٌ بْنُ أَحْمَدَ "ت440هـ /1048م"، هو أحد كبار العلماء المسلمين في علوم الجغرافية والرحلات، وكان مؤرخاً ورياضياً وصيدلانياً ومترجماً، وصف بأنه من بين أعظم العقول التي عرفتها الثقافة الإسلامية، تجاوزت مؤلفاته المائة والعشرين مصنفاً، كان أبو الفداء معجباً به

(1) أبو الفداء، تقويم البلدان : ص 21، 22، 44، 62، 74، 215، 327.

(2) أبو الفداء، المختصر: 187/2 – 188؛ تقويم البلدان: ص 494، 493،

(3) أبو الفداء، تقويم البلدان: ص 279.

(4) أبو الفداء، المختصر: 125/1.

(5) كلمة البيروني في اللغة الخوارزمية تعني الغريب الآتي من خارج البلد.

غاية الإعجاب ويعده حجة في طرح آرائه نقل عنه صفحات مطولة في كتابه "تقويم البلدان" وكان يلقبه بـ "الاستاذ"، وأشار إليه بإسمه البيروني (10) مرات، كما أشار إليه (13) مرة بإسم "أبو الريحان"، وتصدر كتابه "القانون" الأولوية عند أبي الفداء في الإعتماد عليه، فبلغت النصوص التي نقلها من هذا الكتاب أكثر من (50) نصاً في "تقويم البلدان"، وأشار أيضاً إلى هذا الكتاب في "المختصر في أخبار البشر" مرات عديدة، ونقل أبو الفداء كذلك من كتاب البيروني الموسوم "الآثار الباقية عن القرون الخاوية [1]، كما أعتمد أبو الفداء على كتاب البيروني الثالث وإسمه "الجماهر في معرفة الجواهر" ووصف في هذا الكتاب الفلزات أمثال الزئبق والذهب والفضة والنحاس، والحديد والأحجار الكريمة ووزنها النوعي أمثال: الياقوت واللؤلؤ والزمرد والألماس، ونقل أبو الفداء منه نصاً يشير إلى ان طائفة من الكنعانيين هاجروا الى المغرب واستقروا فيها [2].

13. البيهقي، أبو بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي "ت 458هـ/1065م" ترجم له أبو الفداء وقال عنه: بأنه أوحد زمانه، وكان إماماً في الحديث والفقه شافعياً زاهداً قانعاً من الدنيا بالقليل، رحل في طلب الحديث إلى العراق والحجاز، صنف عدة مصنفات أهمها: "السنن الكبير" في عشرة مجلدات، و"السنن الصغير"، ودلائل النبوة"، والكتاب الأخير أشار إليه أبو الفداء صراحة ونقل عنه وكان يعّده اكثر المصادر المتوفرة لديه وثوقاً، فنقل عنه نصوصاً كثيرة فيما يخص مولد الرسول صلى الله عليه وسلم واهل بيته وأشار إلى اسمه ونعته بعدة القاب أثناء النقل منه مثلاً: "الحافظ"، وقال "البيهقي"، او يقول "من دلائل النبوة"[3].

14. ثابت بن سنان، أبن قرة، بن ثابت الحراني "ت 365هـ /975م"، صنف كتاب في "التاريخ"، ويظهر أن هذا الكتاب كان من المصادر المهمة التي اعتمدها

(1) ابو الفداء، تقويم البلدان: ص 73.

(2) أبو الفداء، المختصر: 62/1.

(3) المصدر نفسه : 168/1 وما بعدها.

أبو الفداء منذ خلافة المقتدر سنة "295هـ /907م" حتى السنة التي انتهى فيها الكتاب وأهمل الاشارة إليه سوى قوله في حوادث سنة "363هـ /973م" "انتهى تاريخ ثابت بن قرة [1] ".

15. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن أحمد "ت 498ه/1104م"، ترجم له أبو الفداء في كتابه "المختصر في أخبار البشر"، وقال بأنه: "إماماً في اللغة العربية"، وكان له خطاً حسناً من الطبقة العالية، صنف كتاب "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية "المعروف بصحاح الجوهري " وهو كتاب شهرته تغني عن ذكره، وأكد أن الجوهري من فاراب وهي مدينة تركية تسمى في عصره "أطرار"، نقل عنه أبو الفداء نصاً واحداً فيما يخص تعريف الأمة التي عرفها الجوهري بالجماعة، كما نقل عنه في كتاب "تقويم البلدان" (4) نصوص فيما يخص موضع وادي الخرج في اليمامة وهجر وصحار في شبه الجزيرة العربية [2].

16. الجواني، الشريف أبو البركات حسن بن محمد بن أسعد المعروف بالنسابة "ت 588 هـ/ 1192 م" صنف عدة مصنفات في الأنساب وأشتهر فيها منها: "التحفة الشريفة والهدايا المنيفة"، و"الشجرة النبوية والجوهرة المصطفوية" مطبوع طبعة قديمة، و"الأنساب وأسماء قبائل قريش والعرب أصولها وفروعها" "مخطوط"، و"المقدمة الفاضلية في الأنساب" مطبوع، و"الجوهر المكنون في القبائل والبطون"، والكتاب الأخير نقل منه أبو الفداء نصاً واحداً فيما يخص نسب الرسول عليه الصلاة والسلام ابتدأ به من عدنان وأسماعيل وأبراهيم عليه السلام مقارناً ذلك مع الإمام البيهقي [3].

17. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي "ت 597/1201م"، ترجم له أبو الفداء وأنتقده وقال بأنه: "كان كثير

(1) أبو الفداء، المختصر: 114/2.

(2) المصدر نفسه: 132/2؛ تقويم البلدان: 97، 99.

(3) المصدر نفسه: 112/1.

الوقيعة في العلماء"، ثم لقبه "بالواعظ المشهور"، وقال عنه بأن "تصانيفه مشهورة"، صنف أكثر من (50) مصنفاً، أهمها: "زاد المسير في التفسير، جامع المسانيد"، و"المغني في علوم القرآن"، و"تذكرة الأريب في اللغة، و"الضعفاء"، ومن مصنفاته المهمة: "المنتظم في التاريخ"، نقل منه أبو الفداء نصوصاً كثيرة منها: فيما يخص الخصال التي كان يتمتع بها معاوية بن أبي سفيان، ووفاة سيبويه، وأحمد الغزالي[1].

18. الحجاري، عبدالله بن إبراهيم الحجاري "550هـ / 1155م " كان مؤرخاً وأديباً أندلسياً، صنف كتاب "المسهب في غرائب المغرب" في ستة مجلدات كبيرة وهو كتاب تاريخي جغرافي عن بلاد الأندلس تضمن تراجم لبعض الشعراء والأدباء، كما وصف الحجاري الأندلس وفضائلها وطولها وعرضها ومدنها وقراها بالتفصيل، نقل عنه أبو الفداء نصاً عن أبن سعيد المغربي فيما يخص مدينة فاس وتسميتها وأهلها وأنهارها [2].

1- ابو حنيفة، النعمان بن ثابت توفي في بغداد سنة "150هـ / 767م" صنف مصنفات عديدة منها: "الفقه الأكبر"، و"الفقه الأبسط"، و"مسند" أبي حنيفة رواه الحصفكي، أشار إليه أبو الفداء وقال: كان "عالماً عاملاً زاهداً ورعاً، وكان يصلي غالب الليل"، وترجم له ولأتباع المذهب الحنفي، ونقل عنه رواية فيما يخص فتح مكة [3].

19. أبن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي "ت367 هـ/ 977 م"، ولد في نصيبين، وكان جغرافياً ورحالة وتاجراً ودّون معلومات دقيقة عن المناطق التي زارها أشتهر بكتابه المعروف "صورة الأرض"، وإن أبا الفداء أعتمد على هذا الكتاب ونقل عنه (275) نصاً وأستشهد بأقواله، ويكاد لا يخلو كتاب تقويم البلدان من الإشارة إلى أسم أبن حوقل، لكنه وجه له نقداً شديداً في مقدمة

(1) أبو الفداء، المختصر : 238/1، 191/2.

(2) أبو الفداء، تقويم البلدان: 133.

(3) المصدر السابق: 5/2.

كتابه فقال ما نصه: "فمن الكتب التي وقفت عليها في هذا الفنّ كتاب ابن حوقل، وهو كتاب مطوّل ذكر فيه صفات البلاد مستوفياً، غير أنه لم يضبط الأسماء، وكذلك لم يذكر الأطوال، ولا العروض، فصار غالب ما ذكره مجهول الأسم والبقعة ومع جهل ذلك لا تحصل فائدة تامّة"، ومن أهم النصوص التي نقلها عنه أبو الفداء هي فيما يخص مواقع المدن وتسميتها، وكان أبو الفداء يرجح روايات أبن حوقل لأنه شاهد عيان على الأماكن التي زارها فيقول عن نهر سيحون بأنه أختار الرواية التي أختلف بها الجغرافيون عن هذا النهر فقال: "واخترت ما ذكره ابن حوقل فإنه يحكي ذلك عن مشاهدة[1]".

20. أبن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن عبد الله القيسي "528 هـ /1134 م"، كان مؤرخاً وشاعراً صنف كتاب "مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس"، و"كنز الفوائد"، و"قلائد العقيان ومحاسن الأعيان"، والكتاب الأخير أشار إليه أبو الفداء ونقل عنه مجموعة من الابيات الشعرية للشاعر الأندلسي أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن بقي " ت540 هـ /1145م" ولجمالها نقلت منها ما يلي [2]:

يا أفتكُ الناسِ ألحاظاً وأطيَبهم ريقاً متى كانَ فيكَ الصابُ والعسلُ

في صحنِ خدكِ وهو الشمسُ طالعةٌ وردٌ يزيدكِ فيه الراحُ والخجلُ

21. أبن خالويه أبو عبد الله بن الحسين بن احمد "ت 370هـ /980م"، عالم لغوي، صنف عدة مصنفات في علوم اللغة العربية وغيرها منها: كتاب: "الاشتقاق"، و"المذكر والمؤنث"، و"الزنبيل المدّور"، و"شرح الفصيح"، و"وكتاب الآل"، ولم يشر ابو الفداء الى المصدر الذي اعتمده من هذه المصنفات، إلا إننا نشك في استخدامه الكتاب الاخير "الآل" الذي ذكر فيه

(1) أبو الفداء، تقويم البلدان: ص1، 61.

(2) المصدر نفسه: 40/1، 54، 70، 224، 389، 238/2.

ابن خالويه اسماء بني هاشم والائمة الاثني عشر ووفاة سيف الدولة الحمداني وسيطرة أبي فراس الحمداني على حمص[1] 0

22. ابن خرداذبّة أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله "280هـ/ 893م" يعد من أكبر الجغرافيين المسلمين اشتهر بكتابه "المسالك والممالك" الذي وصف فيه المسافات بين البلدان وقد كان من المقربين للخليفة العباسي المأمون، أشار إليه أبو الفداء صراحة في مقدمته وقال بأنه أطلع على هذا الكتاب ووجه إليه إنتقاداً بأنه لم يف بالغرض المطلوب الذي كان أبو الفداء يسعى في تحقيقه لعدم تعرض أبن خرداذبة "إلى تحقيق الأسماء والأطوال والعروض"، ورغم ذلك نقل عنه أبو الفداء (7) نصوص أشار إلي إسمه فيها صراحةً "أبن خرداذبة"، منها: فيما يخص أعمال القسطنطينية ومدن الجزيرة منبج وبالس وتيزين والرصافة وملطية، وخانقو من أبواب الصين وإشتهارها بالفواكه والبقول والحنطة والشعير والأرز وقصب السكر، والمسافات من الباب إلى الشاش، ثم خاوص وزمين وإلى ابهر، ثم قزوين وزنجان [2].

23. الخرقي، محمد بن أحمد الحسيني "533هـ/ 1138م" صنف كتاب "التبصرة في علم الهيئة"، وكتاب "منتهى الإدراك في تقاسيم الأفلاك"، والكتاب الأخير أشار أليه حاجي خليفة وقال بأن مقدمته جاء فيها: "الحمد لله المنفرد بالخلق والإبداع... الخ"، وقال أن الكتاب مرتب: على ثلاث مقالات هي: "في بيان تركيب الأفلاك"، " وفي "ذكر التواريخ" و"في هيئة الأرض [3]، نقل أبو الفداء نصاً واحداً من المقالة الأخيرة فيما يخص أعياد وصوم النصارى [4].

(1) ينظر حاجي خليفة، كشف الظنون: 602/1، 1272/2، 1390، 1391، 1396، 1397، 1457، 1960.

(2) ينظر مقدمة أبو الفداء في تقويم البلدان وما بعدها: ص 1.

(3) كشف الظنون: 1852/2.

(4) ابو الفداء، المختصر: 104/1.

24. ابن سعيد المغربي، الحسن علي بن أبي عمران موسى العنسي "ت 685هـ /1286م، وقد ورد ذكره في المختصر خطأً بأبي عيسى المغربي، كان مؤرخاً وجغرافياً وأديباً وشاعراً، رحل من المغرب العربي إلى مصر وبلاد الشام والعراق، وله مصنفات مختلفة منها: "رايات المبرزين وغايات المميزين"، و"الغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة السابعة"، و"الأدب الغض"، و"المُغرب في حلي المغرب"، و"ريحانة الأدب"، و"المقتطف من أزاهر الطرف"، و"الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد، تاريخ بيته وبلده"، و"النفحة المسكية في الرحلة المكية"، و"جنى المحل وجنى النحل" أشار إليه القلقشندي ونقل عنه نصوصاً كثيرة [1]، و"نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب"، و"وصف الكون"، و"بسط الأرض في الطول والعرض"، وهما كتابان جغرافيان، وكتاب أسمه الجغرافية و"القدح المعلي"، في تراجم بعض شعراء الأندلس، و"المرقصات والمطربات"، و"ديوان شعر"، ومن بين أهم كتبه كتاب "المغرب في اخبار اهل المغرب"، نقل منه أبو الفداء نصوصاً كثيرة، في مختصره بلغت (24) نصاً، فيما يخص الحقبة التأريخية القديمة والفترة التي سبقت الإسلام ونسب العرب وأصولهم، وينقل نصوصاً لعلماء المسلمين ومؤرخيهم من هذا الكتاب امثال: ابن عباس وابن الجوزي والقاضي صاعد والشريف الادريسي والمسعودي وغيرهم، وقد أشار صراحة إلى الكتاب أثناء النقل منه، فكان يصفه "الكتاب الكبير" كما أشار إلى المجلد أيضاً فقال: "هذا ما نص عليه ابن سعيد المغربي في كتابه الكبير، المسمى بـ "المغرب في أخبار أهل المغرب"، في المجلدة الخامسة عشرة " ومرة أخرى أطلق عليه "المغرب في حلي أهل المغرب، وفي بعض الأحيان لم يشر إلى الكتاب بإسمه، بل يكتفي بالقول: "قال ابن سعيد المغربي"، أو يقول: "كذا نقل ابن سعيد"، أو "ورأيت في تاريخ ابن سعيد المغربي أو يقول: "من كتاب ابن سعيد المغربي"، وكان يوثق النص التأريخي بأمانة علمية فيقول مثلاً: "قال:

(1) صبح الأعشى : 104/2.

ابن سعيد ونقله عن ابن الجوزي: "أو يوثق رواية أبن سعيد مع مصدر أخر مثلاً يقول: " قال ابن سعيد، وذكر القرطبي في تاريخ مصر [1].

أما فيما يخص كتاب "تقويم البلدان" فكان لأبي سعيد المغربي حصة كبيرة في تأليف هذا الكتاب، فقد نقل أبو الفداء من مؤلفاته الجغرافية (225) نصاً، وتكاد لا توجد صفحة في تقويم البلدان تخلو من أسم أبي سعيد، لكن أبا الفداء رغم إعتماده على كتب أبي سعيد في كل هذه النصوص في "تقويم البلدان" لم يشر إلى إسم الكتاب الذي نقل منه بل يكتفي بالقول: "رأيته في كتاب ابن سعيد المغربي"، أو يقول: " كذا ذكر ابن سعيد: "ويظهر أنه كان ينقل من كتب عديدة من مصنفات أبي سعيد منها: الكتاب المهم "الجغرافيا" الذي قام بتحقيقه الأستاذ إسماعيل العربي وطبع في المكتب التجاري للنشر في بيروت سنة 1970 م، كما نقل من كتبه الأخرى وهي: "بسط الأرض في الطول والعرض"، تحقيق خوان قرنيط خينيس الأستاذ بجامعة برشلونة، وطبع في مطبعة كريماديس تطوان المغرب 1958 م، والكتاب الأخر هو "وصف الكون"، ويبدو أن هذا الكتاب لا زال مخطوطاً، كما أن هناك كتب أخر نقل منها: هي "المُغرب في حلي المغرب"، كما أن القلقشندي نقل من أبي سعيد نصوصاً جغرافية في كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشا"، ولم يشر إلى أسماء الكتب الجغرافية التي نقل منها هو الآخر فقط أشار إلى كتاب "المغرب في أخبار المغرب" [2].

وأكثر النصوص الجغرافية التي نقلها أبو الفداء تخص مواقع المدن وأطوالها ودوائر عرضها وتأريخها وأدارتها ونسبتها وأسمها وضبط حروفها وأصول شعبها وصناعاتها وزرعها وتجارتها وطرق مواصلاتها ومياهها وطرق سقيها وانهارها، قال أبوالفداء: "هذا ما نص عليه ابن سعيد المغربي في كتابه الكبير،

(1) ابو الفداء، المختصر: 177/3.

(2) ابو الفداء، المختصر: 177/3.

المسمى بالمغرب في أخبار أهل المغرب"، في المجلدة الخامسة عشرة"، ويظهر أن أبا الفداء كان يرى في هذا الكتاب صدقاً في رواياته، واصبحت هناك صلة كبيرة بين " كتب أبي سعيد المغربي، وكتاب "تقويم البلدان"، لهذا لم يشر إلى أسماء كتب أبي سعيد الجغرافية، بل كان يكتف بالقول قال أبو سعيد[1].

25. أبن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر "ت1282/681م"، يعد هذا المؤرخ من المعاصرين لأبي الفداء، وكلاهما من المناصرين للدولة المملوكية، وخدما البلاط المملوكي بمناصب عالية في بلاد الشام ومصر، صنف أبن خلكان كتاب "وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان"، أشار إليه أبو الفداء (15) مرة في المختصر في أخبار البشر ونعته بألقاب عديدة منها: "ابن خلكان"، و"شمس الدين بن خلكان"، و"القاضي الفاضل"، واشاد به واثنى عليه وترجم له أثناء ذكر وفاته، وقال عنه بانه " " كان فاضلاً عالماً ... وله مصنفات جليلة"، نقل عنه معلومات كثيرة فيما يخص التراجم العارضة في كتابه، ورغم ذلك فان ابن خلكان لم يسلم من أبي الفداء فقد انتقده في أكثر من موضع وعاب عليه بانه لم يطلع على كتاب "المغرب في حلي أهل المغرب"، وإنّ معلوماته التي دوّنها عن تجارب دوران الأرض في عصر المامون غير دقيقة، وأورد أخطاء بعض الأسماء والأماكن في كتابه وفيات الأعيان، ويظهر أنه لم يكتف في النقل من هذا الكتاب "وفيات الاعيان"، بل كانت لديه مجموعة من اوراق كتبت بخط ابن خلكان فاشار الى ذلك بقوله: "ونقلت ذلك من مجموع بخط القاضي شمس الدين بن خلكان[2]"، كما أشار أبو الفداء إلى أبن خلكان في كتاب "تقويم البلدان" (6) مرات فيما يخص مواقع المدن والقرى أسوان وأرزن وقاليقلا ودولاب وغيرها [3].

(1) المصدر نفسه: 177/3.

(2) أبو الفداء، المختصر: 71/1، 49/2، 177/3.

(3) أبو الفداء، تقويم البلدان: 113 – 429.

26. بن ديصان، عبد الله القداح بن ميمون كان حيا قبل سنة "280هـ /893 م"، صنف كتاب "الميزان في نصرة الزنادقة"، وقد اعتمده ابو الفداء مصدرا في مكان واحد واختصر منه معلومات اختصت بأصل الفاطميين ونسبهم.
27. الرَّازِي، أَبُو الفَتْح سليم بن أيوب بن سليم "ت447 هـ/ 1055 م" كان عالماً بالفقه صنف كتاب "غريب الحديث"، و"الإشارة"، أشار إليه أبو الفداء في المختصر فيما يخص ترجمة القاسم بن القفال الشاشي [1].
28. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر "660هـ/1261"، أشتهر في علوم اللغة والفقه والتفسير والحديث والأدب والتصوف، صنف مصنفات عديدة منها: "تحفة الملوك في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة"، و"روضة الفصاحة"، و"حدائق الحقائق"، و"دقائق الحقائق" في التصوف، و"معاني المعاني"، و"كنز الحكمة" في الحديث النبوي الشريف، و"أسئلة القرآن وأجوبتها"، و"أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل"، و"الأمثال والحكم"، ومن أهم مؤلفات الرازي كتاب:"مختار الصحاح" في اللغة، أشار إليه أبو الفداء، ونقل منه نصاً واحداً فقط، فيما يخص مدينة ماردة التي تقع في جنوبي نهر بطليوس[2].
29. أبن أبي الدم، شهاب الدين ابراهيم بن عبد الله بن علي بن عبد المنعم الحموي "ت642هـ/1244م" ترجم له أبو الفداء أثناء الإشارة إلى وفاته وقال بأنه كان قاضياً لمدينة حماة كما نعته بالحموي، صنف أبن أبي الدم مصنفات عديدة، منها: "أدب القاضي" ويسمى أيضاً "الدرر المنظومات في الأقضية والحكومات" حقق أكثر من مرة أهمها على شكل أطروحة دكتوراه من قبل محي هلال السرحان ونشرته وزارة الأوقاف العراقية سنة 1984، وكتاب "تدقيق العناية في تحقيق الرواية"، حقق ونشر أكثر من مرة كرسالة ماجستير في كلية العلوم الاسلامية في الخروبة في الجزائر سنة 1992، و"التاريخ

(1) المصدر نفسه: 116/2.

(2) أبو الفداء، تقويم البلدان: 173.

الإسلامي المختصر"، تم تحقيقه من قبل أستاذنا الدكتور جزيل عبد الجبار الجومرد في جامعة سانت اندروز، المملكة المتحدة، اسكوتلندا، 1984، و"التاريخ المظفري" حقق ونشر من قبل حامد زيان غانم زيان نشرته: دار الثقافة 1989م، وقد نقل أبو الفداء نصوصاً من كتابه الأخير بلغت (5) نصوص، وأشار إلى اسم المؤلف والكتاب في قوله: "قال القاضي شهاب الدين بن أبي الدم في تاريخه "المظفري" كما نعته بـ "التاريخ الكبير المظفري"، ونقل عنه اخبار السيرة النبوية ونص الكتاب الذي اصدره الخليفة المعتضد بالله بخصوص معاوية بن أبي سفيان وولده يزيد، وأبطال ديوان المواريث، ومقتل صمصام الدولة بن عضد الدولة، لكنه لم ينتفع من الروايات التي عاصرها ابن ابي الدم، وهي ذات قيمة تأريخية كبيرة [1].

30. السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، (ت 562هـ / 1166م)، ترجم له أبو الفداء في كتابه المختصر وقال عنه بأنه: "كان مكثراً من سماع الحديث، سافر في طلبه إلى ما وراء النهر، وسمع منه ما لم يسمعه غيره" وأنتقد أبن الجوزي الذي تجاوز عليه، صنف مصنفات عديدة منها: "ذيل تأريخ بغداد"، و"الأخطار في ركوب البحار"، و"أدب الإملاء والاستملاء"، و"الأمالي"، و"تاريخ مرو"، و"دخول الحمام"، "فضل الشام"، و"قواطع الأدلة في أصول الفقه"، و"مقام العلماء بين يدي الأمراء"، و"الأدب في استعمال الحس"، و"سلوة الأحباب ورحمة الأصحاب"، و"التحبير في المعجم الكبير"، و"الصدق في الصداقة"، وأهم كتبه هو كتاب: "الأنساب" الذي كان مصدراً من مصادر أبي الفداء في كتابه "تقويم البلدان"، وهو كتاب كبير في (8) مجلدات، حقق من قبل عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره طبع طبعات عديدة منها: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن سنة 1962، ويعد كتاب الأنساب من المصادر الجغرافية والتأريخية المهمة وتوثيقه للبلدانيات وأسماء المدن ومواقعها، وتراجم العلماء

(1) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر: 57/2، 134، 196، 173/3.

والمحدثين من خلال تطواف السمعاني ورحلاته في بلاد ما وراء النهر وفارس والعراق وبلاد الشام والحجاز رتبه على حروف المعجم، وضمن هذا المنهج ترجم للعلماء على أساس البلدان، والقبائل، والمذاهب، والحرف، أشار أبو الفداء إلى إسم السمعاني (23) مرة قائلاً: "فيما يظن السمعاني"، " فيما " قال السمعاني"، " كما ذكره السمعاني"، " قال السمعاني فيما حكاه عن الخطيب " البغدادي، " كما ضبطه أبو سعيد السمعاني"، وذكر كتاب الأنساب (16) مرة منها قوله: " كما ذكره السمعاني في كتاب الأنساب"، ويقول: "كتاب الأنساب للسمعاني"، و"إني رأيت هذا النقل في الأنساب"، و"قال في الأنساب"، ونقل أبو الفداء عن السمعاني نصوصاً كثيرة منها: مشاهدات السمعاني العيانية أثناء رحلاته وتنقلاته في البلدان والأماكن فيما يخص: بلاد الشام وفارس واليمن والجزيرة الفراتية وديار بكر وبغداد وتكريت وسمرقند وغيرها [1].

31. ابن سينا، علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي "427هـ / 1037م"، صنف مئات الكتب، ترجم له أبو الفداء ترجمة طويلة وتابع أخباره وأشار إلى كتابه "طبيعيات الشفاء"، ونقل منه نصاً فيما يخص وجود مادة الحديد الصلب في جورجان [2]، وقد طبع هذا الكتاب من قبل الهيأة العامة لشؤون المطابع الأمرية في القاهرة.

32. الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس المطَّلِبيّ القرشيّ "ت204هـ / 820م" وهو ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي، ومؤسس علم أصول الفقه، ويعد إمام في علم التفسير وعلم الحديث، قال فيه الإمام أحمد: "ان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس"، وقيل أن له مصنفات كثيرة في الحديث وأحكام القرآن وبيان فرض الله عز وجل وكتاب صفة الأمر والنهي، وله كتاب في الطهارة والصلاة، والزكاة والحج، والنكاح والطلاق واللعان والنفقات وغيرها كثيرة

(1) أبو الفداء، المختصر: 339/1؛ تقويم البلدان: 231، 265، 294، 340 – 564.

(2) المصدر نفسه: 161/2.

وهي معروفة لدى الناس، أشار أبو الفداء إلى أسم الشافعي أكثر من (80) مرة ونقل عنه نصوصاً كثيرة وترجم له ولذريته واصحابه ولتلاميذه ومن أتبع مذهبه، ويرجع أهتمام أبو الفداء بالشافعي لكونه يحمل نفس المذهب كغيره من أفراد الأسرة الايوبية [1].

33. الشريف العابد، محمد بن علي بن الحسين توفي قبل سنة "400هـ/1009م"، يرجع نسبه الى جعفر الصادق، صنف كتاباً في التاريخ سمي بـ "تاريخ الشريف العابد"، فُقد هذا الكتاب وقام بجمعه عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، وأطلق عليه اسم "المحفوظ من تاريخ الشريف العابد" في نسب مؤسسي الدولة الفاطمية، وبدء الدعوة الاسماعلية وأخبار الدعاة والقرامطة "وطبع من قبل دار المحجة البيضاء ونشر بتاريخ 27/8/ 2019 من قبل ملتقى الواحتين في مجلدين، أشار اليه مرة واحدة فيما يخص المكان الذي وقعت فيه المعركة التي حدثت بين جيش الخليفة المكتفي بالله والقرامطة في قرية تمنع الواقعة بين حماة وحلب [2] 0

34. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد "ت 548هـ/1153"، ترجم له أبوالفداء، وقال: "كان إماماً في علم الكلام والفقه"، صنف عدة مصنفات منها: "نهاية الإقدام في علم الكلام"، و"الإرشاد إلى عقائد العباد"، و"تلخيص الأقسام لمذاهب الأنام"، و"مصارعات الفلاسفة"، و"تاريخ الحكماء"، و"المبدأ والمعاد"، و"تفسير سورة يوسف"، و"مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار"، و"الملل والنحل"، والكتاب الاخير اعتمد عليه أبو الفداء في مواضع عديدة، منها: في اشاراته عن الصابئة واليهود والنصارى وأصناف العرب قبل الإسلام [3].

35. الشيرازي، القاضي قطب الدين محمود بن مسعود "ت 710هـ / 1311م"، ترجم له أبو الفداء وقال عنه "كان إماماً مبرزاً في علوم عديدة مثل: العلم

(1) المصدر نفسه: 39/2 – 86.

(2) أبو الفداء، المختصر: 384/1.

(3) المصدر نفسه: 36/1 – 98، 27/3 – 28.

الرياضي والمنطق، وفنون الحكمة، والطب، والأصوليين وله مصنفات عديدة منها: "نهاية الإدراك في الهيئة"، و"تحفة السامي في الهيئة أيضاً"، و"شرح مختصر ابن الحاجب في الفقه"، ومصنفاته وفضائله مشهورة، نقل منه أبو الفداء نصاً واحداً في "تقويم البلدان" عن طول وعرض بحر الخزر [1]"

36. ابن صاعد، أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي القرطبي "462 هـ / 1070م"، صنف عدة مصنفات أهمها: كتاب "طبقات الأمم"، حقق من قبل الأب لويس شيخو وطبع في المطبعة الكاثولوكية للآباء اليوسعيين بيروت 1912م، وقد وصف حاجي خليفة هذا الكتاب بأنه "صغير الحجم كثير النفع[2]"، لم يكن هذا الكتاب في حوزة أبي الفداء، بل نقل منه نصاً واحداً في مختصره عن طريق أبي سعيد المغربي فيما يخص الأصول التأريخية للمصريين القدامى قال فيه: "ابن سعيد المغربي، ونقله من كتاب صاعد في طبقات الأمم إن أهل مصر كانوا أهل ملك عظيم في الدهور الخالية والأزمان السالفة، وكانوا أخلاطاً من الأمم ما بين: قبطي، ويوناني، وعمليقي [3]".

37. الصقلي، محمد بن محمد بن ظفر "ت 565هـ /1169م"، ترجم له أبو الفداء وقال عنه: "لم يزل يكابد الفقر حتى مات " في حماة، وكان من كبار العلماء المسلمين، صنف مصنفات كثيرة، منها: "سُلوان المُطاع في عُدوان الأتباع"، و"قوانين الحكمة"، و"نوادر أخبار السَّلاطين"، و"شرح مقامات الحريريّ"، و"الاشتراكُ اللُّغويُّ"، و"الاستنباط المعنويُّ"، و"مالك الأذكار في مسالك الأفكار"، و"أساليب الغاية في أحكام آية"، و"أعلام النُّبُوَّة"، ومن بين كتبه هو كتاب "خير البِشر بخير البَشَر"، ويظهر ان هذا الكتاب لم يكن في حوزة ابي الفداء، بل كان من المصادر المعتمدة لأبي الفداء فنقل عنه نصاً عن

(1) أبو الفداء، تقويم البلدان: ص 35.

(2) كشف الظنون: 420/1.

(3) ابو الفداء، المختصر: 56/1.

الشهرستاني فيما يخص التوراة ورفضها ليوم القيامة والجنة والنار والخير والشر [1]0

38. الصنهاجي، أبو شعيب أيوب بن سعيد حوالي سنة "561 هـ/1165م"، عن عمر يناهز(98) عامًا، ودُفن في مدينة أزمور، ويتوافد على ضريحه ـ الذي أمر ببنائه السلطان محمد الثالث بن عبد الله ـ الكثير من الزوار هو صوفي مغربي عاصر الدولة المرابطية، وعاش في مدينة أزمور، ارتحل إلى عدة بلدان لطلب العلم، منها: أغمات وأريكا وفاس وأزمور والأندلس، كما زار إشبيلية وقرطبة واتصل بالقاضي عياض، وتتلمذ على كبار شيوخ التصوف والعلم في عصره منهم: أبو علي المنصور بن إبراهيم المسطاسي دفين أزمور المعروف بسيدي علي بن غبث، أشار اليه أبو الفداء في "تقويم البلدان" فيما يخص مدينة أزمور وموقعها على البحر المتوسط وهي مسقط رأس أبو شعيب، وعن مملكة بجاية شرقي مدينة قسنطينة في الجزائر [2].

39. الصنهاجي، عزالدين أبو غريب عبد العزيز بن شداد بن تميم "ت 509 /1215" صنف كتب عديدة فقدت ولم تصلنا منها: كتاب "الجمع والبيان في أخبار القيروان"، أشار أليه أبو الفداء ونقل منه (3) نصوص فيما يخص مقتل ابي عبد الله المهدي فقال: إنّ مقتله كان سنة "292هـ/904م، "وهي "الأصح عندي" مقارنة مع المصادر الأخرى، كما نقل نصاً آخراً فيما يخص دولة الصنهاجية ودخول يوسف بن تاشفين إلى غرناطة، كما نقل نصاً أخراً فيما يخص عبد المؤمن وفتحه لتونس سنة "554هـ /1159م"، كما أشار أبو الفداء إلى كتاب الصنهاجي الآخر وهو "تاريخ جزيرة صقلية"، ونقل منه نصاً واحداً فيما يخص تولي الحكم في صقلية من قبل الحسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي سنة "336هـ/ 947م"[3].

(1) المصدر نفسه: 87/1، 49/3.

(2) أبو الفداء، تقويم البلدان: ص 125، 137.

(3) المصدر نفسه : 66/2، 96، 198، 23/3.

40. الطوسي، أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن الطوسي "672 هـ/1273م"، صنف في علوم الفلك والهندسة والجبر والمنطق والعقيدة والبصريات، ترجم له أبو الفداء، وقال بأن: "له مصنفات عديدة كلها نفيسة"، منها إقليدس"، والمجسطي"، و"شرح الإشارات"، و"التذكرة في الهيئة"، والكتاب الأخير أشار إليه أبو الفداء ونقل عنه في كتاب "تقويم البلدان" فيما يخص جبل وجزر القمر، وموقع بحر ورنك على البحر الشمالي وشروق الشمس في القسم الشمالي من الكرة الارضية [1].

41. أبن عبد البر، أبو عمرو يوسف النمري "ت 463هـ / 1071م" ترجم له أبو الفداء وتابع أخباره، ولقبه بـ " حافظ الغرب... أمام وقته بالحديث " صنف عشرات الكتب منها: " الاستيعاب في أسماء الصحابة، وكتاب "التمهيد على موطأ مالك"، و"الدرر في المغازي والسير"، و"بهجة المجالس"، نقل عنه أبو الفداء احاديث نبوية عن أبي بكر الصديق وعن عمر بن الخطاب وجعفر الصادق رضي الله عنهم وغيرهم كما نقل عنه نصوصاً تأريخية أخرى وثلاثة ابيات من شعر زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم [2].

42. ابن العديم، عمر بن احمد بن أبي جرادة العقيلي "ت 660هـ /1261م"، كان مؤرخاً وفقيهاً ومحدثاً وشاعراً وسفيراً، ترجم له أبو الفداء وتابع أخباره حينما توجه رسولاً إلى الخليفة الناصر لدين الله وإلى مصر كذلك، ونقل له أبياتاً من الشعر فيما يخص حلب ودمارها من قبل المغول وحزن أبن العديم عليها، وقال عنه " انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة، وكان فاضلاً كبير القدر"، صنف كتب عديدة منها: "الإنصاف والتحري"، و"الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب، و"تذكرة ابن العديم"، و"كتاب الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري، و"كتاب في الخط وعلومه ووصف آدابه وأقلامه وطروسه"، و"كتاب ضوء الصباح في الحث على السماح"، و"كتاب الأخبار المستفادة في ذكر بني أبي جرادة"، و"كتاب الدراري في ذكر الذراري"،

(1) أبو الفداء، تقويم البلدان: 5، 8، 35، 65.

(2) أبو الفداء، المختصر: 187/2 – 188.

و"بغية الطلب في تاريخ حلب"، وأهم كتبه التي أعتمد عليها أبو الفداء هو: كتاب "زبدة الحلب في تأريخ حلب"، نقل عنه نصوصاً عديدة فيما يخص مقتل محمود بن نصر حاكم حلب سنة "468هـ/1075م" [1].

43. العزيزي، الحسن بن أحمد المهلّبيّ "ت 380هـ/990م" [2] صنف كتاب "المسالك والممالك في التاريخ" لصاحب مصر العزيز أو المعز لدين الله الفاطمي "365هـ/975م"، لهذا سمي كتابه بالعزيزي، لكن هذا الكتاب فُقد ولم يصل إلينا، وكان أبو الفداء قد نقل منه نصوصاً كثيرة بلغت ما يقارب (200) نصاً مهماً " وكان ينعته أثناء الإشارة إليه بالقول " قال العزيزي أو قال المهلبي أو قال العزيزي المهلبي"، وقد قام السيد تيسير خلف بجمع نصوص الكتاب من المصادر الجغرافية ومنها: كتاب "تقويم البلدان" وعلق عليه ووضع حواشيه ونشرت دار التكوين هذا الكتاب في دمشق سنة 2006، في (194) صفحة حجم (24 سم).

44. العماد الكاتب، محمد بن محمد بن حامد بن عبد الله الاصفهاني "597هـ / 1200م"، ترجم له أبو الفداء وقال: "كان فاضلاً في الفقه والأدب والخلاف والتاريخ وله النظم البديع والنثر الفائق"، صنف مصنفات عديدة منها: و"وخريدة القصر وجريدة العصر"، و"الفتح القسي في الفتح المقدسي"، "البرق الشامي"، نقل عنه أبو الفداء نصوصاً في كتابه "المختصر في أخبار البشر"، فيما يخص وفاة صلاح الدين الأيوبي قال فيها: "مات بموت السلطان الرجال، وفات بوفاته الأفضال، وغاضت الأيادي، وفاضت الأعادي، وانقطعت الأرزاق، وادلهمت الآفاق، وفجع الزمان بواحده وسلطانه، ورزئ الإسلام بمشيد أركانه[3]"، كما نقل نصاً للعماد الكاتب عن أبن خلكان فيما

(1) أبو الفداء، المختصر: 92/2 – 93، 215/3.

(2) ينظر البغدادي: هدية العارفين ط، استنبول (اعادت طبعه بالاوفست مكتبة المثنى بغداد1951)272/1.

(3) لم يرد هذا النص في كتب العماد الكاتب، بل ورد في مصادر أخرى ونسب للعماد الكاتب أيضاً منها: على سبيل المثال النوادر السلطانية لابن شداد: ص365؛ العمري، مسالك الابصار: 167/27.

يخص ترجمة إسماعيل بن القاسم القالي اللغوي، كما نقل أبو الفداء نصاً عنه في "تقويم البلدان" فيما يخص مدينة قاليقلا فقال هي: "أرزن الروم"[1].

45. الغزالي، ابو حامد محمد بن محمد الغزالي "ت505هـ/1111م" صنف عشرات المؤلفات، ترجم له أبو الفداء، ولقبه "بحجة الإسلام"، وأشار إلى مؤلفاته المفيدة المشهورة، منها: "البسيط في الفروع"، و"الوسيط"، و"الوجيز"، و"المنخول في علم الأصول"، و"المنتخل في علم الجدل"، فقد اقتبس أبو الفداء من كتابه "الرهن" نصاً فيما يخص ترجمة أبي بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي الفقيه الشافعي، كما أشار أبو الفداء إلى "المنقذ من الضلال"، ونقل منه نصاً فيما يخص تكفير الغزالي لإبن سينا والفارابي [2].

46. أبن الفقيه، أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الهمذاني، أبو بكر، ابن الفقيه "توفي في حدود سنة "340 هـ / 951 م"، كان عالماً في العلوم الجغرافية صنف كتاب "مختصر كتاب البلدان"، نقل منه أبو الفداء نصاً واحداً فيما يخص جزيرة العرب وتقسيمها إلى خمسة أقسام وهي: تهامة، ونجد، وحجاز، وعروض، ويمن، نقلاً عن المدائني [3] ".

47. القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي "ت 656هـ/1256" المحدث والفقيه والمؤرخ الأندلسي صنف عدة كتب أهمها: "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم"، و"تلخيص صحيح مسلم، و"كشف القناع عن حكم مسائل الوجد والسماع"، و"لإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام"، ويظهر أن له كتاب أشار إليه أبو الفداء بعنوان "تاريخ مصر" أعتمد عليه أبي الفداء ونقل عنه نصاً عن أبي سعيد المغربي فيما يخص أحد ملوك الفراعنة والعمالقة وأصولهم القبطية[4].

---

(1) أبو الفداء، المختصر: 87/3؛ تقويم البلدان: 279.

(2) المصدر نفسه: 116/2، 162، 225.

(3) أبو الفداء، تقويم البلدان: ص1، 61.

(4) أبو الفداء، المختصر، 57/1.

48. القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف "ت 646هـ /1248م"، ولد في قفط في صعيد مصر، استقر في حلب وتوفي فيها، وتولى قضاءها ثم وزارتها في العهد الأيوبي، ولقب بـ "الوزير الأكرم"، ولم يكن له دار ولا زوجة، من تصانيفه: "انباه الرواة على انباء النحاة" ثلاثة مجلدات، و"الدر الثمين في أخبار المتيمين"، و"أخبار مصر"، في ستة أجزاء، و"تاريخ اليمن"، ولكن أهم مصنفاته التي أعتمدها أبو الفداء في كتابه المختصر في أخبار البشر هو كتاب: "اخبار العلماء بأخبار الحكماء"، نقل عنه فيما يخص علماء الفلك اليونان: طيموخارس، وفرفوريوس، وفلوطيس، ومورسطس [1].

49. كتاب الأطوال والعروض للفرس، يعد هذا الكتاب من الكتب المجهولة المؤلف، والعجيب إن أبا الفداء نقل عن هذا الكتاب نصوصاً كثيرة، ولم يشر إلى إسم المؤلف بل كان يردد أسم الكتاب بهذا الشكل "كتاب الاطوال والعروض للفرس"، أو يكتفي بالقول "كتاب الأطوال"، ويظهر إن هذا الكتاب قد سبق عصر أبي الفداء، ونقل عنه الملك الأفضل العباس بن علي بن داوود بن يوسف بن عمر بن علي ابن رسول "ت721هـ/1222م" خامس ملوك الدولة الرسولة في اليمن المعاصر لأبي الفداء [2]، ولم يحصل كتاب الأطوال والعروض " على شهرة واسعة، وأهمل من قبل الجغرافيين خاصة ياقوت الحموي، بمعنى إنه إحتمال صنف بعد فترة ياقوت، فاشار إليه أبو الفداء في مقدمته، وأعده من مصادره المهمة، فقد نقل منه معلومات تخص خطوط الطول ودوائر العرض بلغت أكثر من (54) نصاً، عن مواقع المدن في أفريقيا وبلاد الشام وفارس والعراق وغيرها.

50. كوشيار بن لبان الجيلي، صنف مصنفات عديدة في علوم الرياضيات والفلك والطب والهندسة منها تحويل المواليد، احكام الاعوام وعلم الادوار في احكام النجوم، واسرار النجوم، والمدخل في علم النجوم، والادوية المفردة والمركبة، وكتاب الالوف في الهياكل والبناء، و"اللامع في امثلة الزيج الجامع

(1) المصدر نفسه : 85/1 – 86.

(2) جدول مخطوطة المكتبة الوطنية الفرنسية برقم " Arabe" 5968 دستور المنجمين.

" الذي صنفه سنة "459هـ/ 1066م"[1] يحتوي على جداول، نقل عنه أبو الفداء الفترة الزمنية بين الطوفان والهجرة النبوية الشريفة وقدرها بثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وعشرون سنة [2].

51. أبن المبارك، عبد الله بن واضح الحنظلي التميمي "ت 181هـ / 797م"، رحل لطلب العلم إلى اليمن ومصر وبلاد الشام والجزيرة والبصرة والكوفة، لا تزال أغلب كتبه مخطوطة سوى كتاب "الزهد والرقائق" في الجهاد، نقل عنه أبو الفداء نصاً واحداً فيما يخص تسمية مدينة بغداد، فقال إنها بغداد وليس "بغداذ [3]".

52. المدائني، أبو الحسن علي بْن مُحَمَّد بْن عَبْد اللَّه بْن أَبِي سيف أَبُو الحسن "ت 225 / 839م"، أصله من البصرة، سكن المدائن جنوب بغداد فنسب إليها، اشتهر بالأدب والتاريخ، وصفه الذهبي: وقال عنه: "العلامة الحافظ الصادق [4]" أشتهر في معرفة السير والمغازي والأنساب وأيام العرب قيل أن مصنفاته متنوعة تجاوزت (239) مصنفاً في أخبار النبي عليه الصلاة والسلام وقريش والخلفاء الراشدين والفتوحات وأخبار العرب والشعراء والخيل، وغيرها، نقل عنه أبو الفداء نصاً واحداً في "تقويم البلدان" عن أبن الفقيه الهمداني فيما يخص جزيرة العرب وتقسيمها إلى خمسة أقسام هي: تهامة، ونجد، وحجاز، وعروض، ويمن، ولكن لم يشر إلى الكتاب الذي أعتمده في النقل منه [5].

53. كما نقل منه أبو الفداء نصاً، ولم يشر إلي إسمه صراحة، بل قال عنه ما يلي: إِني وجدت في أوراق قد نقلت من تاريخ ابن حنون الطبري، وهو تاريخ ذكر فيه ملوك مصر في قديم الزمان، ولعله يقصد به المدائني وتأريخه الكبير الذي يسمى "تاريخ الخلفاء الكبير [6]، نقل منه نصاً فيما يخص ملوك مصر قبل

(1) ينظر، ابن النديم: الفهرست، 383/1، 384، حلجي: خليفة 964/2، 968، 978

(2) أبو الفداء، المختصر: 125/1.

(3) أبو الفداء، تقويم البلدان: ص293.

(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء: 446/8.

(5) أبو الفداء، تقويم البلدان: 78.

(6) الصفدي، الحسَن بن أبي محمّد عبد الله بن عمر بن محاسن بن عبد الكريم الهَاشِمِي " توفي بعد: " 717 هـ/1317"، نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك " =

الطوفان قال فيه: "ثم ملك مصر بعد دلوكة صبي من أبناء أكابر القبط، كان يقال له دركون بن بكتوس[1] ".

54. أبو مدينة شعيب، أبن الحسن الأنصاري المغربي "ت 589 هـ/1193م"، كان متصوفاً وفقيهاً وشاعراً، لقبه أبو الفداء: بـ "الشيخ شعيب"، كما لقب بـ "شيخ الشيوخ"، و"معلم المعلمين"، وله الآن مسجد بأسمه في تلمسان شيد قديماً ويزار من قبل العامة ويقام فيه المولد النبوي الشريف، صنف مصنفات عديدة منها: "بداية المريدين"، و"أنس الوحيد"، و"تحفة الأريب"، و"ديوان شعر"، نقل منه أبو الفداء نصين فيما يخص مملكة بجاية ومدينة أزمور أشار إليه حاجي خليفة ولقبه بـ "الشيخ العلامة[2] ".

55. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي "ت 346هـ /957م"، صنف مصنفات عديدة منها: "مروج الذهب"، و"أخبار الزمان ومن أباده الحدثان"، و"أخبار الخوارج"، و"ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور"، و"الرسائل"، و"أخبار الأمم من العرب والعجم"، و"خزائن الملوك وسرّ العالمين"، و"المقالات في أصول الدينات"، و"البيان"، و"المسائل والعلل في المذاهب والملل"، و"الإبانة عن أصول الديانة"، و"التنبيه والإشراف"، والكتاب الأخير أشار إليه أبو الفداء، ونقل منه روايات عديدة فيما يخص أسرة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، وغنائم المسلمين، وغزوة بني المصطلق، ونزول الآية القرآنية التي اجازت التيمم، كما نقل نصاً في كتاب "تقويم البلدان" عن الزنج في أفريقيا، وقتالهم على البقر، وقال: إنّ الخيل لا تعيش عندهم [1].

56. مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب "ت 421هـ/1030م"، صنف مصنفات عديدة أهمها: "تجارب الأمم وتعاقب الهمم" وكان هذا الكتاب من

=

يؤرخ من عصر الفراعنة والأنبياء"، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 2003 م: 11/1.

(1) أبوالفداء، المختصر: 58/1.

(2) أبو الفداء، تقويم البلدان 125 – 137؛ كشف الظنون: 81/1؛

https: //ar.wikipedia.org/wiki

بين المصادر المهمة التي أشار اليها أبوالفداء ونقل منه روايات عديدة بتصرف لكنه لم يشر اليه سوى اشارات قليلة قد لا تتجاوز أكثر من أربعة مواضع أهمها ترتيب الفترة التي سبقت الإسلام، وملوك الفرس وابادة اليهود في القدس من قبل نبوخذ نصر، وقد ذكر في نهاية حديثه قائلا: "من كتاب تجارب الامم لمسكويه [1]".

57. ابن مطرف، أحمد بن مطرف بن إسحاق بن حماد الكناني "ت 413هـ / 1022م"، صنف كتاب "الترتيب في اللغة"، أشار إليه أبو الفداء في "تقويم البلدان" ونقل عنه فيما يخص موقع جبل القمر في أفريقيا، ومنطقة ألجفار التي تقع بين بلاد الشام ومصر قرب العريش وقال عنها: هي: "ذات عمارة بقدر قرية"، وسميت الجفار لأن الدواب تجفر فيها وتهلك من السير لبعد مراحلها ومشقة السفر[2].

58. المنازي، أبونصر أحمد بن يوسف "ت 437هـ /1045م"، كان من أعيان الفضلاء والشعراء كان وزيراً في ديار بكر، جمع كتباً كثيرة وأوقفها على جامعي ميافارقين وآمد، وهي إلى عصر المماليك كانت موجودة بخزائن الجامعين حسب قول أبي الفداء الذي ترجم له، ونقل عنه أبياتاً من الشعر تغنى بها الشاعر بوادي بزاغا في الجزيرة الفراتية، وصحح أبو الفداء ما أشارت اليه المصادر التاريخية فيما يخص كلمة المنازي وقال بأنها: "منسوبة إلى مناز جهر مدينة عند خرتبرت، وهي غير مناز كرد التي من أعمال خلاط [3].

59. النسوي، محمد بن احمد النسوي "ت 639هـ/1241م"، كان كاتب الانشاء للسلطان جلال الدين منكبرتي ذكره أبو الفداء وترجم له وتابع أخباره وقال: إنّه صنف كتاب "تاريخ ظهور التتر" ونقل منه نصوصاً فيما يخص مملكة الصين وطولها واتساعها وحدودها وطبيعة الحكم المغولي فيها، كما نقل

(1) أبو الفداء، المختصر: 31/1 – 56.

(2) أبو الفداء، تقويم البلدان: ص 64، 109.

(3) ابو الفداء، المختصر: 168/3.

نشاطات خوارزم شاه وولده جلال الدين منكبرتي لملازمة النسوي له في "جميع سفراته وغزواته"[1].

60. أبن منقذ، أسامة بن مرشد بن علي بن نصر الكتاني "ت 584هـ/1188م"، كان من المقربين للسلاطين والملوك، وقاد حملات عسكرية عديدة ضد الصليبيين، صنف مصنفات عديدة، منها: "لباب الآداب، و"البديع في نقد الشعر"، و"المنازل والديار"، و"النوم والأحلام"، و"أخبار النساء"، و"العصا"، و"ديوان شعر"، ومن أهم كتبه كتاب "الاعتبار" الذي دّون فيه سيرته وتُرجم إلى لغات عديدة منها: الفرنسية والألمانية، ويظهر أن أبا الفداء أعتمد على هذا الكتاب، ونقل منه نصوصاً فيما يخص نشاطات أسرة بني منقذ التي كانت حاكمة في مدينة شيزر التي تقع على بعد (30كم) شمال غرب مدينة حماة في سوريا في كتابه "المختصر في أخبار البشر"، كما أمتدح أسامة بن مرشد، وأعده من أفضل الرجال في تاريخ اسرة بني منقذ، فقال: "ونحن نورد أخبار بني منقذ محققة حسبما نقلناها من تاريخ مؤيد الدولة أسامة بن مرشد، وكان المذكور أفضل بني منقذ"، علماً بأن سيرة أسامة السياسية والعسكرية والثقافية والعلمية جداً شبيهة بسيرة أبي الفداء، لهذا أن أبا الفداء كان معجباً به رغم الفارق الزمني بينهما الذي يبلغ أقل من قرنيين من الزمان، كما أن لإسامة كتاب آخر أسمه: "القلاع والحصون" اطلع عليه أبو الفداء وأشار إليه في "تقويم البلدان"، ونقل عنه نصاً فيما يخص حصن المرقب، وقال: بأن هذا الحصن شيد من قبل المسلمين [2].

61. النضر بن شميل، أبو الحسن بن خرشة بن يزيد بن كلثوم البصري، "ت 203 هـ /818م"، عرف قاضياً ولغوياً ومحدثاً وفقيهاً، صنف عدة مصنفات منها: كتاب "غريب الحديث"، و"المدخل إلى كتاب العين"، و"وخلق الفرس" وغيرها، نقل عنه أبو الفداء نصاً فيما يخص معنى كلمة نجد وحدودها الفاصلة في شبه الجزيرة العربية [3].

(1) المصدر نفسه: 168/3.

(2) المصدر نفسه: 457/1، 514؛ تقويم البلدان: ص 255.

(3) أبو الفداء، تقويم البلدان: 79.

62. ابن هشام محمد بن عبد الملك "ت 218هـ/833م"، صنف مصنفات عديدة، أهمها كتاب "السيرة النبوية" نقل منه أبو الفداء عدداً من الروايات التي اختصت بالسيرة النبوية والصحابة الكرام وبعض الاحيان يستفيد من فحوى رواياته ويتجاهل اسمه ويعزز آراءه بالقول: "بأجماع العلماء[1]".

63. أبن واصل الحموي، جمال الدين محمد بن سالم "ت 697هـ /1297م" صنف مصنفات عديدة أهمها: "اللباب"، و""مختصر الاغاني"، و"عروض ابن الحاجب"، و"نخبة الفكر في المنطق"، و"التاريخ الصالحي"، و"مفرج الكروب في اخبار بني ايوب "[2]، ولم يشر أبو الفداء الى اسم المصدر الذي نقل منه، بل كان يكتفي في القول: "القاضي جمال الدين بن واصل"، لكنه من المؤكد إنّه كان ينقل من "التاريخ الصالحي"، واتخذه مصدراً لتدوين تاريخ حماة في الفترة التي سبقت الإسلام وتلتها، وأخبار معاوية بن أبي سفيان وعمر بن عبد العزيز والوليد بن يزيد، كما كان ينقل من كتابه الثاني "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" مشاهدات ابن واصل العيانية حينما سافر الى القدس ورأى "القسوس وقد جعلوا على الصخرة قناني الخمر" وجهود ابن واصل في صناعة الكرة الفلكية في قلعة حماة، كما إنّ ابا ألفداء يعد واحد من تلامذة ابن واصل، فنقل عنه روايات شفهية سمعها منه، وأكد ذلك بقوله: "حكى القاضي ابن واصل"، وأشار إلى بعض الروايات التي تخص دخول هولاكو الى بغداد وسقوط الدولة العباسية [3].

64. الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي "ت 207هـ / 823 م"، قال عنه الذهبي: "كان إلى حِفْظِه المُنْتهى في الأخبار والسير، والمغازي والحوادث وأيام الناس، والفِقْه[4]"، صنف مصنفات مختلفة في التاريخ

(1) أبو الفداء، المختصر: 115/1 – 119.

(2) أبو الفداء، المختصر: 115/1، 119، 223، 259، 262، 276، 303/2، 276، 277، 284.

(3) المصدر نفسه: 186/1 – 205، 136/2، 140/3، 173، 38/4.

(4) الذهبي، ميزان الأعتدال : 663/3.

والمغازي والطبقات وأخبار مكة، والفتوحات في العراق وافريقيا ومصر والأسكندرية، وفي التفسير والفقه وغيرها، نقل منه أبو الفداء نصاً في "تقويم البلدان" فيما يخص موقع الحجاز والمناطق المحيطة به ولم يشر إلى الكتاب الذي نقل منه، ومن المحتمل أنه نقل من كتاب "فتوح العراق"[1].

65. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله "ت626ه/ 1228م"، يعد ياقوت من أشهر الجغرافيين المسلمين في العصور الوسطى، فضلاً على إنه كان مؤرخاً وأديباً ولغوياً وخطاطاً وتاجراً رحل إلى مدن عديدة في بلاد فارس وعمان والموصل، وقطن مدينة بغداد وحلب وصنف مصنفات عديدة لا تزال مراجع مهمة في الجامعات العربية والإسلامية والعالمية، وقد أطلعت على كتبه بالتفصيل وأعدت قراءتها عدة مرات، وكنت أستمتع بها وأقدر صعوبة تأليفها في ذلك العصر، أهمها كتابه "معجم البلدان" الذي نال شهرة واسعة وطبع وترجم إلى لغات عديدة، و"المقتضب فى النسب"، و"معجم الشعراء"، و"المبدأ والمآل"، و"الدول"، و"مجموع كلام أبي علي الفارسي"، و"أخبار المتنبي"، و"الديارات"، ومن مصنفاته المهمة كتاب "المشترك وضعاً والمختلف صقعاً"، الذي كان واحداً من مصادر أبي الفداء في كتابه "تقويم البلدان"، فقد أشار إليه في مقدمته وأعده من الكتب المهمة "المؤلفة في تصحيح وضبط الأسماء ومواقع المدن"، فقد نقل منه نصوصاً مطولة بلغت (194) نصاً، كما أشار إلى إسم ياقوت (33) مرة، وكرر (25) مرة العبارة التالية: "قال ياقوت في المشترك"، ورغم إعجاب أبي الفداء في كتاب ياقوت الحموي ومعلوماته الجغرافية فأنه لم يترجم له في كتابه "المختصر في أخبار البشر" في حوادث سنة "626ه/1222م"، وهي السنة التي توفي فيها ياقوت الحموي [2].

(1) أبو الفداء، تقويم البلدان: 79.

(2) أبو الفداء، المختصر : 85/1 - 86.

66. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف بالكاتب "284هـ/ 897م"، عالماً ومؤرخاً وجغرافياً وشاعراً، رحل إلى بلاد أرمينية والهند ومصر والمغرب، صنف الكثير من المصنفات منها مصنفاته في "التاريخ"، وكتاب "البلدان" الذي أطلق عليه ابو الفداء "المسالك والممالك"، ويظهر ان هذا الكتاب قد أطلع عليه اثناء تصنيفه لكتاب "تقويم البلدان" فقال: "ووقعت على كتاب لأحمد بن أبي يعقوب الكاتب في المسالك والممالك"، وذكره أبو الفداء أكثر من (20) مرة في كتابه تقويم البلدان، ونقل منه نصوصاً فيما يخص الثناء على العراق وذم بلاد الشام ومصر ونقل عنه فيما يخص كاسان وفرغانة وخجندة وسمرقند وأسروشنة والشاش وبلخ ونسيابور والطوس وأمل وقومس والطاقان وهمدان وقم وقزوين والسيروان والصميرة وواسط والسلمية واسكندرونة والمصيصة وأذنة وحلب [1].

67. اليمني، عمارة بن علي بن زيدان الحكمي، "ت 569هـ / 1174م"، صنف مصنفات عديدة منها: "المُفِيد في أخبار زبيد"، و"النُّكت العصريَّة في أخبار الوزراء المصريَّة"، و"تاريخ اليمن"، ترجم له أبو الفداء، ونقل نصوصاً من كتابه الأخير عن نظام الحكم وحكام اليمن، ونقل أبياتاً من شعره عن طلائع بن رزيك وغيرها [2].

68. ابن يونس الحاكمي، أبو الحسن علي بن أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي "ت 399هـ/1008م"، والصدفي نسبة إلى "صدف": وهي قبيلة عربية من حمير في اليمن، نزلت وسكنت في مصر، "وهو من مشاهير الفلكيين العرب كانت له علاقة مع الحاكم الفاطمي الحاكم بأمر الله صنف له "الزيج الحاكمي" في أربعة مجلدات، وله جداول في كسوف الشمس وخسوف القمر ولنبوغه أجزل له الفاطميون العطاء، وأسسوا له مرصدا على جبل المقطم قرب الفسطاط في مصر، وأمره العزيز بالله

(1) أبو الفداء، تقويم البلدان: ص 226 – 501.

(2) أبو الفداء، المختصر: 24/2، 153، 35/3، 40،

الفاطمي بعمل جداول فلكية، فأتمها في عهد الحاكم بأمر الله، وسماها "الزيج الحاكمي"، اشتمل هذا الزيج على (81) فصلاً، وقد ترجمت بعض فصوله إلى اللغات الأجنبية وتقديرا لجهوده الفلكية، تم إطلاق اسمه على إحدى مناطق السطح غير المرئي من القمر، أشار إليه أبو الفداء ونقل عنه فيما يخص سمت القبلة وأرتفاع الشمس ومدينة الفسطاط في مصر، وترجم له في كتابه "المختصر في أخبار البشر" في حوادث سنة "399هـ/1008م"[1].

(1) أبو الفداء، تقويم البلدان: ص 119؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة 1985: 109/17.

التبر المسبوك في تواريخ أكابر الملوك

تأليف إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن
شادي أبو الفداء " 672 - 732هـ/ 1273 - 1331م

دراسة وتحقيق

الأستاذ الدكتور علي نجم عيسى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقدم المنزه عن الفناء والعدم، وصلواته على رسوله محمد خير بريته وعلى آله وصحبه الأبرار وبعد:

فأن كتاب "التبر المسبوك في تواريخ أكابر الملوك" تأليف إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادي أبو الفداء "672 - 732هـ/ 1273 - 1331م "صاحب حماة"، اعتمدنا في تحقيق هذه المخطوطة على نسخة محفوظة في مكتبة وزارة الأوقاف المصرية، الخزانة المركزية تحت رقم (547)، ونسخة مصورة بواسطة الميكرو فلم في دار الكتب والوثائق القومية في القاهرة بنفس الرقم، كتبت المخطوطة بخط النسخ، وإسم مؤلف الكتاب مكتوب بنسخة المخطوطة في الصفحة الأولى، كما وثق إسم المؤلف من قبل مفهرس المخطوطات.

والمخطوطة بدون مقدمة وعدد أوراقها (19) ورقة، قياس 17× 25 سم، في كل ورقة (10) أسطر، يكثر فيها الخطأ والشروحات في بعض منها خارجة عن الموضوع، مثل الورقة الأخيرة التي يبدو أنها من كتابة الناسخ يرجع تاريخها إلى عام "962هـ /1554م"، وموضوعها يخص الإمام علي بن ابي طالب مع الحسن البصري "رضي الله عنهما"، والكثير من هذه الهوامش والملاحظات بعيدة عن موضوع مخطوطة التبر المسبوك.

ويظهر من خلال عنوان المخطوطة "التبر المسبوك في تواريخ أكابر الملوك" بأنها عبارة عن مجموعة تراجم مختصرة، على شكل تذكرة تأريخية يحتاجها المؤلف بأعتباره ملكاً ومؤرخاً في حماة لحفظ هذه الأحداث والاستفادة منها، كما يستفيد منها غيره من الملوك والأمراء فيما يخص ملوك السلاجقة والأتابكة والأيوبيين والمماليك.

بدأ المؤلف كتابه من سنة "499هـ/1105م"، وهي السنة التي تسلطن فيها شمس الملوك دقاق السلجوقي، وانتهى سنة 742هـ/1341م، رغم ان ابا الفداء كانت وفاته سنة "732هـ/1331م"، وهذه الإضافة مثل الإضافات التي حدثت في كتاب "المختصر في أخبار البشر" التي أشرنا اليها أثناء حديثنا عن ذيول المختصر، وتكملة الأحداث التأريخية من قبل زين الدين عمر بن الوردي "ت 748هـ /1347" وغيره.

لم يلتزم ابو الفداء بالمنهج الحولي كما هو في المختصر، بل إن كتاب التبر المسبوك خاص بالوقائع التأريخية في متابعة تنصيب الملوك ووفياتهم، لهذا ينتقل بين السنوات خارج الترتيب الزمني، مثلاً في الورقة الأولى ذكر نزول الأفرنج على دمشق سنة 523ه/1128م، ثم يذكر بعدها تملك السلطان محمود دمشق سنة "511هـ /1117م ".

كما إنه لم يلتزم بموضوع تراجم الملوك أيضاً، بل أشار إلى بعض الحوادث منها: الحريق في سوق اللبادين ومأذنة العروس والكلاسة في دمشق سنة "570هـ/1174م"، والغلاء الذي حدث سنة "597هـ /1200م"، وأكل الناس الجيف بالديار المصرية.

ولم يعتمد ابو الفداء على كتب أخرى في تأليف هذا الكتاب، ويظهر أنه اعتمد على كتابه "المختصرفي أخبار البشر"، لهذا أعتمدنا المختصر في تحقيق المخطوطة مع بعض المصادر الثانوية مثل الكامل في التأريخ وغيره.

من خلال تحقيقنا للمخطوطة عمدنا إلى تصحيح الخطأ في التاريخ والإملاء وحذفنا ما هو مكرر مثل كلمة السلطان والملك والسنة ووضعنا حاصرتين لكل إضافة ليستقيم المعنى مثل كلمة [و]، ولم نشر اليها في الهامش، كما أوضحنا التراجم في الهوامش، لانها مختصرة وغير واضحة، وشرحنا ما ورد في المخطوطة من أسماء المدن والأماكن. واتمنى من القارئ الكريم أن يدعو لنا بالخير ويستغفر الله لنا ما وقعنا به من زلل، والله ولي التوفيق، والله من وراء القصد

الأستاذ الدكتور علي نجم عيسى
العراق - الموصل 2016/8/8

بسم الله الرحمن الرحيم

تسلطن شمس الملوك دقاق السلجوقي [و] مَلَكَ دمشق في جمادي الأولى سنة ثمان وثمانين واربعمائة، وكانت وفاته في شهر رمضان سنة 499هـ/1105م [1]، وفيها بدمشق ملك السلطان محمد [2].

[دخل تاج الدين دمشق سنة 505هـ/ 1111م، وقتل بجامع دمشق سنة 511هـ/1117م] [3].

نزول الإفرنج على دمشق سنة 523هـ/1128م [4].

---

(1) هو شمس الملوك دقاق بن تتش بن ألب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، تملك دمشق سنة 488هـ/1095م، والصحيح أن وفاته كانت سنة 497هـ/1103م، أشار إلى ذلك ابو الفداء في كتابه المختصر: 26/2.

(2) السلطان محمد بن ملك شاه السلجوقي ولد سنة 474هـ/1081م، وتوفي سنة 511هـ/1117م، المختصر: 39/2 – 40.

(3) بين حاصرتين النص غير واضح، وفيه خطأ والصحيح، أنه: الذي قُتل في جامع دمشق هو: شرف الدولة مودود بن التونتكين " ت 507هـ/1113م " حاكم الموصل الذي دخل دمشق للاستراحة من القتال وحلول فصل الشتاء، ثم الأستعداد لمواصلة القتال ضد الصليبيين الى فصل الربيع لصعوبة الذهاب الى الموصل لبعدها، وقد بالغ حاكم دمشق طغتكين في " اكرامه واحترامه واعظامه"، وخصص له مكان " في حجرة الميدان الاخضر"، فذهب لاداء فريضة صلاة الجمعة في مسجد دمشق الجامع، وبعد الانتهاء منها وكان قد وضع يده في يد طغتكين في ساحة المسجد " والناس حولهما لمشاهدة زيهما وكبر شأنهما " تعرض مودود الى اغتيال من قبل الباطنية في أواخر شهر ربيع الاول سنة 507هـ/1113م، وقال وليم الصوري وغيره من المؤرخين المسلمين ان لطغتكين دور في قتله لخشيته من اطماعه في دمشق"، وكان في ذلك اليوم صائما، ينظر: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت 2003، 555/1؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، 182 – 187؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 147/9 – 150؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت: 176/12.

(4) ابو الفداء، المختصر: 55/2.

ملك السلطان محمود بن ملك شاه دمشق سنة 511هـ/ 1117م، وكانت وفاته في شوال سنة 525هـ/1130م [1].

ملك السلطان [2] مسعود [3] دمشق في شوال من السنة المذكورة، وكانت وفاته في شهر رجب سنة 526هـ/1131م [4].

ملك شمس الملوك [بوري]، واخذ بانياس[5] من الإفرنج في السنة المذكورة، وقُتل أخوه الملك الأكمل سونج في شهر ربيع الأخر سنة 528هـ/ 1133م، وكان مقتله في الشهر المذكور من السنة المذكورة.

ملك شهاب الدين بوري [6] في التاريخ المذكور 530هـ /1135م، قتل شهاب الدين حاجبه يوسف بن فيروز [7] بدمشق في شهر رمضان سنة530هـ/ 1135م، وقتل شهاب الدين [محمود صاحب دمشق[8]] الرئيس محي الدين بن الصوفي بدمشق في الشهر المذكور، وكان مقتل شهاب الدين في شوال سنة[9] [533هـ /1138م [10]] تاريخه [و] تملك جمال الدين في شوال من السنة المذكورة، وكانت

(1) أبو الفداء، المختصر: 39/2، 58.

(2) مكررة في الأصل شطبت.

(3) السلطان مسعود بن محمد بن ملك شاه السلجوقي.

(4) ابو الفداء، المختصر: 59/2 – 60.

(5) بانياس: (الجولان) مدينة قريبة من دمشق وتبعد عنها مقدار (10) فراسخ، وهي ثغر بلاد المسلمين، ولها قلعة يستدير بها نهر يفضي إلى أحد أبواب المدينة، وكانت بيد الفرنج فاسترجعها نور الدين رحمه الله، ولها محترث عظيم واسع في بطحاء متصلة، ينظر الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت900هـ/1494م)، الروض المعطارفي أخبار الأقطار، تحقيق، إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، دار السراج الطبعة الثانية 1980، 74/1.

(6) هو شهاب الدين محمود بن بوري تولى الحكم في دمشق سنة 529هـ/1134م.

(7) هو الحاجب يوسف بن فيروز شحنة دمشق، ينظر ابو الفداء، المختصر: 72/2.

(8) بين حاصرتين أضيفت لإستقامة المعنى.

(9) شهاب الدين محمود بن بوري بن طغتكين حاكم دمشق قتل من قبل ثلاثة من غلمانه ونُصب بدله أخوه جمال محمد بن بوري، وكان حاكماً على دمشق، ينظر ابو الفداء، المختصر: 80/2

(10) بين حاصرتين لإستقامة التاريخ.

وفاة الملك جمال الدين في شعبان سنة 534هـ/ 1139م، [و] السلطان سنجر تملك [دمشق[1]] ظهير الدين في شعبان من السنة المذكورة، ونزل ملك الالمن [الألمان] على دمشق في شهر ربيع الأول سنة 543هـ/1148م [2]، [و] ملك نور الدين زنكي رحمه الله تعالى دمشق في صفر سنة 549هـ /1154م [3]، ملك السلطان الملك الناصر صلاح الدين ديار مصر في جمادي الآخرة سنة 564هـ/1168م، بعد وفاة اسد الدين [شيركوه عمه[4]].

وفتح نور الدين الموصل في جمادي الأولى سنة 566هـ/1170م، وكانت وفاته في شوال سنة 569هـ/1173م [5]، وكان حريق سوق اللبادين، ومأذنة العروس، والكلاسة [6] في 8 محرم سنة 570هـ /1174م، [و] ملك الملك الناصر دمشق وحمص وبعلبك في سنة 570هـ/1174م [7]، وكسر الأفرنج على المرج، وقتل الهنفري[8] في محرم سنة 575هـ/ 1179م [9].

وكانت وفاة الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين بآمد[10] في رجب

(1) بين حاصرتين أضيفت لإستقامة المعنى.

(2) ابو الفداء، المختصر: 87/2 – 88.

(3) المصدر نفسه: 99/2.

(4) المصدر نفسه: 10/2 – 124.

(5) المصدر نفسه: 125/2 – 126.

(6) عن حريق سوق اللبادين ومئذنة العروس ومدرسة الكلاسة في دمشق قرب باب جيرون ينظر: الطنطاوي، الشيخ علي، الجامع الأموي في دمشق، مطبعة الحكومة دمشق: ص55.

(7) عن موضع ضم هذه المدن من قبل صلاح الدين الأيوبي ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ: 406/9.

(8) عن مقتل الهنفري ينظر ابو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت665هـ/1266م)، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت 1997م: 35/3.

(9) ابن الاثير، الكامل في التاريخ: 439/9.

(10) آمد: بلد قديم حصين ركين مبنيّ بالحجارة السّود على نهز دجلة محيطة بأكثره مستديرة به كالهلال، وفي وسطه عيون وآبار قريبة نحو الذراعين، يتناول ماؤها باليد، وفيها بساتين ونهر يحيط بها، الحموي، معجم البلدان: 56/1.

سنة 577هـ/1181م، وملك الملك الناصر آمد وحلب [1]، وتوفي تاج الدين فروخ شاه بن شاهنشاه سنة 577هـ/1181م [2]، وكانت وفاة سعد الدين بن معين الدين [أنز]، ووفاة ناصر الدين بن اسد الدين سنة 581هـ/1185 م [3]. كسر الملك الناصر الرُّها [4] وسنجار[5] في السنة المذكورة، وكسر الأفرنج على تل حطين[6]، وأسر ملوكهم، وفتح طبريَّة [7]، وبيت المقدس، وصيدا[8]، وعكا [9]، والساحل جميعه في سنة 583هـ /1187م، وفتح جِبلّة [10]، واللاذقية [11]، وصهيون[12]، والكرك [13]سنة

(1) المصدر نفسه: 454/9.

(2) وذكر ابن الأثير في الكامل، ان وفاته كانت سنة 578هـ/1182م: 469/9.

(3) ناصر الدين محمد بن شيركوه، ينظر ابو الفداء، المختصر: 152/2.

(4) الرّها: مدينة رومية عظيمة، فيها آثار عجيبة وهي بالقرب من قلعة الروم من الجانب الشرقي الشمالي من الفرات، ينظر المهلبي، الحسن بن أحمد (ت 380هـ/990م)، كتاب العزيزي أو (المسالك والممالك)، جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه، تيسير خلف، المكتبة الشاملة: 110/1.

(5) سنجار مدينة تقع شمال مدينة الموصل وتبعد عنها: (80 كم).

(6) تل حطين موقع بين طبرية وعكا في فلسطين وقعت فيها معركة حطين سنة 583هـ/1187م.

(7) طبريَّة: مدينة بقرب دمشق بينهما ثلاثة أيام، مطلة على بحيرة طبرية، وجبل الطور مطل عليها، وهي مستطيلة الشكل على البحر، 217/1.

(8) صيدا: تقع على ساحل البحر المتوسط حسنة كثيرة الفواكه يحمل منها التين والزبيب والزيت إلى بلاد مصر، ينظر ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله (ت779هـ/1377م)، كتاب رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، الرباط، 1417 هـ/1996م، 260/1.

(9) عكا: مدينة من أهم مدن الشام وأبرز مرافئها في القديم، ولها تاريخ طويل. كانت في العصر الأموي ميناء جند الشام وبها دار صناعة للسفن ومرفأ حصين. دخلها الصليبيون سنة 497 هـ/1103م، وكانت آخر مدينة خرجت من أيديهم في بلاد فلسطين سنة 691 هـ/1291م، ينظر تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، موقع الإسلام، المكتبة الشاملة.

(10) جبلة: مدينة أكبر من مدينة بنياس، وبين جبلة وبين بنياس أربعة وعشرون ميلا، ومن جبلة إلى اللاذقية اثنا عشر ميلا ولها أعمال واسعة، المهلبي، المسالك والممالك: 83/1.

(11) اللاذقية: تقع غربي مدينة حلب، وشمالي مدينة طرطوس، وهي أهم ميناء في سوريا الآن.

(12) صهيون: قلعة حصينة تقع في جبال العلوين شرق مدينة اللاذقية من أعمال حمص.

(13) الكرك: بلدة وقلعة في جبال البلقاء تقع شرقي نهر الأردن.

584هـ /1188م، وفتح الشوبك [1] سنة 585هـ /1189م، وكانت وفاته [الملك الناصر صلاح الدين] رحمه الله بدمشق في صفر [سنة 589هـ/1193م] [2].

سنة 587هـ/1191م توفي الملك المظفر تقي الدين صاحب حماة زين الدين عمر، واخذت الافرنج عكا سنة 587هـ/1191م.

[وسنة] 589هـ /1193م كانت وفاة عز الدين اتابك صاحب الموصل في السنة المذكورة [3].

وصل الملك العادل حلب سنة592هـ / 1195م، اخذ الملك العزيز دمشق من اخيه الملك الافضل وسلمها إلى العادل في السنة المذكورة [4].

وكانت وفاة الملك العزيز عثمان صاحب مصر ابن الملك الناصر في محرم سنة 595هـ/1198م.

رحل الملك الظاهر عن حصار دمشق هو وأخوه الملك الافضل عند خروج الملك العادل صاحب مصر سنة 597هـ /1200م، كان الغلاء اعاذنا الله منه بالديار المصرية، وأكل الناس الجيف [5]، ومات فلك الدين بدمشق في سنة 599هـ/1202م [6].

وكانت وفاة ركن الدين ملك الموصل بن السلطان مسعود في محرم سنة 601هـ/1204م [7]، فتح الملك الاوحد[8] اخلاط [9] وبلادها سنة 604هـ /1207م.

---

(1) الشوبك: قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمّان وأيلة والقلزم قرب الكرك.

(2) بين حاصرتين أضيفت لتكملة الجملة.

(3) توفي بمرض الأسهال، بعد ان سمع بوفاة صلاح الدين، حاول استغلال الفرصة للسيطرة على اجزاء من دولة الأخير، ابن الاثير، الكامل في التاريخ: 93/10 – 95.

(4) ابو الفداء، المختصر: 180/2.

(5) أشار ابن الأثير في الكامل إلى هذا الغلاء في حوادث سنة 597هـ/1200م.

(6) فلك الدين أخو الملك العادل سيف الدين ابو بكر من أمه، وهو الذي شيد المدرسة الفلكية في دمشق، ينظر ابو الفداء، المختصر: 192/2.

(7) وهو نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكي بن أقسنقر، أشار ابن الاثير إلى أن وفاته كانت سنة 607هـ/1210م، وهو الصواب، ينظر الكامل: 277/10، واكد ابو الفداء في المختصر ذلك: 180/2.

(8) الملك الأوحد بن الملك العادل " ت 607هـ/1210م"، وكان اهل خلاط كارهين له ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ: 263/10.

(9) أخلاط: مدينة كبيرة مشهورة قصبة بلاد أرمينية، ذات خيرات واسعة وثمرات يانعة، فيها المياه الغزيرة والأشجار الكثيرة، وهي تقع على بحيرة وان، القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ/1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، طبعة دار صادر بيروت: 524/1.

نـزل الـسلطان العـادل أبـو بكـر علـى سـنجار واخـذ الملـك الأشـرف نـصيبين[1] والخابور[2] سنة 606هـ /1209م، وكانت وفاة الملك المغيث والأمجد [3] ولدي الملك العادل في السنة المذكورة [4]، كان نزول الكرج على اخلاط واسر الايواني [5].

ملـك الملـك الاوحـد اخـلاط [سـنة 604 هـ/1207م] وسـنة 609هـ /1212 كانت وفاة الملك الاوحد باخلاط [6].

سنة 612هـ/1215م ملك الملك مسعود ابن الملك الكامل اليمن[7].

في سنة 612هـ /1215م وفاة الأمير سالم بن الامير قاسم، صاحب اليمن في السنة المذكورة [8].

[وفي سنة 613هـ/1216م] كانت وفاة السلطان الملك الظاهر بن الملك

(1) نصيبين: وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة الفراتية على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام، وفيها أربعون ألف بستان، بينها وبين الموصل ستة أيام (180كم تقريباً، في الأراضي التركية) ينظر الحموي، معجم البلدان: 288/5.

(2) الخابور: اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة، وولاية واسعة، وبلدان جمة غلب عليها اسمه (الخابور)، فنسبت إليه من البلاد قرقيسياء وماكسين والمجدل وعربان، وأصل هذا النهر من العيون التي برأس عين، وينضاف إليه فاضل الهرماس، وهو نهر نصيبين، فيصير نهرا كبيرا، ويمتد فيسقي هذه البلاد ثم ينتهي إلى قرقيسياء، فيصب عندها في الفرات، وفي الخابور تقول أخت الوليد بن طريف ترثي أخاها من أبيات أوردها ياقوت الحموي في معجم البلدان: 264/2 جاء فيها:

أيـا شـجر الخـابور مـا لـك مورقـا؟ كأنـك لـم تجـزع علـى ابـن طريـف
فتـى لا يحـبّ الـزاد إلا مـن التقـى ولا المـال إلا مـن قنـا وسـيوف.

(3) المغيث شهاب الدين محمود، والامجد تقي الدين عباس، ينظر الحنبلي أحمد بن إبراهيم "876هـ/1471م ": شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية 1978، ص228.

(4) ابو الفداء، المختصر: 204/2.

(5) الايواني: وهو مقدم عسكر الكرج، ينظر ابن الاثير، الكامل في التاريخ: 415/10.

(6) أبو الفداء، المختصر: 204/2 – 206.

(7) للإفادة ينظر ابو الفداء، المختصر: 209/2.

(8) لم أجد له ترجمة.

الناصر [صلاح الدين]، وملك ولده الملك العزيز حلب[1]، وكان خروج الأفرنج إلى بيسان[2]، ومحاصرتهم الطور[3]، ورحيلهم عنها [4].

سنة 614هـ/1217م كان دخول الملك الغالب كيكاوس [5] إلى منبج [6]، ومعه الملك الافضل وهروبهم بين يدي الملك شاه أرمن وابن ابي الفتح موسى بن الملك العادل[7].

سنة 615هـ /1218م قبض الملك الأشرف على ابن المشطوب [8].

---

(1) ابو الفداء، المختصر: 210/2.

(2) بيسان: تقع في فلسطين الآن على بعد نحو (6كم) كم من ضفة نهر الأردن، وتبعد عن القدس (127) كم، وهي المدينة التي ولد فيها القاضي الفاضل، وقد هدمها اليهود، وأقاموا مكانها مستعمرة سنة 1949 م باسم " بيت شعن " ينظر شُرَّاب، محمد بن محمد حسن، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، طبعة الدار الشامية، دمشق، بيروت، 1411 هـ/1990: 68/1.

(3) الطور: جبل مطل على طبرية، ويقع شرقي الناصرة ويرتفع (562 م) عن سطح البحر، ومناظر قمته من أجمل ما تقع عليه العين في فلسطين الشمالية، فيظهر منها جبل الشيخ وجبال شرقي الأردن الشمالية وبحيرة طبرية ومرج بني عامر والبحر المتوسط، ينظر شُرَّاب، المعالم الأثرية: 176/1.

(4) أبو الفداء، المختصر: 211/2.

(5) كيكاوس بن كيخسرو صاحب بلاد الروم " ت 616هـ/1219م"، ينظر أبو الفداء، المختصر: 212/2 – 218.

(6) منبج وهي مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة وأرزاق واسعة في فضاء من الأرض، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ، وشربهم من قنيّ تسيح على وجه الأرض، وفي دورهم آبار أكثر شربهم منها لأنها عذبة صحيحة، أشار اليها المتنبي بقوله:

قيل بمنبج مثواه ونائله في الأفق يسأل عمن غيره سألا

ينظر الحموي: معجم البلدان: 206/5.

(7) وورد تفاصيل الخبر في حوادث سنة 615ه/1218م، ينظر أبو الفداء، المختصر: 212/2 – 213.

(8) هو عماد الدين أحمد بن سيف الدين علي بن أحمد المشطوب مقدم عسكر الأكراد الهكارية، حاول خلع الملك الكامل بن الملك العادل، ثم ألقي القبض عليه من قبل الملك الأشرف، وأودع السجن في حران إلى أن لاقته المنية، عن ترجمته ينظر ابو الفداء، المختصر: 214/2؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان: 408/1.

سنة616هـ/1219م توفي الملك الغالب كيكاوس[1].

سنة617هـ/1219م توفي الملك المنصور تقي الدين بحماة [2].

سنة 617هـ/1220م ملك الملك الاشرف سنجار في جمادي الأولى [3]، وتوفي الملك الفايز[4]، وخرج التنين وخرب بلاد العجم في السنة المذكورة.

[سنة 618هـ / 1221م] ملك الملك الاشرف قرقيسيا [5] وعانة [6] وبلبيس[7] في ذي الحجة من السنة المذكورة، وأسترجاع دمياط [8] من الافرنج بالأمان في السنة المذكورة [9].

سنة 622هـ/ 1225م في صفر توفي الملك نور الدين بن صلاح الدين[10] بسيمساط [11].

(1) أشرنا اليه فيما سبق.

(2) الملك المنصور الأول بن الملك المظفر تقي الدين عمر، أبو الفداء، المختصر: 218/2.

(3) ابو الفداء، المختصر: 220/2.

(4) الملك الفايز سابق الدين بن الملك العادل إبراهيم بن أبي بكر بن أيوب بن شادي توفي في مدينة سنجار، ودفن في الموصل ينظر الحنبلي، شفاء القلوب: ص275.

(5) قرقيسيا: مدينة على الخابور ولها بساتين وأشجار كثيرة ينظر ابن حوقل صورة الأرض (ت بعد سنة 367هـ/977م)، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، 1938 م : 227/1.

(6) عانة: بلد مشهور بين الرّقّة وهيت يعد في أعمال الجزيرة، ينظر الحموي، معجم البلدان: 72/4، وعانة الآن مدينة تابعة إلى محافظة الأنبار في الجهة الغربية من العراق.

(7) بلبيس: مدينة جليلة بين الشرق والشمال من مصر وبينها وبين مصر بحيرة الأسرا، ينظر البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت 487هـ/1094م)، مراصد الأطلاع، دار الغرب الإسلامي، 1992 م: 621/2.

(8) دمياط: مدينة من أهم مدن الوجه البحري في مصر قديما وحديثا، تقع عند مصب الفرع الشرقي من نهر النيل في البحر. كان لها تاريخها الهام الحربي والاقتصادي في العصر الصليبي، كما انتهت عندها الحملتان الصليبيتان الخامسة والسابعة.

(9) ابو الفداء، المختصر: 224/2.

(10) وهو الملك الأفضل نور الدين علي بن السلطان صلا ح الدين الايوبي، ينظر ابو الفداء، المختصر: 232/2.

(11) سميساط: وهي مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات ولها قلعة في شقّ منها يسكنها الأرمن، الحموي، معجم البلدان: 258/3.

توفي الملك المعظم عيسى بن الملك العادل بدمشق يوم الجمعة سلخ ذي القعدة سنة 624هـ/1226م، وتملك ولده الملك الناصر داود في التاريخ المذكور[1].

ملك الاشرف موسى دمشق بالامان من الملك الناصر في شعبان سنة 626هـ/1228م [2]، توفي الملك المسعود بن الملك الكامل في سنة 626هـ /1228م أيضاً[3]، ملك الملك الاشرف بعلبك وكسر الخوارزمية سنة 627هـ/1229م [4].

ملك الملك الكامل آمد في ذي الحجة سنة 629هـ/1231م[5].

وفاة شهاب الدين المغيث بدمشق سنة 630هـ/1232م[6].

تسلم الملك الاشرف حصن كيفا في 14ربيع الأول سنة 630هـ/1232م [7]

وكانت وفاة الملك العزيز يوم الاثنين 10 رمضان سنة 630هـ/1232م[8]، وكانت وفاة مظفر الدين [كوكبوري] صاحب اربل يوم الاثنين 7 رمضان من السنة المذكورة[9].

وكانت وفاة الملك الظاهر بن العزيز 6 محرم سنة 631هـ/ 1233 [10].

---

(1) كان الملك المعظم ملكاً شجاعاً عالماً فاضلاً في الفقه والنحو حنفي المذهب خالف البيت الأيوبي الشافعي المذهب توفي في مرض الدوسنطاريا وعمره تسع وأربعون سنة، المصدر نفسه: 236/2.

(2) المصدر نفسه: 241/2.

(3) المصدر نفسه: 241/2.

(4) المصدر نفسه: 245/2.

(5) أبو الفداء، المختصر: 252/2.

(6) الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك الصالح نجم الدين أيوب توفي سنة 642هـ/1244م المصدر نفسه: 252/2.

(7) المصدر نفسه: 253/2.

(8) الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين توفي سنة 634هـ/1236م المصدر نفسه: 260/2.

(9) المصدر نفسه: 254/2 – 255.

(10) عن الملك الظاهر بن العزيز بن الملك الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين، ينظر ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر "ت 774هـ/1372م"، البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي 1988: : 224/13، 260.

ملك الملك الامجد بعلبك [1] [سنة 578هـ /1182م] [2]،

وكانت وفاة الملك الاشرف [في] دمشق وتوفي بها في سنة 635هـ /1237م [3].

ملك الملك الجواد مظفر الدين دمشق، وسلمها إلى الملك الصالح نجم الدين ايوب سنة 636هـ/1238م [4].

هجم الملك الصالح اسماعيل [على] دمشق ودخلها وقت صلاة الجمعة وملكها في صفر سنة 637هـ/1239م [5].

وكانت كسرة عساكر صاحب حمص، وعساكر الشام [مع] الافرنج بغزة في سنة 642هـ/1244م [6]، كان الغلاء بدمشق وهلك العالم [الناس] في [هذه السنة].

كسر الملك المنصور[7] الخوارزمية، وقتل بركة خان [8] [بحمص سنة 644هـ/1246م [9]]، تسلم علاء الدين الشيخ [10]طبرية وعسقلان[11].

سنة 645هـ/1247م دخل الملك الصالح نجم الدين ايوب دمشق ثاني مرة في

(1) بعلبك: مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرّخام، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وقيل اثنا عشر فرسخا من جهة ساحل البحر المتوسط، ينظر الحموي، معجم البلدان: 453/1.

(2) ينظر الحنبلي، شفاء القلوب: ص223.

(3) ابو الفداء، المختصر: 262/2.

(4) ابو الفداء، المختصر: 266/2.

(5) المصدر نفسه: 267/2.

(6) المصدر نفسه: 276/2 – 277.

(7) الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص " ت 644هـ/1246م " المصدر نفسه: 280/2.

(8) حسام الدين بركة خان مقدم عسكر الخوارزمية، ينظر المصدر نفسه: 175/3.

(9) بين حاصرتين مكررة للافادة ينظر المصدر نفسه: 280/2.

(10) وفي المختصر في اخبار البشر هو فخر الدين يوسف بن الشيخ صدر الدين بن حمويه قتل من قبل الأفرنج في المنصورة بمصر سنة " 647هـ/1249م ": 282/2، 286.

(11) عسقلان: تقع على ضفة البحر المتوسط، وهي من أجل مدن الساحل وليس لها ميناء، ويشرب أهلها من آبار حلوة، وبينها وبين غزّة اثنا عشر ميلا، وبينها وبين الرملة ثمانية عشر ميلا، ينظر المهلبي، المسالك والممالك: 100/1.

ثالث شعبان من السنة المذكورة، وكانت وفاته رحمه الله بمصر في شعبان سنة 647هـ/1249م، [و] ملك ولده الملك المعظم دمشق في 28 شعبان من السنة المذكورة [1]، [و] كسر الملك المعظم صاحب دمشق الافرنج بالمنصورة في شهر محرم سنة 648 هـ/1250م [2]، [و] ملك الملك المعز عز الدين ايبك التركماني ديار مصر في سلخ محرم سنة 648هـ/1250[3] [و] ملك الملك الناصر صلاح الدين يوسف دمشق في 8 ربيع الآخر من السنة المذكورة، ورجع عسكره بعد ملكه العباسة [4] في ذي القعدة من السنة المذكورة [5]، وملك صبيبة [6] بانياس في رمضان سنة 649هـ/1251م [7].

وقتل الفارس اقطاي[8] وخرجت البحرية سنة 652هـ/ 1254م [9]

وتوفي الملك المعز التركماني بمصر، وولده الملك المنصور قد جلس على

---

(1) الملك المعظم توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب قتل سنة648هـ/1250م المصدر نفسه: 285/2 – 287.

(2) المصدر نفسه: 287/2.

(3) أبو الفداء، المختصر: 288/2.

(4) العباسة: وهي بلدة بينها وبين القاهرة خمسة عشر فرسخاً بإتجاه القادم من بلاد الشام، ذات نخل طوال، جعلها الملك الكامل بن العادل بن أيوب من متنزهاته، ويكثر الخروج إليها للصيد، بينها وبين القاهرة خمسة عشر فرسخا، ينظر الحموي، معجم البلدان: 75/4.

(5) أبوالفداء، المختصر: 289/2.

(6) قلعة الصبيبة: تقع بين بانياس وتبنين وهونين أسسها الْملك الْعَزِيز عُثْمَان ابْن الْملك الْعَادِل شَقِيق الْملك الْمُعظم، ينظر بدران، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تحقيق زهير الشاويش، منشورات، المكتب الإسلامي – بيروت 1985: 183/1.

(7) ابو الفداء، المختصر: 289/2، 291 – 292.

(8) الأمير فارس الدين أقطاي المستعربي أتابك الديار الْمِصرِيَّةِ، كَانَ مَمْلُوكًا للملك الصالح نجم الدين أَيُّوبَ، ثُمَّ عَظُمَ شَأْنُهُ فِي دَوْلَةِ الْمُظَفَّرِ قطز، وَصَارَ أَتَابِكَ الْعَسَاكِرِ، ينظر ابن كثير، البداية والنهاية: 266/13.

(9) ابو الفداء، المختصر: 297/2.

التخت وتملك في سنة 654هـ/1256م [1]

كان أخذ التتار بغداد، وقتل الخليفة [المستعصم بالله] في سنة 656هـ/1258م [2].

ملك الملك المظفر قُطُز ديار مصر سنة 657هـ/1258م [3].

ملك هلاون "هولاكو" دمره الله تعالى حلب وخربها، وقتل من اهلها خلقاً كثيراً سنة 658هـ /1260م، وتسلموا خذلهم الله تعالى دمشق بالامان في السنة المذكورة [4]، كسر الملك المظفر قُطُز التتار، وقتل مقدمهم كتبغا وأباد جميعهم بالسيف على عين جالود في رمضان المعظم من السنة المذكورة[5]، وقتل الملك المظفر قُطُز "رحمه الله" في ذي القعدة من السنة المذكورة، وهرب الملك الناصر يوسف في السنة المذكورة [6].

[ملك الملك الظاهر[7]] بيبرس رحمه الله تعالى مصر والشام في ذي القعدة سنة 658هـ/1259م، وملك البيرة [8] سنة 660هـ/ 1261م، وأسر ونزل الطور [9]، ومسك الملك المغيث صاحب الكرك ومُلكهُ [لها] سنة 661هـ/ 1262م، وفتح رحمه الله تعالى قيسارية[10] وأَرْسُوفُ [11]، وأسر أهلها، وقتل أكثر من كان بها، سنة

(1) المصدر نفسه: 300/2.

(2) المصدر نفسه: 315/2 – 317.

(3) المصدر نفسه: 302/2.

(4) القريتين: قرية كبيرة من أعمال مدينة حمص.

(5) أبو الفداء، المختصر: 302/2.

(6) الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، المصدر نفسه: 314/2، 317.

(7) بين حاصرتين مكررة.

(8) البيرة: قلعة حصينة قرب سميساط بين حلب والثغور الرّومية، ولها رستاق واسع، ينظر الحموي، معجم البلدان: 526/1.

(9) المصدر نفسه: 318/2.

(10) قيسارية: بلد على ساحل البحر المتوسط من أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام، وكانت قديماً من أعيان أمهات المدن واسعة الرّقعة طيبة البقعة كثيرة الخير والأهل، ينظر الحموي، معجم البلدان: 421/4.

(11) أَرْسُوفُ: مدينة على ساحل البحر المتوسط بين قيسارية ويافا، ينظر الحموي، معجم البلدان: 151/1.

663هـ/1264م، وفتح صفت[1]، وأباد أهلها بالسيف في الثامن عشر شوال سنة 664هـ /1265م، وغارت عساكره على بلاد سيس[2]، وأسروا من فيها، ومسكوا ابن ملكها سنة 664هـ/1265م، وفتح يافا [3]، والشقيف[4]، وأسر أهلها في رجب سنة 666هـ/1267م وفتح انطاكية وأسر أهلها، وخربها [في] تاسع رمضان سنة 666هـ/1267م، وحج "رحمه الله" وقفة الجمعة سنة 667هـ/1267م، وفتح حصن الأكرد[5]، وحصن عكار[6]، والقريتين[7] سنة 669هـ/1270م [8].

[و] كسر "رحمه الله" التتار بشاطئ الفرات، وعبرها خوضاً سنة 671هـ/1272م، وغارت عساكره على بلاد سيس ثاني مرة، وفتح بلاداً كثيرة سنة 672هـ/1273م، وكسر التتار على البلستين وأسر منهم خلقاً كثيراً، وتوفي رحمه الله بدمشق في محرم سنة 676هـ/1277م، وملك ولده الملك السعيد ديار مصر والشام في صفر من السنة المذكورة، خلع ولده الملك السعيد وتملك اخوه الملك العادل سلامش سنة 677هـ/1278م، وخلع الملك العادل سلامش وتملك قلاوون الملك المنصور قلاوون رحمه الله ديار مصر والشام في رجب سنة 678هـ/1279م [9].

---

(1) والصحيح صفد: وهي مدينة في جبال لبنان المطلة على مدينة حمص، ينظر الحموي، معجم البلدان: 412/3.

(2) سيس: بلد من أعظم مدن الثغور الشاميّة بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة يسكنها الأرمن، ينظر الحموي، معجم البلدان: 297/2.

(3) يافا: مدينة على ساحل البحر المتوسط من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكّا، ينظر الحموي، معجم البلدان: 426/5.

(4) الشقيف: قلعة حصينة جدا، قرب بانياس على ساحل البحر المتوسط، ينظر الحموي، معجم البلدان: 807/2.

(5) حصن الاكراد: هو حصن منيع على جبل الجليل الذي يقابل حمص المتصل بجبال لبنان من جهة الغرب، وهو بين بعلبك وحمص، ينظر الحموي، معجم البلدان: 264/2.

(6) يقع حصن عكار شمال لبنان الآن.

(7) القريتين أشرنا إليها فيما سبق.

(8) ابو الفداء، المختصر: 381/2 – 385.

(9) المصدر نفسه: 327/2 – 328، 332 – 345.

هجم سنقر[الأشقر] قلعة دمشق وملكها ولقب بالملك الكامل في ذي الحجة سنة 678هـ/1279م كسرت عساكر الشام وهرب سنقر الأشقر في صفر سنة 679هـ/م1280 [1].

كسر الملك المنصور قلاوون التتر على حمص وأباد اكثرهم بالسيف في رجب سنة 680هـ/1281م [2].

وكانت وفاة الملك المنصور[3] صاحب حماة رحمه الله تعالى في شوال سنة 682هـ/1283م، وملك ولده المظفر حماة في السنة المذكورة [4].

فتح الملك المنصور قلاوون رحمه الله حصن المرقب [5] وأسر أهله وقتل أكثرهم في ربيع الأول سنة 684هـ/1285م[6].

وفتحت عساكره الكرك ونزل الملك السعيد بن الملك الظاهر سنة 685هـ/1286م، وفتحت عساكره صهيون، ونزل سنقر الأشقر تحت الطاعة سنة 686هـ/1287م، وفتح الملك المنصور رحمه الله طرابلس بالسيف، وأخربها، وأسر أهلها في ربيع الاول سنة 688هـ/1289م، وكانت وفاته رحمه الله تعالى في ديار مصر في ذي القعدة سنة 689هـ/1290م، وتملك ولده الملك الأشرف صلاح الدين خليل في ذي القعدة من السنة المذكورة [7].

وفتح الملك الأشرف رحمه الله تعالى عكا واخربها، وأسر أهلها وأحرقها

---

(1) أبو الفداء، المختصر: 345/2 – 346.

(2) المصدر نفسه: 347/2 – 349.

(3) الملك المنصور الثاني بن الملك المظفر محمود بن الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب أشرنا إليه فيما سبق.

(4) أبو الفداء، المختصر: 352/2 – 355.

(5) حصن المرقب: قلعة حصينة تشرف على البحر المتوسط، وعلى مدينة بانياس، ينظر الحموي، معجم البلدان: 108/5.

(6) أبو الفداء، المختصر: 355/2.

(7) المصدر نفسه: 355/2 – 359.

في سنة 690هـ/1291م، وفتحت عساكره بيروت، وصيدا، وعثليت[1] وصور[2]، والساحل جميعه في شهور سنة 690هـ/1291م، وفتح رحمه الله قلعة الروم [3] سنة 691هـ/1291م، وقتل رحمه الله بالحمامات سنة 692هـ/1292م[4].

وتملك أخوه الناصر محمد رحمه الله تعالى سنة 693هـ/1293م، وخلع من الملك وتملك الملك العادل كتبغا في محرم سنة 694هـ /1294م وخلع كتبغا، وتملك الملك المنصور لاجين 28 محرم سنة 696هـ/1296م، وقتل رحمه الله 15 ربيع الأخر سنة 693هـ/1293م، ثم تملك السلطان الملك الناصر محمد سنة 698هـ/1296م، وتولى نيابة الشام أقوش الافرم في جمادي الأولى سنة 698هـ/1298م[5].

غارت عساكر المسلمين على ماردين في شعبان من السنة المذكورة [6]، وكانت الواقعة بين السلطان الملك الناصر وبين غازان في ربيع الأول سنة 699هـ/1299م على حمص، وتأخرت عساكر المسلمين عن الشام في ربيع الأخر من السنة المذكورة [7].

دخل عسكر غازان خذله الله دمشق في جمادي الأولى من السنة المذكورة،

(1) عثليث: اسم حصن بسواحل البحر المتوسط في بلاد الشام، ويعرف بالحصن الأحمر، كان قد فتحه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة 583هـ/1187م الحموي، معجم البلدان: 85/4.

(2) صور: مدينة مشهورة، كانت من ثغور المسلمين، وهي مشرفة على البحر المتوسط داخلة في البحر مثل الكف على الساعد يحيط بها البحر من جميع جوانبها، افتتحها المسلمون في أيّام عمر بن الخطّاب، " رضي الله عنه"، الحموي، معجم البلدان: 433/3.

(3) قلعة الروم: وهي قلعة حصينة تقع غربي نهر الفرات مقابل البيرة، الحموي، معجم البلدان: 390/4

(4) المصدر السابق: 358/2 - 363.

(5) ابو الفداء المختصر: 366/2، 368، 370، 378 - 379.

(6) المصدر نفسه: 380/2 - 381.

(7) المصدر نفسه: 381/2 - 385.

جفل الرعية من الشمال سنة 700هـ/1300م، وكسر الملك الناصر التتر بغباغب [1] على جبل يعرف بالمانع [قرب دمشق] ثاني رمضان سنة 702هـ/1302م [2].

دخل عسكر الشام سيس ونهبوا وأحرقوا في شهر جمادي الأولى سنة 703هـ/1303م [3].

طلع عسكر الشام جبل الكسروان [4] ومقدمهم الأمير سيف الدين كراي نائب الشام في صفر سنة 705هـ/1305م، [و] استسقت أهل الشام، نهار الخميس رابع رجب من السنة المذكورة.

دخل الملك الناصر قلعة الكرك وجهز رخت[5] الملك إلى الديار المصرية في ثامن شهر شوال سنة 708هـ/1308م، وتسلطن السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير في السنة المذكورة [6].

ثم تواترت الأخبار والرسل والأمراء إلى الكرك في سنة 709هـ/1309م، وتجهز [السلطان الملك الناصر] إلى الشام في السنة المذكورة، ثم ركب من الشام إلى الديار المصرية، وفي خدمته العساكر المنصورة، فجلس على التخت[7] يوم عيد الفطر من السنة المذكورة، وهرب الملك المظفر بيبرس، ثم حضر إلى مصر وتوفي بها في السنة المذكورة [8]، ودخلت عساكره المنصورة سيس، واخرجت غالب

(1) غباغب: وهي قرية في أول عمل حوران من نواحي دمشق بينهما ستة فراسخ، ينظر الحموي، معجم البلدان: 184/4.

(2) ابو الفداء، المختصر: 387/2 – 388.

(3) المصدر نفسه: 391/2.

(4) وردت إشارات كثيرة في المصادر التأريخية عن جبال الكسروان قرب دمشق، منها: كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (ت 733هـ/1332م)، طبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423ه/2002م: 240/31.

(5) الرخت: هو الفرش التي تفرش داخل غرف الجلوس، وتعني في العربية سرج الحصان أو الحصان.

(6) المصدر السابق: 395/2 – 396.

(7) التخت: مكان جلوس الملك، وغيره ويكون من الخشب.

(8) أبو الفداء، المختصر: 397/2 – 400.

بلادها وقتلوا خلقاً كثيراً وهدموا البناء، ومقدمهم الأمير جمال الدين أقوس الأشرفي في سنة عشرين وسبع مائة [1].

وكانت وفاة الملك الناصر بقلعة الجبل على فراشه في ذي حجة سنة 741هـ/1304م، وفي ذي الحجة منها تسلطن ولده المنصور أبو بكر، واستمر في السلطة بعهد والده، ثم توفي، وكانت وفاته "رحمه الله" بقوص[2] سنة 742هـ/1341م، وتسلطن أخوه الملك الأشرف كجك في السنة المذكورة، ثم خلع وتولى مكانه أخوه الملك الناصر أحمد بن الناصر، المقيم بالكرك [3].

(1) المصدر نفسه: 2/434 – 436.

(2) قوص من مدن صعيد مصر.

(3) أبو الفداء، المختصر: 2/496 – 500.

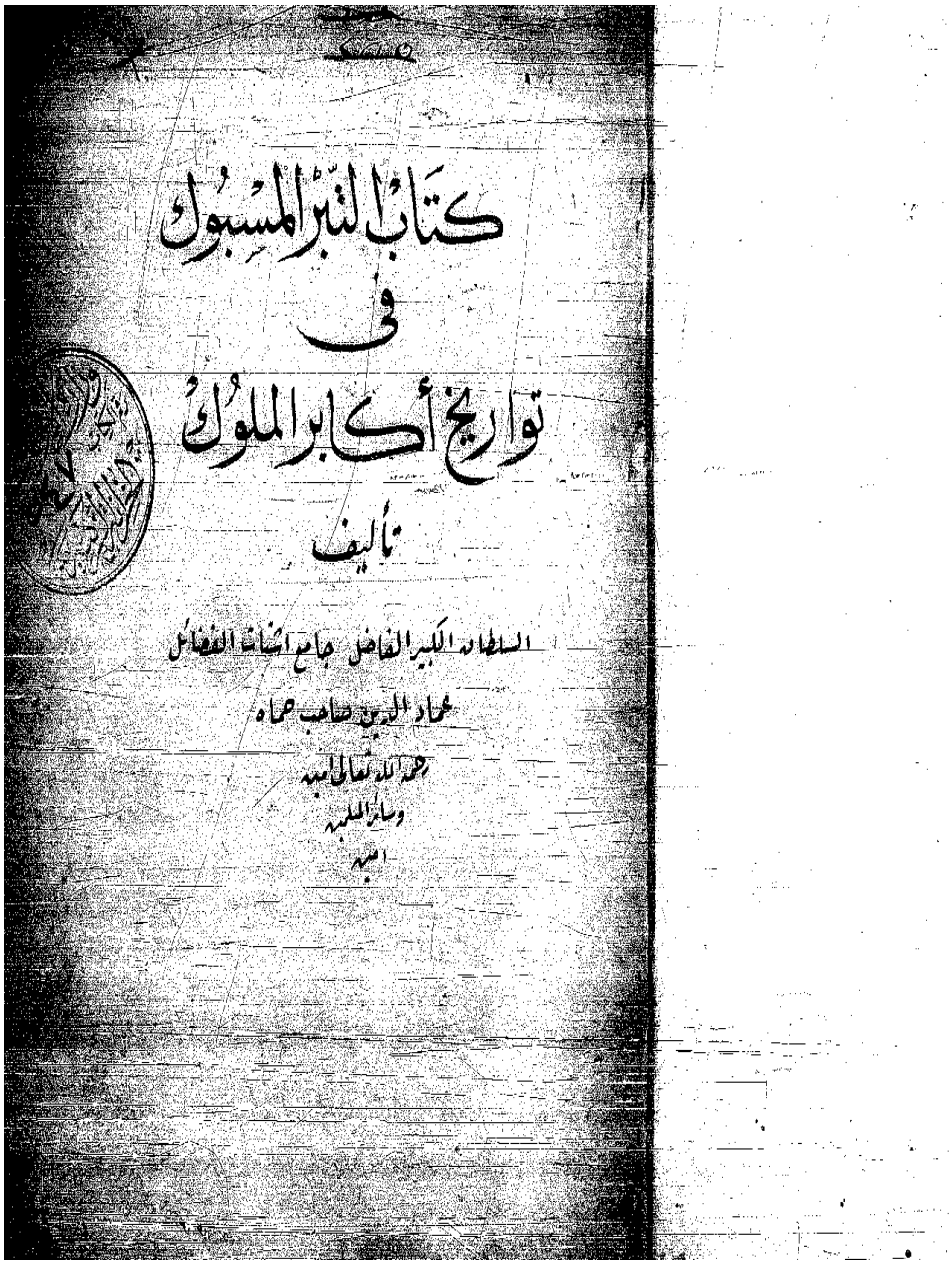

كتاب التبر المسبوك
في
تواريخ أكابر الملوك
تأليف
السلطان الكبير الفاضل جامع أشتات الفضائل
عماد الدين صاحب حماه
رحمه الله تعالى آمين
وسائر المسلمين
آمين

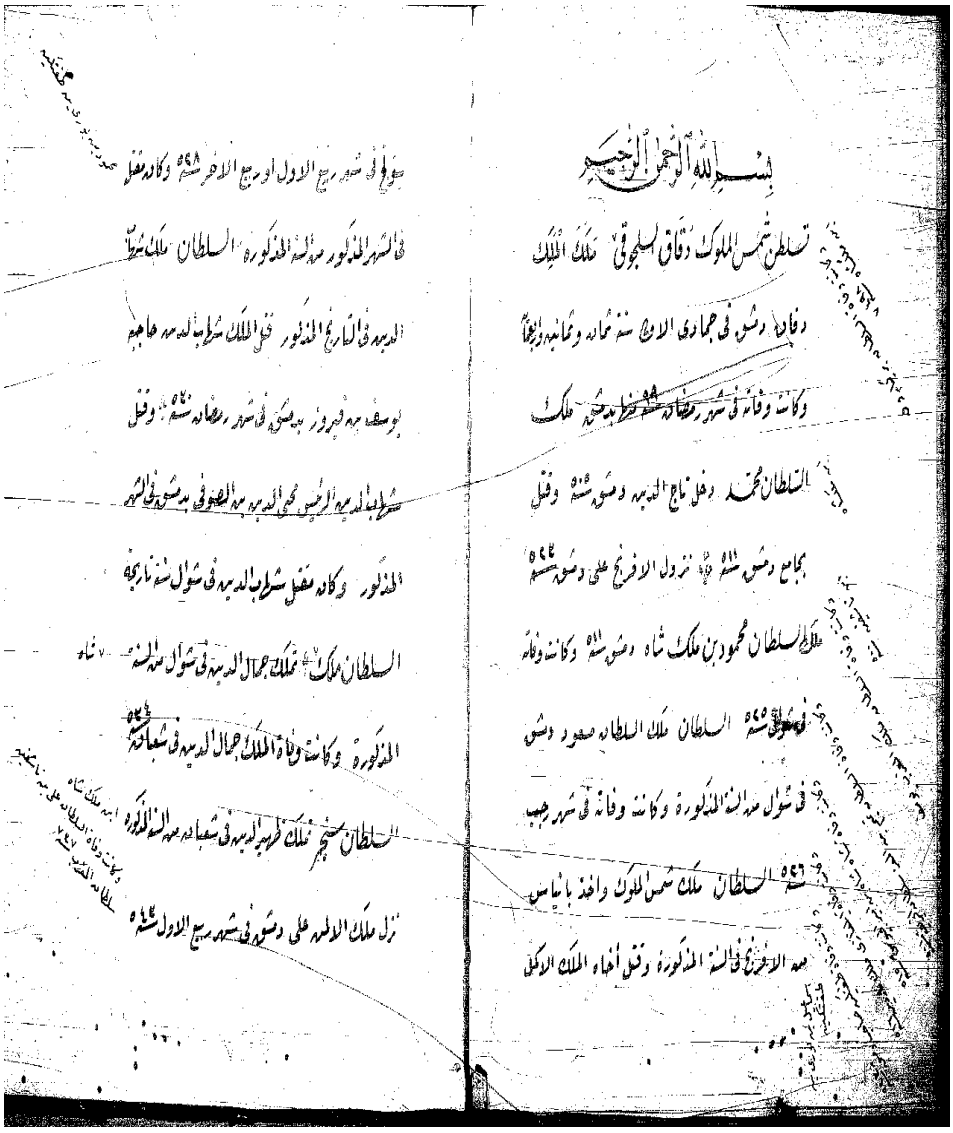

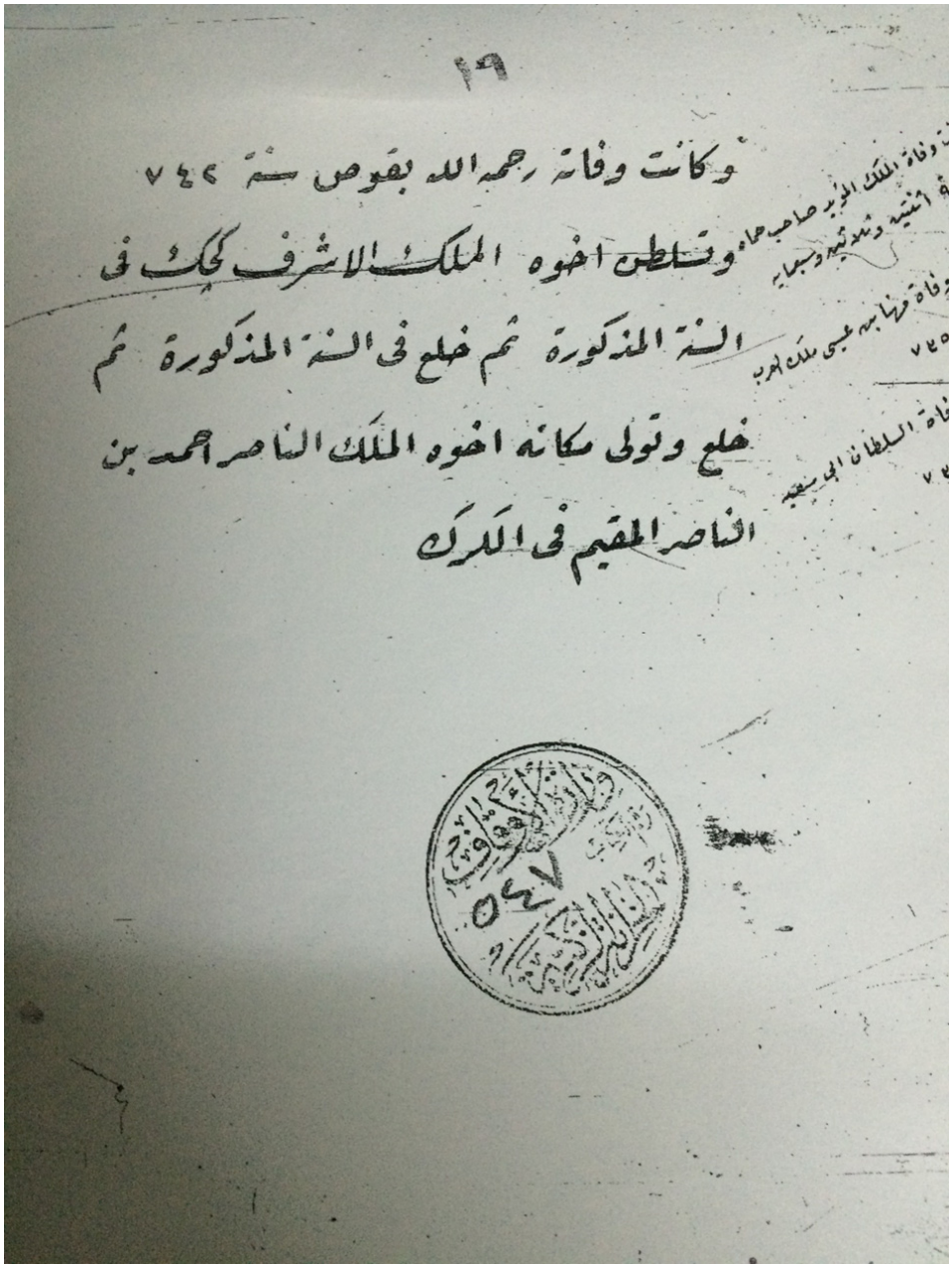
١٩
وكانت وفاته رحمه الله بقوص سنة ٧٤٧
وتسلطن اخوه الملك الاشرف كجك فى
السنة المذكورة ثم خلع فى السنة المذكورة ثم
خلع وتولى مكانه اخوه الملك الناصر احمد بن
الناصر المقيم فى الكرك

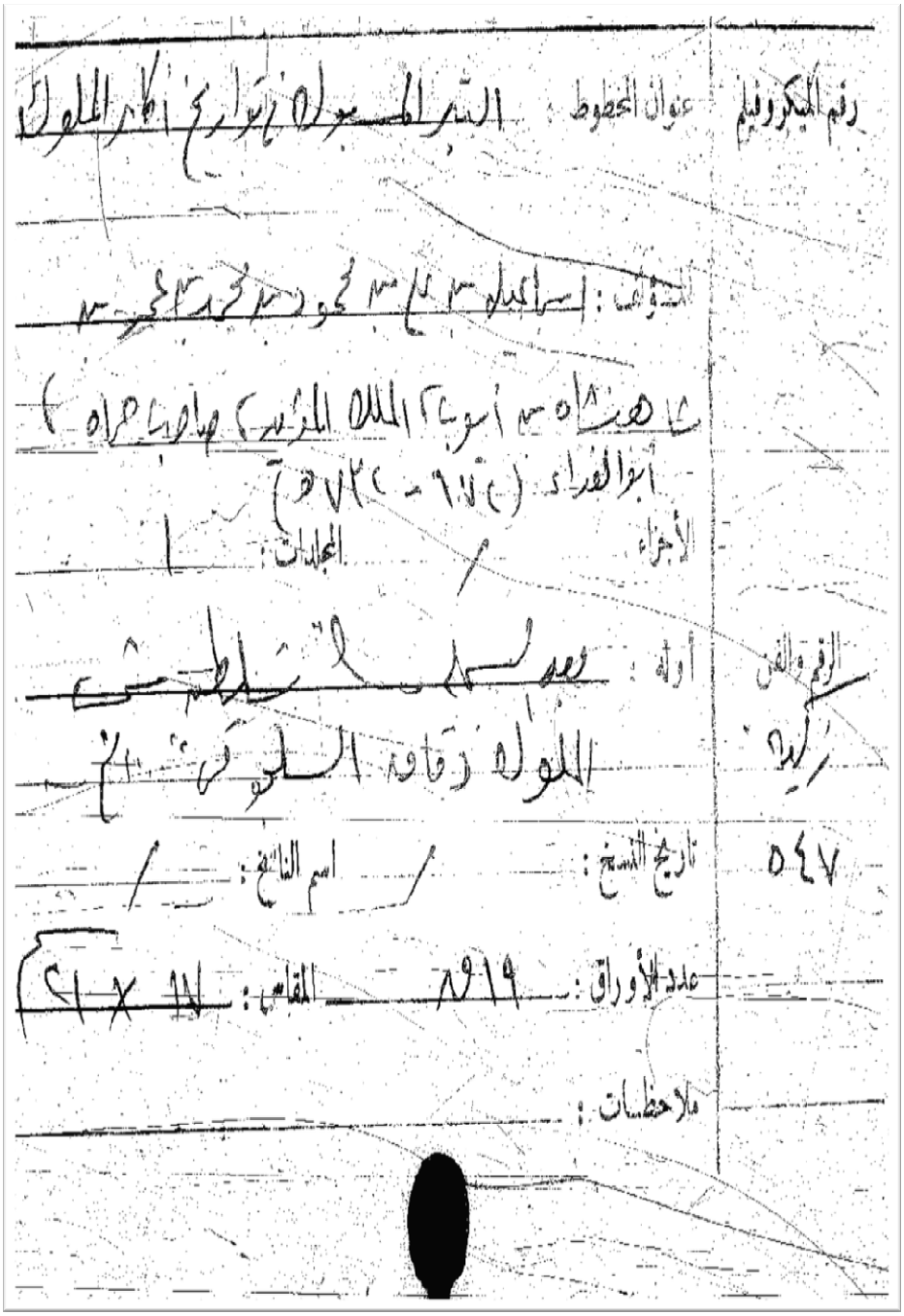
رقم الميكروفيلم
عنوان المخطوط : التبر المسبوك في تواريخ أكابر الملوك
المؤلف : إسماعيل بن محمد بن محمود بن محمد بن عمر
(ت ٧٣٢هـ - أبو الفداء) الملك المؤيد صاحب حماه
الأجزاء / المجلدات : ١
الرقم والفن أوله : بعد البسملة والصلاة
الملوك زكاة الملوك
٥٤٧ تاريخ النسخ : / اسم الناسخ : /
عدد الأوراق : ٨٩٩ القياس : ٢١ × ١٧
ملاحظات :

قائمة المخطوطات والمصادر والمراجع والبحوث

- ابن الاثير: عز الدين ابي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزرى الشيباني (ت 630هـ/1232م) الكامل في التاريخ، دار صادر ودار بيروت، 1966 0

- ادورد كرنيليوس فانديك، (ت 1313 هـ / 1895م)، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع: دار صادر بيروت 1896م.

- الاسنوى: جمال الدين عبد الرحيم (ت772 هـ/1370م) طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الله الجبوري، رئاسة ديوان الاوقاف، احياء التراث الاسلامي، بغداد، 1310هـ - 1970م.

- أنساعد: الدكتورة سميرة، (إسهامات المحققين الغربيين في إحياء التراث العربي الجغرافي، بحث بعنوان مجلة التراث، تصدرها زوارة التعليم العالي والبحث العلمي في الجزائر / جامعة زيان عاشور الجلفة، العدد 60 في 2013).

- بدران، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تحقيق زهير الشاويش، منشورات، المكتب الإسلامي، بيروت 1985.

- بدوي: الدكتور عبد الرحمن موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، 1993.

- البرزالي: علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف، المقتفي على كتاب الروضتين أو تاريخ البرزالي، المكتبة العصرية، 2006.

- ابن بطوطة: ابو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواني (ت779 هـ/1377م)، رحلة ابن بطوطة، السماة (تحفة النظار في غرائب وعجائب الاسفار، دار صادر ودار بيروت، 1964.

- البغدادي: اسماعيل باشا (ت1339هـ/1920م)، هدية العارفين اسماء المؤلفين واثار المصنفين، ج2، ط، وكالة المعارف، استنبول، (اعادت طبعه بالاوفست مكتبة المثنى بغداد1951).

- البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت 487هـ/ 1094م)، مراصد الأطلاع، دار الغرب الإسلامي، 1992 م.

- البنداري: قوام الدين الفتح بن علي، (ت1245/643م) سنا البرق الشامي، دار الكتاب الجديد بيروت 1971.

ـ ابن تغري بردي: جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت874 هـ /1469م)، النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والنشر، بدون تاريخ.

ـ جب: السير هاملتون، أ. ر. - صلاح الدين الايوبي، دراسات في التاريخ الاسلامي، حررها يوسف أيبش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1973.

ـ ابن جبير: محمد ابن احمد الكناني الاندلسي (ت614هـ/1217م)، رحلة ابن جبير، دار صادر ودار بيروت، 1959.

ـ الجزري: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم القرشي تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه المعروف بتاريخ ابن الجزري تحقيق أ.د.عمر عبد السلام تدمري المكتبة العصرية بيروت 1998.

ـ جدول مخطوطة المكتبة الوطنية الفرنسية برقم "5968" **Arabe** دستور المنجمين.

ـ الجيوسي: الدكتورة سلمى الخضراء (مقدمة في كتاب المسالك والممالك للمهلبي).

ـ حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله (ت1067 هـ/1656م) كشف الظنون عن اسماء الكتب والفنون، منشورات: مكتبة المثنى بدون تاريخ.

ـ الحمصي: عثمان بن اسماعيل بن محمد العزولي توفي بعد سنة (782هـ/ 1327م)، مختصر المختصر في أخبار البشر مخطوطة مكتبة الظاهر بيبرس في دمشق تحت رقم 7153.

ـ الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت900هـ/ 1494م) الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق، إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، دار السراج، ط2، 1980.11.

ـ الحنبلي: ابو الفلاح عبد الحي (ت1089هـ/1678 م) شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار الميسرة، بيروت، ط2، 179.

ـ الحنبلي:أحمد بن إبراهيم (876هـ/ 1471م)، فاء القلوب في مناقب بني أيوب، وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، بغداد 1978.

ـ ابن خلكان: ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (681هـ /1282م)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر ودار بيروت، 1976.

ـ ابن ابي الدم: شهاب الدين ابراهيم بن عبد الله بن علي بن عبد المنعم الحموي (ت642هـ/1244م). ـ التاريخ الاسلامي المختصر: دراسة وتحقيق: جزيل عبد الجبار

الجومرد، رسالة دكتوراه مقدمة الى قسم الدراسات العربية، في جامعة سانت اندروز، المملكة المتحدة، اسكوتلندا، 1984.

ـ التاريخ المظفري: مخطوطة نسخة مكتبة الإسكندرية برقم 1292ب.

ـ الدواداري: أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (توفي بعد 732هـ/ 1432م)، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق، يرند راتكه وآخرون، البابي الحلبي 1982.

ـ ديورَانت: ويليام جيمس (ت 1402هـ /1981م م) قصة الحضارة، تقديم: الدكتور محيي الدين صَابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس1988م.

ـ الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تحقيق أ.د.عمر تدمري المكتبة الألكترونية.

ـ سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة 109.

ـ العبر في خبر من غبر، تحقيق د.صلاح الدين المنجد، الكويت 1963.

ـ ميزان الأعتدال، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان 1963.

ـ إبن سباهي زاده: محمد بن علي البروسوي، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تحقيق المهدي عيد الرواضية، دار الغرب الإسلامي، بيروت (ن.ت).

ـ السبكي: عبد الوهاب بن علي (ت771 هـ/1369م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطنانجي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه، القاهرة، 1968.

ـ سركيس: يوسف اليان، معجم المطبوعات العربية والمعربة ط، القاهرة 1928.

ـ السلامي: تقي الدين محمد بن هجرس بن رافع (ت774هـ /1343م)، تحقيق صالح مهدي عباس، ود. بشار عواد معروف، ط. مؤسسة الرسالة – بيروت 1981م.

ـ أبوشامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت665هـ/1266م)، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت 1997م.

ـ ابن شداد: بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم الموصلي (ت 632هـ/ 1234م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)، تحقيق جمال الدين الشيال مكتبة الخانجي القاهرة 1994.

ـ شُرَّاب: محمد بن محمد حسن، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، طبعة الدار الشامية، دمشق، بيروت 1990.

ـ الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (1396هـ/1976م) الأعلام، دار العلم للملايين، 2002 م.

ـ زيدان: جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية تعليق، شوقي ضيف، ط.دار الهلال (ن.ت).

ـ الصابوني، احمد، تاريخ حماة، شرح وتعليق قدري الكيلاني، المطبعة الاهلية، حماة 1956.

ـ الصفدي، الحسَن بن أبي محمّد عبد الله بن عمر بن محاسن بن عبد الكريم الهَاشِمِي " توفي بعد سنة: "717 هـ / 1317م"، نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك "يؤرخ من عصر الفراعنة والأنبياء، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 2003 م.

ـ الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: 764هـ/1362م) أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: الدكتور علي أبو زيد، وآخرون، ط، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق 1998 م.

ـ الصوري، وليم، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة د. سهيل زكار، دمشق 1990.

ـ الطالبي، عبد الحي، "ت 1341هـ/ 1922م"، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر"، دار ابن حزم، بيروت 1999م، 1047/7.

ـ الطنطاوي، الشيخ علي، الجامع الأموي في دمشق، مطبعة الحكومة دمشق.

ـ العبايجي: الدكتورة ميسون ذنون، (ابن باطيش بحث منشور في مجلة دراسات موصلية، العدد 37 تموز، 2012).

ـ العسقلاني: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (ت852هـ / 1448م) لدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، ط، مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند 1972م.

ـ العمري: أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي (ت 749هـ/ 1348م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أبوظبي 2002م.

ـ عيسى: الدكتور علي نجم، حماة في ظل الأيوبيين، دار الكتب العلمية بيروت (ن.ت)
ـ ابو الفداء: عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت732 هـ/1331م)،
ـ تقويم البلدان ترجمه إلى الفرنسية المستشرق رين و**Reinaud**، باريس 1850، والطبعة الثانية مكتبة الثقافة الدينية (ن.ت).
ـ المختصر في اخبار البشر، ط، دار الفكر ودار البحار، 1956 وط، دار الكتب العلمية بيروت تعليق محمود ديوب1997.
ـ ابن قاضي شهبة: ابو بكر احمد بن محمد (ت 779هـ/1377م)، طبقات الشافعية، تحقيق عبد الحافظ عبد العليم خان، ط، عالم الكتاب بيروت 1986 0
ـ القلقشندي: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دارالكتب العلمية بيروت (ن.ت).
ـ مآثر الإنافة في معالم الخلافة، عبد الستار أحمد فراج، الكويت 1985.
ـ الكتبي محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر (ت764هـ/1362م)، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت 1973، 1974.
ـ ابن كثير: اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت774 هـ/1372 م)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، ط2، القاهرة، 1977 0
ـ كحالة: عمر رضا (1408هـ/1987م)، معجم المؤلفين، ط، الترقي، دمشق 1961.
ـ كراتشكوفسكي: اغناطيوس يوليا نوفتش، تاريخ الادب الجغرافي ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم لجنة التليف والترجمة والنشر جامعة الدول العربية 1957.
ـ كرد علي: محمد بن عبد عبد الرزاق، تقويم البلدان، (بحث منشور في مجلة المقتبس، العدد (67)، الصادر في 1911/9/1).
ـ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ/1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، طبعة دار صادر بيروت
ـ ابن القلانسي: أبو يعلي حمزة "ت 555هـ/1160م"، ذيل تاريخ دمشق، بيروت 1908.
ـ لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، وكالة الصحافة العربية ناشرون، الجيزة 2018.
ـ مراد، يحيى، معجم أسماء المستشرقين: منشورات دار الكتب العلمية بيروت (ن.ت).

ـ المصري: شافع بن علي الكاتب العسقلاني كتاب الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور تحقيق أ.د.عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية بيروت 1998.
ـ المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ/1441م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط، دار الكتب العلمية، بيروت 1997م.
ـ المنذري: لمؤلف: المنذري زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (656 هـ / 1256م) تحقيق الدكتور بشار عواد معروف مطبعة الآداب النجف 1968م.
ـ المهلبي، الحسن بن أحمد (ت 380هـ/990م)، كتاب العزيزي أو (المسالك والممالك)، جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه، تيسير خلف، المكتبة الشاملة.
ـ ابن النديم: أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي ت438هـ/1046م)، الفهرست، تحقيق أبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت 1997.
ـ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم (ت 733هـ/1332م)، كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، طبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423هـ/2002م.
ـ ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم الحموي (ت697هـ/1297 م)، مفرج الكروب في اخباربني ايوب، ج1 - 3، تحقيق: د.جمال الدين الشيال، جامعة فؤاد الاول، 1953، ج4 - 5، تحقيق حسنين محمد ربيع، مراجعة:د. عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب، بيروت،1972.
ـ ابن الوردي: زين الدين عمر (ت749 هـ/ 1348م)، تتمة المختصر في اخبار البشر او (تاريخ ابن الوردي) تحقيق، احمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت، 1970، وط، النجف، 1969.
ـ ياقوت: الحموي شهاب الدين أبو عبد الله (ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، دار احياء التراث العربي بيروت1979 0

المراجع الأجنبية والأنترنيت

https://ar.wikipedia.org/wiki.
http://www.biruni.tn/cgi - bin/gw.
https://menoflostglory.wordpress.com/
،P08 5 Paul balog 0By: The coinage of the ayyubids

انتهى مراجعتي للمخطوطة في 2020/3/21 وكتاب ابي الفداء لتهيئتهما للنشر وارسالها إلى بيروت ونحن نعيش فترة الحجر الصحي في دورنا (ممنوع التجول في أغلب أنحاء الكرة الأرضية) بعد منع السفر وإغلاق المطارات نتيجة لتهديد فايروس كورونا فأتنهزت هذه الفرصة ولا نعلم ماذا سيحل بنا ولكن أقول: اللهم أدفع عنا الوباء والبلاء والغلاء والداء والغباء وقهر الرجال ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا وآخر دعوانا الحمد لله الذي يستحق الحمد دائماً والصلاة والسلام على المصطفى الأمين محمداً وعلى آهله وأصحابه اجمعين

أ.د.علي نجم عيسى

الموصل 2020/4/1

فهرس المحتويات

المقدمة 3
الفصل الأول أسمه ونشأته وبيئته وشيوخه ومجلسه العلمي ومصنفاته وإنجازاته العمرانية ووفاته..... 7
أسمه ونشأته وبيئته: 7
شيوخه: 8
مجلسه العلمي: 10
مصنفاته: 11
إنجازاته العمرانية: 14
وفاته: 16
الفصل الثاني أبو الفداء ملكًا على حماة 18
مدخل: 18
أبو الفداء يتطلع إلى الحكم في حماة: 25
أبو الفداء ملكاً على حماة: 28
علاقة أبي الفداء مع السلطان الناصر: 32
الفصل الثالث أبو الفداء والغزو الخارجي 38
1. ضد الصليبيين: 38
1. ضد الأرمن: 39
2. ضد المغول: 42
الفصل الرابع أبو الفداء مؤرخًا 46
أراء ابي الفداء التاريخية في كتابه المختصر: 46
المنهج التأريخي عند أبي الفداء: 55
المختصر وذيوله: 63
الفصل الخامس أبو الفداء جغرافيًا 69

المنهج الجغرافي عند أبي الفداء 69
الحداثة عند أبي الفداء: 74
المدينة عند ابي الفداء:..... 79
1. ظاهرة تأسيس المدينة وخدماتها وعاداتها الإجتماعية: 80
2. ظاهرة الآثار عند أبي الفداء: 85
3. ظاهرة العمران عند أبي الفداء: 88
4. ظاهرة المنتزهات عند أبي الفداء: 89
5. ظاهرة القبور عند أبي الفداء: 90
ظاهرة الزراعة عند أبي الفداء..... 91
ظاهرة الصناعة والمعادن عند أبي الفداء: 100
الثروة الحيوانية والبرية عند أبي الفداء: 104
ظاهرة الثروة السمكية عند أبي الفداء: 106
الفصل السادس التأثير العلمي لأبي الفداء 108
الفصل السابع مصادر أبي الفداء التأريخية والجغرافية.....120
المقدمة 157
قائمة المخطوطات والمصادر والمراجع والبحوث.....181
المراجع الأجنبية والأنترنيت 186
فهرس المحتويات 189